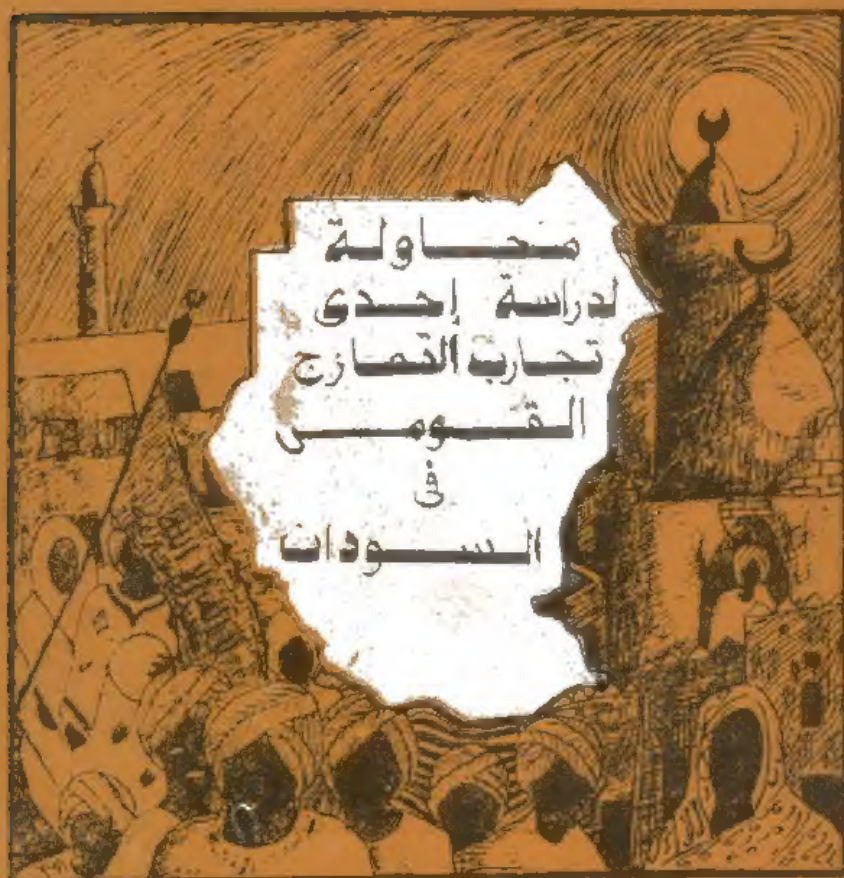


حلفاية المملوك

التاريخ والبشر



محاولة
لدراسة إحدى
تجارب القضاة
القرويين
في
السودان

الدكتور عون الشريف قاسم



المؤلف :

البروفيسر عون الشريف قاسم

- ولد بحلفاية الملوك عام ١٩٣٣ م
- درس بمدرسة حلفاية الملوك الأولية، ومدرسة الخرطوم بحري الابتدائية، ومدرسة وادي سيدنا الثانوية، وجامعة الخرطوم حيث نال بكالوريوس الآداب ١٩٥٧ م، وجامعة لندن حيث نال الماجستير في الآداب عام ١٩٦٠ م، وجامعة إدنبرة حيث نال الدكتوراه في الفلسفة ١٩٦٧ م.
- درّس بمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ١٩٦٠ - ١٩٦١، وجامعة الخرطوم ١٩٦١ - ١٩٧١، ١٩٨٢ - ١٩٨٤، ومعهد الخرطوم الدولي للغة العربية ١٩٨٤ - ١٩٨٨ م
- رأس تحرير مجلة الدراسات السودانية بجامعة الخرطوم ١٩٦٨ - ١٩٨١
- شغل عدداً من المناصب العامة.
- نذب للقيام بمهام ومسئوليات مدير معهد الخرطوم الدولي للغة العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فبراير ١٩٨٨ م.
- له من المؤلفات :

- دبلوماسية محمد (نشأة الدولة الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم).
- الإسلام والثورة الحضارية.
- الإسلام والبعث القومي.
- الرسالة الخاتمة.
- الدين في حياتنا.
- في الطريق إلى الإسلام.
- في معركة التراث.
- موسوعة الثقافة الإسلامية للشباب.
- شعر البصرة في العصر الأموي.
- قاموس اللهجة العامية في السودان.
- دراسات في العامية.
- كتب المطالعة في المدارس الأولية بالسودان (بالاشتراك).

حفاية الملوك

التاريخ والبشر

حلفاية الملوك التاريخ و البشـر

محاولة
لدراسة إحدى
تجارب التمازج
القومي
في السودان

الدكتور عمون الشريف قاسم

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

تصميم الغلاف والخط : ابراهيم عبدالله احمد

الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



الطابعون : دار جامعة امدرمان الاسلامية للطباعة والنشر

ولى وطن آليت ألا أبيععه
وأن لا أرى غيرى له الدهر مالكا
فقد ألفتة النفس حتى كأنه
لها جسد إن بان غودرت هالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم
مأرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهد الصبا فيها فحنوا لذلكا

ابن الرومى

إن أدانى ثمانية أولاد حلفايه
أهزلهم براى على مرضايه
العد الروى نخت فوقه التايه
لا نخدم ولا ندى الملوك حبايه

شاعر سودانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى روح شيخ المؤرخين وإمامهم العالم الثَّبت الشيخ محمد النور بن
ضيف الله صاحب كتاب «الطبقات في خصوص الأولياء، والصالحين
والعلماء والشعراء»، ابن الحلفاية الشامخ، إعترافاً بفضله، وتقديراً
لجهده، وإحياء لذكراه وذكرى آبائه وأجداده وأهله وإخوانه من علماء
الحلفاية الأفذاذ من كل جنس وقبيل الذين كان له فضل السبق بالتنويه
بآثارهم والدلالة على مكانتهم.
وما هذا الكتاب المتواضع إلا غيض مبتسر من فيضه الغامر، ورجع
الصدى الخافت لصوته الجهير، عليهم جميعاً رضوان الله ورحمته
وبركاته، ونفعنا بهم أجمعين.

مقدمة

هذا عمل شرعت في الإعداد له منذ ما يقرب من الخمسة عشر عاماً. وكنا آنذاك في عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م على مدى حوالي الثلاثة أعوام من استقبال عام ١٣٩٥هـ الذي يبعد ثلاثة قرون من عام ١٠٩٥هـ الذي توفي فيه الشيخ الفقيه ضيف الله بن علي كبير الضيفلاب. وكانت الفكرة أن نحتفل في مهرجان علمي كبير يقام بحلفاية الملوك إحتفاء بمرور ثلاثمائة عام على وفاة هذا الشيخ الحليل. وشرعت من جانبي في التحضير لهذا الحدث الكبير بالنظر في تاريخ الضيفلاب عامة، والشيخ ضيف الله بن علي خاصة، وشاءت إرادة الله الغالبة أن لا تتحقق الفكرة في حينها، ولكنها قدحت في النفس هاجساً نأماً مع الأيام وتجسد في بحث يشمل تاريخ الحلفاية عامة ويسجل في ذات الوقت أطرافاً من تاريخ وأنساب المجموعات المختلفة التي اتخذت من الحلفاية مقراً لها في الأزمان السابقة، مع التركيز على القرون الأربعة أو الخمسة الأخيرة منذ أواخر أيام دولة علوة وظهور دولة الفونج.

والحلفاية في ذلك نموذج رائع لما حدث في كل أنحاء السودان خلال القرون المتطاولة من تلاقي العناصر وتمازجها وانصهارها في بوتقة الوحدة الوطنية التي صاغت الشخصية السودانية صياغة فريدة يرفد فيها تنوع العناصر وحدة الأمة، وتكون فيها التعددية إثراء للفرد والتميز. وقد تم ذلك في أزمان طويلة متباعدة تداخلت فيها الدماء وتشابكت الأرحام والأعراق، وانمحت الفوارق مع الزمن بين دخیل وأصيل، وخرج إلى الوجود تكوين عضوي جديد يحمل في أعماقه حرارة هذا الانصهار بين هذه العناصر البشرية التي التقت في بوتقة السودان الحضارية.

وغنى عن البيان أن السودان يمتاز بموقع استراتيجي فريد يمكنه من الاتصال

بمعظم مراكز الاشعاع الحضارى في العالم القديم ، ونأى به ذات الوقت عن التعرض المباشر لموجات الغزو الاجنبى التى كثيرا ما أقلقت حياة شعوب العالم القديم . فإن وقوعه على شاطئ البحر الاحمر ووسطيته في إفريقيا جعلت منه حلقة وصل فاعلة بين حضارات الشمال وحضارات الجنوب في إفريقيا ، وبين حضارات الشرق الأوسط وأوروبا ، وبين حضارات بقية أجزاء القارة الافريقية . وقد أصبح بفضل ذلك بوتقة كبرى لأصناف البشر وتيارات الفكر ، تبرز في رحبته العناصر وتنصهر مع الزمن مما كان له أعظم الأثر في خلقي وضع بشرى وحضارى فريد ترسب على الزمن في وجدان البشر وعقولهم ، مضافا على حياتهم سمات إنسانية محددة تبلورت في شخصية حضارية مميزة للوطن ولل مواطن في السودان . فإن إنسياج عناصر البشر منذ القدم في أرجائه من غرب وشمال وشرق وجنوب ، والتقاء ألوان الأفكار في رحبته ، وامتزاجها في نقاط التجمع الحضارى في وسطه حول نهر النيل ، قد أكسب أهل السودان صفات خلقية وخلقية مميزة قل أن تتوفر في مناطق التباين العنصرى التى يمثل السودان نموذجها الأعظم لكثرة ما فيه من أجناس البشر واختلاف ألوانهم وألسنتهم وأساليب حياتهم .

وقد نجم عن هذا الاختلاط الواسع بين عناصر البشر ، والامتزاج الكبير بين الأفكار التى تنتقل من مراكز الحضارة في بيئاتها المختلفة ، الساحة والألفة ، فاختلطت العناصر في عذوبة ، مكونة في نهاية المطاف هذا المزج العجيب الذى هو نموذج للألفة والأنصهار بين البشر ، وإن تعددت أسماء قبائله ، وتباعدت مواطن سكنته في جنوب البلاد أو شرقها أو غربها أو شمالها ، فكلهم نتاج هذه البوتقة الحضارية الكبرى التى التقت فيها عناصر البشر على اختلاف ألوانها وأشكالها وحضاراتها ، فتمازجت وإنصهرت مخلقة هذا الفرد السودانى ، الذى يحمل في جوهر تكوينه هذه الأرضية المشتركة من المعانى والمواضع التى تسوى بين البشر ، وتأخى بينهم ، وتسعى الى خلق صلات الود والمحبة بينهم ، وبذلك صار السودان نموذجا حيا لفعالية الوحدة بين البشر ، رغم اختلاف العناصر على أرضه ، إذ أن كل فرد فيه ، وإن انتمى لقبيل بعينه ، هو في حقيقته تاريخ مجسد لفعالية اختلاط دماء البشر وتمازجها على مدى تاريخ السودان ، ومن هنا كان التقارب في النظرة العامة والسلوك الاجتماعى بين مختلف العناصر في أجزاء السودان المختلفة ، لافرق في ذلك بين شمال وجنوب ، أو شرق وغرب ، لأنهم جميعا تعرضوا لتأثيرات البوتقة المشتركة على مدى الزمان .

وإذا كان هذا التمازج قد انتهى الى هذه الغاية بين عناصر البشر ، فإنه قد انتهى الى غاية أعظم بين عناصر الفكر وألوان السلوك الاجتماعى ، فإن أرض السودان قد كانت منذ القدم تربة صالحة للتقاء الأفكار وتيارات الحضارة وتلافحها ، يشهد بذلك مقام على أرضه من صروح للحضارة منذ أقدم العصور . ومن الواضح أن طبيعة هذه المنطقة المفتوحة كانت درعا واقيا ضد الانغلاق والتعصب ، ومن ثم اكتسبت الأفكار

أبعاداً إنسانية جديدة، مستمدة من طبيعة الأرض والشعر، فأبناهاً جديداً
 منحصرة في اليهود لفرعونيه وما تلاها في جزاء مخنقه من نسون. وحين اشتد
 الصراع في الامبراطورية الرومانية حول المسيحية، وانعكس ذلك بدوره على مراكزها
 في شرق وأفريقيا، وحد المصطفيون من قبل الامبراطور برومسي مدحا والامن في
 السودان. فقامت للمسيحية في شمال البلاد ووسطها دولتان، هما مملكة المقرة ومملكة
 عنوة، ان حارب المملكه الشماليه المعروفه بوسط او الغرب، التي صمت حواء من
 شمال البلاد وأجزاء من جنوب مصر، وكانت عاصمتها فرس. وقد دخلت المسيحية
 الى السودان دون حرب، ووجدت على اختلاف مذهب برعابه والحماية من ملوك
 النوبة. ورغم أن المسيحية في السودان آنذاك كانت ديانة طنقة حاكمة، إلا أن آثارها
 في وجدان اساس كدت واضحة كما سند من بعض العادات والطقوس التي
 ارتبطت بماسسات بعينها، كليلاد والختان وما إليها. ومن الطبيعي أن انغزال
 المسيحية في السودان عن مصادره، سواء في الاسكندرية او روما بعد دخول العرب
 مصر وسيطرتهم على البحر الأحمر، قد أسهم الى حد كبير في إضعاف أثرها وحصرها
 أكثر في الصفات احكامه. ولم تسجل مصادرها التاريخية صراحة وصحين مدها
 المسيحية التي نشرت في الشمال أو الوسط، وليس هناك ذكر لاصطهاد ديني
 لأصحاب مذهب من قبل أصحاب مذهب آخر كما هو حال أصحاب هذه المذاهب
 في مناطق أخرى من الامبراطورية الرومانية ائذاك.

وقد دخل لاسلام ان السودان يصا دون حرب او صراع ومن لواصح أن
 اتفاقية القط التي عقدها عبدالله بن أبي السرح مع ملك النوبة في أوائل فتوح مصر،
 فرصت قيام مسجد في دنفلا لعجور كما يدل على به كسب هناك مجموعه من
 المسلمين ساقطة على الاتفاقية التي جاءت لتؤكد حفاظ على المسجد وحسن رعايته.
 وقد كسبت هذه الاتفاقية للعرب المسلمين حرية اجتياز أراضي مملكته المقرة
 والانسياع الى باطن السودان منذ العقد الرابع لظهور الاسلام، أي حوالي سنة ٣٠هـ
 كما يجعل انصار سودن بالاسلام وفتن للعرب انسمة فديف قدم الاسلام داته
 وقد أبانت دراسات 'عن الكيفية التي استطاع بها هؤلاء العرب المسلمون من
 لتعمل في مناطق السودان المختلفة وشر ديهم وثقافتهم بين لسكان الاصيين
 مكنهم بعد حوالي التسعة قرون من التغلب على مملكة علوة متحانين مع الفونج،
 مشي فعلوا في شمال البلاد بتعصيم على مملكه المقرة قبل حوالي لقرون من ذلك
 التاريخ. وقيام دولة الفونج بلغ التفاعل الواسع المدى بين الشر والثقافات الذي
 طل يحتدم ويصطره خلال هذه القرون التسعة قمته وعابته. وظهر الى الوجود تكوين
 شرى وحصرى حديد هو في جوهره نتاج مباشر للعروبة والثقافة العربية الإسلامية
 في تفاعلها مع العناصر البشرية والثقافات التي حصت بها أرض السودان

(١) نظير تفصيل ذلك في سبيل كل تاريخ العرب في السودان (بالانجليزية) ود يوسف فصل حسن العرب
 والسودان (بالانجليزية) ود. مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة.

وهذا التكوين البشري والحضارى الذى أنبر الى الوجود ما عرف في التاريخ بالسودان الحديث، ومنحه ماهو عليه من سمات بشرية وحضارية وليد شرعى للإسلام الذى يصوغ البشر والثقافات صياغة إنسانية جديدة تحافظ على خير ما في موروثات البشر على نطاقهم المحلى، وترتفع بهم في ذات الوقت الى النطاق العالمى في إطار أحوه للإسلام، مما جعل من المسلمين على نطاق الأرض أمة واحدة رغم تباين عاصرتهم وثقافتهم وأوطانهم. وهو عن طريق العبودية والمعاملة يصوغ شخصية الفرد صياغةً حمائية إجتماعية، تدخل بها قيم الدين وقيم الجماعة في ضمير الفرد ليصبح ضميراً إجتماعياً بالضرورة، فيكون الفرد جماعة في فرد، ودولة داخل الدولة. وهذه الصياغة هي مناط خاتمة الاسلام^(٢).

وهذا كاد الاسلام في كل بيئة يحل بها أكثر من دين بالمعنى لتقليدى للدين لأنه يصوغ حياة الأفراد والجماعات صياغة إنسانية جديدة تتلشى فيها الفروق بين البشر وتتلاقح الثقافات ليخرج الى الوجود تركيب بشرى وحضارى جديد يمتزج فيه الماضى بالحاضر، وتتقارب الجماعات بحكم احتلاط الدماء بين الأفراد والجماعات وتتوحد النظرة بالالتقاء حول القيم الاجتماعية التى يحقق بها الاسلام توحيد البشر، فيصبح الاسلام بذلك الرابطة الكبرى التى تصل بين البشر وتوحد بينهم وتحقق بمقتضاها المجموعة المحلية التوحد في إطار مواضعاتها الجغرافية والثقافية والشرعية فتكتسب الوحدة الوطنية في إطار إسلامها، وترتبط في ذات الوقت بوحدة إسميه أكر تصلها بغيرها من الشعوب الاسلامية التى تشترك معها في الوجدان الواحد والنظرة الانسانية التى رسمتها تعليم الاسلام في النفوس وقد نهى للإسلام هذا الحاح في ساء الشخصية القومية المرتكزة على المحلية في إطار الاسلام، لأنه لا يلقى شخصيات الشعوب، ولا يجارب موروثها الاساسى ومعضيات تاريخها وحضارتها إلا حين يصادم ذلك تعليمه الاساسية في وحدانية الله ووحدة البشر وكرامة الانسان ولكنه يحكم خاصيته في التسامح ينسرب في كيان الجماعة في تؤدة ورفق يبدل ويعبر دون أن يحدث هزة في حياة الجماعة، فيأخذ خير ما في ماضى الشعوب من قيم حية وإيجابيات، نافياً ما علق به من أوساخ الشرك والسوثية وجهالات القرون، فيبعث في ماضى الأمة الحيوية في إطار الاسلام الفاعل.

ولاسلام في ذلك يختلف عن غيره من الحضارات بما فيها حضارة العرب الراهنة، التى لاتعيش مع غيرها من الثقافات، بل تسعى ماوسعها ذلك الى إبادتها إذا أمكنها ذلك والحلول محلها، هذا في حين أن الاسلام يبقى على ماهو صالح من قيم الماضى وممارسات الأمم، لأنه دين فطرة يقبل كل ماهو معقول وصالح من تجارب الأمم، ولايستكف من إقرار كل مالا يتعارض مع الذوق العام والخلق والمنطق من

(٢) انظر تفصيل ذلك في: الاسلام والثورة الحضارية للدكتور عون الشريف قاسم، دار القلم بيروت، ١٩٨٠م، وكذلك: الرسالة الخاتمة للمؤلف نفسه، دار القلم بيروت.

الممارسات ولذلك كان العرف مصدرا من مصادر التشريع المعترف بها منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الإطار وحده يصح الحديث عن الاسلام السودانى أو المصرى أو الأندوبيسى، مما يمكن أن نسميه بالاسلام التاريخى لأن الاسلام كما رأيت من قبل يتفاعل مع البيئة المحلية فيتصل ماضى القوم بحضرته في إطار إسلامهم الفاعل، لأن هذا الاسلام الفاعل قد هضم في مسطوره التاريخى عدم كل إيجابيات الماضى وقيمته الحية ومسحها حية جديدة في إطار الاسلام. ومن هذه الناحية تكون الشخصية الوطنية أو القومية قد وجدت أسس تعبيرها في ظل إسلامها المعاش. وفي ذلك دحض لفكرة القومية الأوربية الصيغة المعتمدة على العصر وانى سعى بها المستعمرون لتمييز وحدة الأمة الاسلامية بردها الى حاهلياتها العنصرية القديمة. فسادو بالفرعونية في مصر وبالساسانية في إيران وميسينية في لبنان، والطورانية في تركيا، والبربرية في الشمال الافريقى، والزنجية في إفريقيا، والعروبة المبرأة من الاسلام في بلاد العرب وهكذا، ناسى أو متناسين أن اسلام اناسمين في هذه الأقطار وفي غيرها من بلاد المسلمين، قد صم في إطاره كل إيجابيات ماضى مصر العريق مثلاً ومسحه بعداً إنسانياً جديداً، مما يضاعف من قدرته على البناء والازدهار في تفاعل مع مفصليات العصر، وبذلك لا يفقد المصرى بإسلامه مورثه عن أجداده الأقدمين من قيم كريمة وإراث حضارى، بل تجد هذه تعبيره الأسمى من حلال بطرة الاسلام الانسانية الشاملة لتتساع مع كل ماهو، نسي وخير من تراث البشرية. وبمعكس ذلك يفقد المصرى بتحليله عن إسلامه جوهر شخصيته الفاعلة، ويفقد معه الماضى والحاضر في آن واحد.

والسودان الحديث الذى برز الى الوجود مع قيام دوله الفونج طل بتشكيل ما يزيد عن تسعة قرون قبل ذلك التاريخ، سغ فيها التفاعل والتلاقح بين الأحاس والثقافات مداه فجاءت دولة الفونج تعبراً عن هذا التمازج وقمة لعملية البناء الحضارى لشعب السودان. وبهذا يكون اسودان احديث نموذج هذا الربط العضوى بين قيم الاسلام وفعالية الشخصية القومية. فإن ما يمتاز به أهل السودان من سمات بشرية ناجم عن سباحة الاسلام في تكافؤ الأعراق، مما جعل اختلاط المجموعات العربية وغيرها من المجموعات البشرية في أصقاع السودان المختلفة نموذجاً فريداً لما يجب أن تكون عليه العلاقات بين البشر في مثل هذه البيئة التى تعج بأنواع البشر من حاميين ورج وساميين. وليس من شك في أن هذا النتاج البشرى الذى امتزجت فيه الدماء بهذه الطريقة مدين بوجوده لقيم الاسلام التى تسوى بين البشر وتصل بينهم برباط الأخوة في الله والاسمانية، ولا تكفى نتائج الدماء بل تعده

الى صياغة الشخصية الشربة صياغة جماعية إحتجاجية يتصل فيها ماضى الناس بحاضرهم في إطار إسلامهم كما ذكرنا.

ومعنى ذلك ان إسلام أهل السودان في بيئاتهم المختلفة قد تفاعل مع معطيات هذه البيئات التاريخية والثقافية ، ومنحها بعداً إنسانياً يصل بينها وبين غيرها من السذج الوطنية على مستوى العلم . وهذه الوحدة الإسلامية العالمية من خلال التنوع الوطني هي سر انتشار الإسلام في أوطانها المختلفة دون رعاية من دولة أو غزو من جيوش . والسودان أيضاً نموذج لهذا التفاعل الخلاق بين قيم الإسلام ومواضعات بيئات أهل السودان في كل أبعدها الثقافية والتاريخية والشربة الذى انتهى بتأكيد سمات إنسانية مشتركة يلتقى عندها معظم أهل السودان مسلمهم وغير مسلمهم ماداموا يؤمنون جميعاً بالله خالق الوجود.

فإن الإسلام في السودان قد صاغ شخصية الفرد السودانى المسلم صياغة إنسانية أتخذت في مسطورها العام كل ماورثه أهل السودان من ماضيهم الصارب الجذورى في أعماق التاريخ . فالإسلام بالنسبة إليهم ليس ديناً ينظم علاقة الفرد منهم بحالقه فحسب . بل هو مفهوم أساسى للشخصية الانسانية . وعلاقات مجتمع ، وإتقاء حضارى . وتعبير عن الماضى في كل أبعاده الممدة تقرون صويلة قبل الإسلام ، ومن هذه الناحية فإن إسلام أهل السودان الذى صاغ وجودهم على هذه الهيئة هو الركن الأساسى لوحدتهم الوطنية القائمة على وحدة الشخصية القومية المرتكزة على كل موروث الماضى في إطار الإسلام المعاش .

وكانت حلقاته المبكك إحدى نقاط التجمع الحضرى التى تلتقت في رحبتها مختلف العناصر فتزحجت وتلاقحت وإنصهرت في بوتقة البناء القومى التى ألمعا الى بعض سماتها . ومحدثت في الخلطية خلال القرون صورة صادقة لما حدثت في صون هذا السودان وعرضه ، وهو الذى منح هذا الشعب صلاته وقدرته على تجاوز الصعاب والمحن . ولبيت حوانى من العلماء والباحثين يوحىون بعض عديتهم لدراسة أوطانهم الصغيرة التى عاشوا طفولتهم ومعظم حياتهم بين ربوعها على امتداد أرض هذا السودان المسيحية . إذن لتجمعت لديها حصيلة طيبة من الدراسات لفصلية عن التاريخ الاجتماعى مختلف المجموعات التى يعج بها السودان . وقد لفت انتباهي منذ سنوات الدراسة القيمة التى كتبها أستاذنا عز الدين الأمين عن مسقط رأسه كبراج حيث مسيد ود عيسى . رغم اقتصرها على تاريخ مجموعة بعينها هي آل الفقه ود عيسى أسلاف مؤلف العالم وبؤه . جراه الله خيراً . ولا يقل عنها نقاد . لدراسة التاريخية لمدينة عيذاب التى قام بها المؤرخ الدكتور بشير ابراهيم بشير ونشرها لأول مرة في (محة لدراسات السودانية) التى يصدرها معهد الدراسات الأفريقية والاسيوية

(٣) قرية كترانج : نشر دار جامعة الخرطوم للطبع والنشر.

بجامعة الخرطوم وللدكتور محمد ابراهيم ابوسليم قدح معنى في هذا المجال بكتابته
سندسه من المقالات بمحله خرطوم عن الخرطوم وأم درمان وخرطوم بحري جمعها
في كتاب باسم (تاريخ الخرطوم) وهو سفر بالغ الفائدة. ورحم الله شيخنا الفقيه محمد
النور بن صيف الله الذي ارتاد بصقائه الزاخره باحار الرجاء ميداناً علمياً فسيح
تتقصر دونه هامات الرجال، ضارماً بذلك لنا القدوة والمثل. نأمل أن يبلغ باحثونا
بعض شأوه بإذن الله وفضله.

وهذا الكتاب إذ يتعرض لخلفاية الملوك بوصفها إحدى بيئات التهاجر القومي
القديمة في السودان من منظور التاريخ ومطور الشر، ينقسم الى قسمين يتناول أولهما
تاريخ الخلفاية عامة من حيث الاسم والشأة والتكوين السكاني، والتطور السياسي
والاجتماعي والعلمي والثقافي الذي مرت به المنطقة، مع ذكر للعلماء والمدعين، مع
التكرير في الحديث عن المؤرخين على من انقلوا الى دار النقاء، ولم اتناول الأحياء في
هذا القسم التاريخي الاغنام، لأن المعاصرة حجاب فيما يقولون

وفي انقسم اثني رصد لأنساب المجموعات المختلفة. وكانت البية ان يصاحب
جداور الأنساب كشف أبعدى عدم يوضح موضع كل اسم ورد فيها، وابن بعثر
عليه في الجداور مع ذكر المواضع التي يتكرر ذكره فيها، ولكن ضخمة الجهد
انصبوب لرصد الآلاف العديدة من الأسماء التي اكتظت بها الجدول، كل ذلك حل
دون إنجاز الفكرة في هذه المرحلة، مكتفين بما ورد في جدول المحتويات المصاحب
لجداور لدى يوضح أنساب المجموعات الكبيرة وفروعها المشهورة مشيراً إلى أرقام
الجدول وأرقام الصفحات مع إرشادات بالأرقام في صلب الجدول الى العلاقات
المتشابهة بين الناس مما يساعد على فهم طبيعة هذه العلاقة ومداها

ولم يكن هذا العمل سهلاً مؤظناً، بل إكتنفته المصاعب من كل حاسب لقلة المصادر
المكتوبة والمروية، خاصة إني حين بدأت هذا العمل لم يكن قد بقي على قيد الحياة
من جدودنا وكبار الدين يعرفون تاريخ الخلفاية وأنساب أهلها إلا القليل القليل.
ورغم الجهد الذي بذلته في القسم الأول من الكتاب متتبعا فيه مصدر المكتوبة،
ومتسقطاً الاجبار المروية على ألسنة الناس، ومستفيداً من الدراسة الميدانية للمقابر
الخلفية، فهو في محمله تجميع لمواد متعددة المصادر، بعضها مشهور وبعضها شهدي
أما القسم الثاني الخاص بالأنساب فكل مصادره شهدي، ولم أعثر إلا على القليل
مكتوب من شجار النسب العامة المحدودة اعائده وقد واجهني في جمع هذه
الأنساب من أقوه الناس مشاكل عديدة أهمها اختلاف الروايات، واضطراب كثير
من الأسباب لطون عهد الناس بها وصلت في معظم الأحوال ما ارتاه الناس سسا
لهم، ولم أشأ لدحول في عمية التحقيق والنقد إلا في أصيق الحدود، وتلك مهمة
الساحين في استقص وحسبي أني أصعب هذه المادة الأولية بين أيديهم، ولكي في
بعض الأحوال قد نبت هذا الاختلاف في الرواية بذكر أمرؤى منها في الموضع المعنى

وقد اسعيت في جمع هذه الأنساب أعداد كثيرة من الناس لم يحسوا على بمحصولهم المكتوب والمحفوظ والمسموع، وليس من السهل في مثل هذا العمل المشعب أن يوفي الباحث كل ذي حق حقه وحل من لا ينسى ولا يسهو. ولواقع أن الفصل في معظم هذا الجهد يرجع إلى دويه من شيوخ الحنفية وشيخاتها وعلمائها وأساتذتها الذين عتمدت عليهم في جراح هذا الكتاب، وإن كان هناك خطأ أو تحريف أو إغفال فجزمه تقع على وحدي ولا شك أن تجويد مثل هذا العمل لا ينحصر للوهلة الأولى، ورجائي من كل من يكتشف خطأ أو يلحظ إغفال أو تشويه للحقائق أن ينكرم بموافاتي لأتمك من تصحيح الخطأ وإتمام الرصد في طعة قادمة بإذن الله فتع به ذلك الفائدة.

ورغم شتراك الكثيرين في إعداد بعض تفصيلات هذا العمل فهو في المقام الأول جهد فردي. وفرد مهم أوني من قوة والنشاط بمحدود الطول ومن ثم فعمله موسوم بالقصور ضرورة، ولعل في ذلك بعض العذر لي عند كل من يكتشف نقصاً أو قصوراً في هذا الكتاب. ويقيني أن كثير من أسماء الأشخاص والمجموعات قد سقطت لا لعدم أهميتها وإنما لجهلي بها والأمل معقود أن تتلاقى ما يتكشف لنا من نقص وقصور في طعة قادمة بإذن الله وتوفيقه.

ولابد لي وأن أصدر هذا الكتاب في شكله النهائي من أن أتقدم بالشكر والتقدير لكل أهل عشيرتي سكان حلماية الملوك الذين كنت حياتي وسطهم وماتوا حمة واحة الضلال مؤمها الحب والمودة واستعاطف والاحترام. وقد كان نموذجهم لرفيع في استكمال والتعبد دفعاً لي لتسحين طرفاً من ماضيهم المليء بالمآثر والمكرمات. فإني من ذكرت وإلى من لم أذكر من الأهل والإخوان والأصدقاء الشكر والمودة والاحترام ولتقدير. ولواقع أن هذا العمل لم يكن من الممكن إنجازه لولا تصافر جهود الإخوة وأسندة شيخ الطبيب أحمد اهسي الذي رجعت إليه في تجميع المعارف وأسائهم وتاريخ التعيين في حلماية وأنساب أهلها عامة، وطه الملك حمد وعبد الرحمن وسيد أحمد الرشيد وشيخ محمد حمد وأدريس سلطان في تاريخ الشقيقة وأسائهم، ومحمود عبدالقادر قصبي وأحمد صحوى والمبارك الربيع الهاشمي في أنساب الديرية وتاريخ حنيفة عامة، ومحمد محمد عثمان طه والسيد عبدالرحيم وعمر المبارك وإبراهيم القاعوري في أنساب الشيوخ، والمكي أحمد عبدالقادر وعبدالحليم عبد الهادي ومحمد نور حوحي وعبدصادق النصديق والخاصة فاطمة حوحي في أنساب الدواليب والحنافط، وأحمد عبدالرحمن لدابي وبابكر أحمد حمد السيد وأحمد محمد سباحة ومعصم صبح عز الدين وسراج عبيد في أنساب المغاربة. والسيد وعبدالصادق محمد حاج أحمد في أنساب نقوشات، وأحمد محمد حوحي «الدوح» وحاج عبيد عبدالرحمن وعبد الواحد لطيف في أنساب العوسية أولاد عبد محمود، وعبدالله محمد نور في أنساب النصيفات، وصديق عبد الواحد وعبيد عباس أحمد في أنساب البحياب

والصوادة، والدكتور معتصم أحمد السيد في أسساب السليمانية والتغيباب، ومحمد حماد البدرى في أنساب المحمدات وعبد المطلب عمر وعثمان إبراهيم فضل السيد وعمر اجعلى في أسساب المكابر، وحاج الحسن محمد عباس وأحمد الإمام على والبشير سقا وإدريس الحاج وعبد الرحمن بركو في أسساب الهوارة أهوياب، والسخت شاور وعجيب عبدالله وكمال عجيب في أنساب العدلاب، وحاجة خديجة مصطفى في أسساب الخموعية، والخليفة محمد دفع الله وعثمان أحمد عبدالدافع وإبراهيم الخليفة الحسن محمد نور المفتى في أخبار الدافعاب والمبارك إدريس شملول في أخبار الهوارة، والندير عى عبد الحير وعبد الله أحمد متونه في أحبار أولاد الصافي عبد الله ومتونه، وأحمد محمد الخولى في أسساب أولاد الخولى وهلاوى. ويوسف محمد الحسن وعبد الله مصطفى في أسساب اورير انك محمد نور عبدالرحمن والشناقيط وعبد الغنى إدريس في أخبار الهوارة وغيرهم، ولقاسم أحمد دفع الله والأستاذ عثمان محمد عبدالرحمن في أسساب أولاد حيمر من الحعليين ومحمد الأمين أنعوف في نسب أولاد ديومة من العدلاب، والفضل حسين في أسساب أولاد عمرود أحمد، والأصدهاء إدريس حاج أحمد وحولى الحسن وربة في أسساب الدعيناب وال وزنة، وشقيقتى الحاجة نور الشريف قاسم في أنساب معظم المعاصرين في كثير من أحياء الحنفية، وأخيراً شكري الخالص والخاص للإحوة الأستدة البروفسير يوسف فصل حسن وعثمان حسن أحمد وأحمد عبدالخليم وعلى محمد شمو والبروفسير عبدالله أحمد عبدالله وشيخ الطيب الهدى وشيخ عثمان محمد عبد الرحمن وشيخ عثمان إبراهيم فصل السيد وشيخ عبدالرحيم محمد الحسن وإبراهيم الحسن محمد نور المفتى وبشير محمد أحمد وطه الملك حمد ودكتور معتصم أحمد السيد والخليفة أحمد عبد القادر وعبد القادر محمد لسيد وعبد القادر عباس وعمر الدين رروق ويوسف محمد الحسن وعبد العظيم عبدالله ومحمود عبد القادر فصلى وكمال محمد الخولى ومعتصم البشير بانقا وباصر جماع وكمال عجيب ومحمد محمد عثمان طه ومبارك الربير وحمزة بابكر ومحمد عبدالرحمن بركو وأحمد الحيلاني وقاسم حاج السيد وأيضاً الإحوة أحمد محمد الجير والأمين محمد أحمد ناصر والصاديق وكناشى بله وعبد المعصم ناري والأستاذ حسن عثمان حسن وعبد القادر محمد السيد والأستاذ يوسف نلال والاح دفع الله الفكى حويرى بمعهد الخرطوم الدولى والخطاط إبراهيم عبد الله والإحوة في دار الوثائق المركزية والإحوة في مطبعة جامعة ام درمان الاسلامية وغيرهم من الإحوة الذين اطلعوا على مسودة هذا الكتاب وأعدابوى ملاحظاتهم السديدة فحراهم الله عنى وعن القراء جزاء المحسين. لهؤلاء ولأولئك ولمن لم تسعفى الذكرة بأسمائهم خالص الشكر والتقدير والثناء ولهم من الله حسن ثواب العاملين وما التوفيق إلا بالله.

عون الشريف قاسم
حلفاية الملوك في ربيع الثانى ١٤٠٨ هـ
الموافق ديسمبر ١٩٨٧ م

القسم الأول

حفاية الملوك: التاريخ

● قال تعالى : ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ .
«الروم الآية ٢٢»

● وقال رسول الله (ص) :
«ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم، إنما العربية اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عريب»

الفصل الأول

النشأة

ولكن خبره عن هذا الحد الأكبر في مكان آخر لا يترك محالاً للشك في أن الخلفاية كانت معروفة قبله، وأنها كانت جزءاً من الدار الخاصعة لسلطنة الفونج، إذ يقول في معرض ترجمته للشيخ يعقوب بن الشيخ مجلي المشيخي: «ولد بالريف ودخل في الجريفة في أول ملك الفوسج، وخصّاه الملك وزوجه ابنته وقطع له في الدار بواحي الخلفاية قدر ما يشور جواده شرقاً وغرباً ويمينا وشمالاً وجوهها من جميع السبل، فهي إلى الآن كذلك»^(٧). ومن الواضح أن هذا الأقطاع لم يكن في الخلفاية ذاتها، بل كان بنواحيها كما يذكر النص، وبما يؤكد ذلك قول ولد ضيف الله في نفس الترجمة: «ودفن الشيخ يعقوب في داره، مقدار نصف ميل من الخلفاية»^(٨). وهناك إشارة أخرى إلى أن الشيخ يعقوب جاء من أرض الريف في أوائل عهد الفونج «وسكن في الخلفاية مع أهلها الحميدانية»^(٩).

وشاهد الحال بوحى بأن منطقة الخلفاية قديمة النشأة لقربها من مركز السلطة في مملكة علوة التي كانت عاصمتها سوبا، ولغناها وخصوبة أراضيها الواقعة على النيل، ولوقوعها على الطريق التجاري المعروف بدرب الحمل، الذي كان يسير محاذياً للنيل وتسير عليه القوافل التجارية من سنار وموراءها إلى شندى والدامر وموراءها إلى مصر ماراً بالخلفاية. ومن الواضح أن منطقة الخلفاية وغيرها من المناطق المجاورة لعاصمة علوة كانت تستمد أهميتها من هذا الجوار ثقافياً واقتصادياً وبشرياً. وهناك من الشواهد ما يشير إلى أن القبائل العربية المختلفة التي ظلت تتدفق على المنطقة قبل فترة طويلة من سقوط مملكة علوة، كانت تتحد من منطقة شرق النيل وغربها أماكن للاستقرار وللرعي. وارتباط أماكن كخلفاية والعيفون وغيرها بالعرب، يشير إلى أن بعض القبائل العربية قد استقرت حول العاصمة سوبا، وأحاط بها إحاطة السوار بالمعصم، بل أن كثيراً من أفراد هذه القبائل كان يسكن في العاصمة سوبا ذاتها، كما هو الحال مثلاً مع المعاربة الذين ما يزال عدد كبير منهم متبدياً في الرعي في مناطق شرق النيل، بينما سكن بعضهم سوبا^(١٠) وسكن بعضهم الخلفاية وغيرها. وفي رواياتهم ما يدل على صلات واضحة بين هذه المجموعات قبل سقوط علوة مما يزال بعض المغاربة بالخلفاية يذكر مثلاً أن فرع البشيري الذي ينتمي إليه النورالديناب كان بعضه يقيم قديماً في سوبا، وقد يكون البعض الآخر منهم مقيماً بالخلفاية في ذات الوقت. وهذه الصلات القوية بين هذه المجموعات العربية في عاصمة علوة ومحورها، كان هؤلاء القوم أكبر الأثر في انتصار التحالف الفونجي العبدلابي على مملكة علوة ولعله

(٧) نفسه، ص ٣٧٣.

(٨) نفسه، ص ٣٧٤.

(٩) الفحل، ص ١٠٥.

(١٠) ماكهاكل. تاريخ العرب في السودان ١ / ٣١٧، ٢ / ٣١٦، الطبقات، ص ٣٠٦.

لهذا السبب دنته أثر العبدلاب الذين جمعوا هذه القرائن لعربية تحت لوائهم في حيش كبير، ان يقيموا في منطقة نفوذ العربي في قرى اولائهم الخلفية ثانيا، لأب منطقة قوتهم العربية، سيما اثر الفوج الإقامة بسار قريبا من مركز قوتهم الشرية.

مركز الثقل

ولابد أن خراب سوب في أوائل القرن العاشر الهجري / اسداس عشر ميلادي، قد ترك آثاره على هذه المنطقة من كل هذه النواحي، ولكنه منحها في ذات الوقت الفرصة اموانية لمواصلة بعض مكن يجرى في العاصمة القديمة من نشاط، خاصة في مجال الثقافة العربية الإسلامية فإن انتقال مركز السلطة إلى سار، عاصمة الفوج في الجنوب، وإلى قرى عاصمه العبدلاب في الشمال، لم يحجم عنه في الغالب لأعم استقطاب لتعلم والعلماء في هاتين العاصمتين، رغم تشجيع سلاطين الفوج وشيوخ العبدلاب للعلم والعناء. وبسار في صيفات ولد صيف الله لا يجد ذكرا لعالم استقر بمدينه قرى عاصمة العبدلاب، رغم أن معظم العلماء الكبار الذين تحدث عنهم الصيقات في صفحاتها الأولى^(١١) مثل الشيخ إبراهيم البولاد، وتاج الدين البهاري، والتلمساني المغربي، والشيخ محمد ولد عيسى سوار لذهب، وعبدالله الأغيش، ونصر ولد الفقيه بوسية، وعبدالكافي العربي، والشيخ حسن ولد حسونة، والشيخ محمد بن قرم المصري، والشيخ حمد ولد زروق خصرمي، والشيخ محمد المصري، كنهم ظهروا في دولة الشيخ عجب الماحلك، الذي كان محبا للعلم والعلماء ومشجعاً لهم، وامتد ملكه لأكثر من أربعين عاماً «٩٧٠ - ١٠١٩ هـ / ١٥٧٠ - ١٦١١ م». ورغم زيارة كثير من العلماء والأولياء بسار، والثقائهم سلاصيتها، فإن من أقام بها منهم واتخذها مقراً للتدريس قليل جداً، ومعظم من فعل منهم ذلك كان من أساء سار الذين ولدوا بها مثل الشيخ عمر بن عبد الحفيظ الخضب^(١٢) والشيخ صوين^(١٣) والشيخ علي بن اللبدى^(١٤). بل أن منهم من رفض الإقامة بها تخرجاً مثل الشيخ إدريس ولد الأرباب الذي رفض مدمحه إيه الملك بدي بن رباط (١٠٢٥ - ١٠٥٤ هـ / ١٦١٧ - ١٦٤٥ م) حين أراد أن يقسم له نصف داره بسار فقال له «هذه الدار در سونة وأسم عصتموها وأب ماسمها»^(١٥)، ولكنه قبل أن يتسرع فيمن طلب

(١١) لطقات، ص ٤٠ - ٤١.

(١٢) نفسه، ص ٢٥٩.

(١٣) نفسه، ص ٢٤٨.

(١٤) نفسه، ص ٢٦٢.

(١٥) نفسه، ص ٦٠.

شفاعته أمام السلاطين^(١٦). ومنهم من رفض الدخول إليها كالشيخ دوع الله ولد أبو إدريس العركي^(١٧) والشيخ خوحلى بن عبد الرحمن^(١٨).

وفي ذلك إشارة إلى أن هذه المنطقة المحيطة بعاصمة العجم كانت مركز الثقل بالنسبة للعرب ولثقافتهم، فإن استقرارهم فيها واتصالهم بمركز القوة والثروة في قلب دولة علوة، أتاح لهم مناخاً صالحاً للالتقاء ببعضهم بعضاً، ولاندماج في السكان الأصليين، ومجتمعهم مجالاً واسعاً لنشر ثقافتهم وتطورها.

اختلاط القبائل

وكانت هذه المنطقة التي اتسعت مع الزمن شمالاً وجنوباً على إمتداد النيل، الموثقة التي انصهرت فيها القبائل، وازدهرت في نقاط معلومة منها الثقافة. وكان زوال دولة علوة وما نجم عنه من إنبهار العاصمة في سوبا، سبباً إلى تأكيد أهمية المنطقة فيما يتعلق بقبائل العرب وثقافتهم العربية الإسلامية، مثلما كان إسيار دولة المقرّة قبلها سبباً إلى ازدهار الثقافة العربية الإسلامية في نقاط التجمع العربي حول دنقلا في شمال البلاد. ومن مناطق الاستقرار الحصارى نزل في أغلب الأحوال البيئة الصالحة لاردهار الثقافات رغم تغير الحصارات وإحتلاف الأقوام. ولعل هذا السبب ترجع أهمية مكان كمطقة الأبواب «كبوشية الحالية» التي تقع على مقربة من الحدود بين دولتي علوة والمقرّة، وكانت في الماضي مركز الثقل لحصنة مروي القديمة التي كان مركزها هذه المنطقة^(١٩). وفي هذه المنطقة اشتعل قوز العلم^(٢٠) لعلهم مرة أخرى، وجذب إليه عدداً من علماء الشمال، فأصبح من أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية شمال منطقة الحلفاية.

ولكل هذه لأسباب كانت هذه المناطق جميعها مراكز جذب لعلماء من داخل السودان وخارجه، كما يستدل من أخبر غلام الله بن عايد الذي انتقل من الحليفة باليمن إلى منطقة دنقلا في مرحلة مبكرة، لأن دنقلا المسلمة برزت كمركز ثقافي بعد سقوط المقرّة في القرن الرابع عشر الميلادي، ثم انتقل أناؤه من بعد إلى منطقة الحلفاية^(٢١) بعد سقوط دولة علوة كما ستيين ذلك في حديثنا عن الحياة الثقافية.

(١٦) نفسه، ص ٦٠.

(١٧) نفسه، ص ٢٠٨.

(١٨) نفسه، ص ١٩٤.

(١٩) أنظر كتاب آركل عن تاريخ السودان القديم وغيره من المراجع.

(٢٠) القوز حوب شدي وعرف أيضاً بقوز المنطوق منكه الصغير ود، أنظر صدمات، ص ١٠٩.

(٢١) الطنقات، ص ٣١٣، عبدالعزيز أمين عبدالمجيد - تربية في سودا ١ / ٥٩.

ويعلم ذلك ما أورده عبدالله حسين في نسب الشيخ إدريس ولد الأرياب من أن أساه قرشي عيمى، وأمه من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب، هاجر حده من الشام، فأقام مدة في بلاد المحس، ثم بلغه أن في الحلبة شريقاً من نسل الحسين يسمى شريف حمد^(٢٢)، فرحل إليه، وكان له ابن مروجه ناسه الشريف فولد له الشيخ إدريس المذكور، وذلك سنة ٩١٣هـ^(٢٣).

وما يسبب إلى الشيخ إدريس ولد الأرياب أو عحيب المانحلك، الذي تذهب بعض الروايات إلى أن أمه عائشه هي أيضاً إحدى نساء هذا الشريف حمد أبودنانة^(٢٤)، أو غيرهم من الأعلام في هذا المقام يشير إلى طاهره طمت تتكرر لقرون طويلة ترد فيها الدماء الجديدة لدماء التي امتزجت بغيرها، مما أحدث مرور الزمن أكبر التحولات في طبيعة المنطقة البشرية والثقافية. إذ من الواضح أن التكوين السكاني لدولة علوة قد تغير تغيراً كبيراً خلال القرون التسعة التي سبقت سقوط العاصمة في سوبا بحيث أصبحت العناصر العربية التي احتلّطت بالعناصر المحلية من نوبة وغيرهم، مركز الثقل في حياة المنطقة كلها على امتداد نهر النيل من شمال البلاد إلى مشرف المناطق الاستوائية جنوباً، وفي المراعي الشاسعة في شرق النيل في البطانة والنيل لأررق، وفي غربه في كردفان ودارفور وكانت هذه الفئات بحكم احتلالها بالسكن المحليين قد أصبحت جزءاً من الكيان المحلي عرقياً وثقافياً، واتحدت لها أسماء تحيه مثل العبدلاب وروعة والجعلين ونوعهم من حموية ورياط وشميقية وما إليهم، وأصبحت الأصول العربية القديمة كربيعة وجهية وغيرها لا تذكر إلا في مقام المحر والحديث عن أجداد الماضي البعيد.

الرافد الثقافي والبشرى

ومن كل ذلك يتضح أن هذه العناصر المهجنة قد سيطرت فيها المتقدمة وشاغلها المتقدم على مختلف مجالات النشاط الحيوى للمجتمع والدولة قبل فترة طويلة من سقوط دولة علوة، وكان لها في سوبا ذاتها وجود فاعل اجتماعياً وثقافياً كما سيتضح لنا. وكان يرفدها فيض متصل من الشمال الذي سيطرت فيه العناصر العربية العربية المهجنة على دولة المقرّة قبل سقوط سوبا بما يقرب من القرنين، حيث سقطت ديقلا عام ١٣٧٣ م. وكما مرّ بنا فإن تطور ديقلا إلى مركز هام لازدهار ثقافة العربية الإسلامية

(٢٢) هو حمد أبودنانة، أنظر كروبرد، مملكة الفوج ص ١٧٥. ويقل أن موضوعه سقاي العرب، المحمد، أنظر طه ص ١٤٨ ومقدمة في تاريخ الميث لاسلامة لندكور يوسف فضل حسن.

(٢٣) عبدالله حسين، تاريخ السودان القديم، ٧٥ / ٢.

(٢٤) مكي شبكية، مملكة الفوج الإسلامية، ص ٤٩.

قد فتح المجال أمام مريد من انسياح القائل العربية الى داخل البلاد، وكانت ظروف الحياة السياسية في مصر والمغرب العربي تدفع بأعداد كبيرة من أعراب مصر والمغرب الى الهجرة جنوباً، خاصة بعد ضغوط المالك عليهم، وكان مما يغريهم بذلك الأنباء المتواترة عن نجاح إخوانهم في مهاجرهم الجديد في إقامة دولة خاصة بهم أولاً في دنقلا ثم بعد قرنين من ذلك في سنار وقرى.

ومن غير المستبعد، بل لعله من الطبيعي، أن يكون للدولة المسلمة في دنقلا نشاطها لنشر الدعوة الإسلامية في أرجاء السودان، وبالدات في الدولة المسيحية المنافسة لها في علوة، ولعل كثيراً من العلماء والمجموعات التي انتشرت في مراكز للعلم كثيرة داخل حدود مملكة علوة وحوالي عاصمتها سوبا، كانوا جزءاً من هذا النشاط. إذ من الواضح أن علماء الشمال الدين وجدوا الرعاية من قبل الدولة المسلمة في دنقلا لدى قرنين من الزمان قبل سقوط علوة، هم الذين أسهموا بقدر كبير في تنشيط الحركة العلمية الى الجنوب كما يتضح من دراسة الوضع العلمي عند قيام مملكة الفونج. فإن علماء دنقلا من أحفاد غلام الله بن عايد هم الذين أسهموا في نشر العلم في المنطقة حول سوبا، كما سيتضح لنا عند الحديث عن الحياة الثقافية في هذا الكتاب. وعلماء دنقلا الصغىروناب هم الذين ارتحلوا الى منطقة شندي وأقاموا للعلم مركزاً متقدماً في قور المطرق أو قور العلم. وكذلك فعل أبناء سوار الذهب وعلى رأسهم محمد ولد عيسى سوار الذهب الذى يرجع إليه ود ضيف الله الفضل في نشر علم التوحيد والتجويد في الجزيرة^(٢٥). ومن دنقلا أيضاً ارتحل الدوايب جنوباً، وكان مركزهم العلمى في الحلفاية وغيرها.

وعما لا شك فيه أن سقوط علوة كان له صدى بعيد المدى في المنطقة العربية كلها، وعلى أثره انتقلت الجماعات والأفراد إلى ديار الفونج والعدلاب من مصر والحجاز والشام والمغرب والأندلس واليمن والعراق وغيرها، كما نستدل من أسماء الشيوخ والعلماء الذين ذكرهم صاحب الطبقات وغيره. وقد يكون كثير من هؤلاء أتوا مع جماعات من عشائهم أو قبائلهم. وقد يكون دافعهم إلى الهجرة الانضمام إلى بقية أهلهم الذين سبقوهم إلى الهجرة واستوطنوا في أصقاع البلاد المختلفة. إذ من عادة الناس حين يدخلون بلداً أن يبحثوا عن مساقط من يعرفون من الأقارب والأهل. ومن الواضح أن كثيراً من الجماعات التي جاءت في بداية عهد الفونج لم تذب كلها في المحيط البشرى الذى نزلت فيه، فاحتفظت جماعات منها بكياناتها وأسمائها رغم تزاوجها واندماجها مع المجموعات التي حلت بها، مثلما هو الحال مع المشايخ الذين

(٢٥) طبقات، ص ٤٦.

جاء جدهم الأكبر يعقوب بن مجلى من مصر مع بداية عهد دولة الفونج كما مر بنا. ومثلما هو الحال مع كثير من المعاربة الذين لم يلحقوا نسبهم في معظمهم بأى قبيلة أخرى رغم اندماجهم الكبير في مختلف القبائل والعشائر. ومثل ذلك يصدق على الهوارة وغيرهم من الجماعات التى جاءت هجرة بعضها متأخرة، فاحتفظ كثير منها بما ظل يميزه عن بقية القبائل التى طال عهد إقامتها فتفاعلت مع بيئاتها الشرية والثقافية فاكسبت من جراء ذلك شخصياتها المميزة التى تعبر عنها أسماء القبائل المختلفة الموجودة الآن بالسودان. وهذا الوضع البشرى ينطبق على حلفاية الملوك كما ينطبق على غيرها من بلاد السودان المختلفة.

الحلفاية خلال العصور

يجدر بنا هنا أن نشير إلى أن الحفصية لم تكن تعنى في كل الأزمان مدينة الحلفاية بحدودها المعروفة لدينا الآن. بل كانت تشمل في بعض الأزمان منطقة واسعة تصم الحلفاية وما حولها، وتشمل فيما تشمل منطقة الخرطوم بحرى. إذ أن اسم منطقة الخرطوم بحرى لم ينتشر إلا مؤخراً، وكثيراً ما كان يشار إلى الخرطوم بحرى بالحلفاية، واستمر ذلك إلى عهد قريب كما يشير إلى ذلك اسم السنيما المسماة بحلفاية سنيما بالخرطوم بحرى. وكثير من الإشارات إلى الحلفاية في أثناء حصار الخرطوم، قد تعنى مدينة الحلفاية وقد تعنى الخرطوم بحرى التى قد يشار إليها أيضاً بالقبّة، نسبة لقبّة الشيخ خوجلى المتوفى عام ١٧٤٣ م. وليس معنى ذلك أن معالم الخرطوم بحرى الحالية لم تكن موجودة. ولكن نشأتها حديثة العهد نسبياً، وهذه النشأة مرتبطة بالشيخ خوجلى بن عبدالرحمن تلميذ الشيخ أرباب العقائد، وكان كلاهما يقيم بجزيرة توتى. ومثلما نقل الشيخ أرباب العقائد حلاويه إلى الخرطوم عام ١٦٩١ م^(٢٦) فكان ذلك بداية لنشأة الخرطوم، فإن الشيخ خوجلى بنى خلوته ومسجده في منطقة الخرطوم بحرى، ولما توفى عام ١٧٤٣ م أقام تلاميذه قبة له^(٢٧) فسميت المنطقة بالقبة نتيجة لذلك. أما الشيخ حمد، فقد جاء متأخراً عن الشيخ خوجلى لأنه أقام أولاً بأمدردمان^(٢٨) وقد أقطعها المونج والعبدلاب كثيراً من الأراضي على شاطئ النيل في هذه المنطقة وفي غيرها مثلما أقطعوا غيرها من شيوخ الدين. وكانت منطقة الصبابى التى برل بها الشيخ حمد ود زروق على صلة وثيقة بمنطقة الحلفاية، للعلاقة القوية بين الشيخ حمد

(٢٦) أبو سليم: تاريخ الخرطوم، ص ١٤.

(٢٧) نفسه، ص ١٧٣.

(٢٨) نفسه، ص ١٧٤.

والشيخ البدارى في شرق الخلفيه ^{٢٩} أم شمبات فلم تكن معروفة بهذا الاسم، ولا بالمساحة التي هي عليها الآن، بل كانت تعرف بالخليلة شوحطت، وهي قرية صغيرة في شمال غرب شمبات الحالية، وكانت الصلة بينها وبين الخلفاية قوية للصلة القوية بين شيوخها وشيوخ الخلفاية، فإن الشيخ إدريس بن لأرباب الذى ولد بشوحطت نعم عبد البدارى في صباه وانتقل إلى الصبابى لموصلة تعليمه عند الشيخ حمد ود زروق ^(٣٠) وما يزال بعض أهل الخلفاية يذكرون ما كان يقوله أحداهم عن حلة مكة بين شمبات والخلفاية، ويقال إنها كانت عامرة إلى أيام المهديّة الأولى ثم اندثرت، وكانت تقوم بين الخلفاية والخرطوم بحرى عبة كثيفة تسمى الملاحة ورد ذكرها في تحركات اخيوش عند حصار الخرطوم ^(٣١) وكل هذه الأماكن كانت مألوقة لدى أهل الخلفاية، فقد تلقى بعضهم العلم في هذه الخلوى رغم أن خلاويهم كانت نسقها بقره طوبية من الرمس. إذ أن أرباب العقائد قد توفى عام ١١٠٢ هـ ^(٣٢) ومن تلاميذه الفقيه محمد بن ضيف الله، وكانت خبره الصيفلاب قائمة، وكان مسجد الخلفاية الكبير قائماً قبلها بزمان طويل.

ورغم أن أهمية الخلفاية قد تقلصت بروال مشيخة العبدلاب الذين اتخذوها عاصمة لهم، فقد ظلت بحكم موقعها وميراثها المتعددة ذات أثر على الخطط الإدارية لمحتلف العهود اسي تعاوت على اسطفاة عصى بداية العهد لتركى طلت عاصمة للمناطق التي تقع شمال النيل الأزرق لتي كانت خاصعة لمشيخة العبدلاب، ورغم أن الأتراك أنشأوا عاصمتهم في الخرطوم، فإن الخلفاية ظلت عاصمة لإقليم كبير يصم الخلفيه وليل الأبيض، كما يسفد من حبار الخوريطنى حسن كاشف حاكم إقليم الخلفيه وبحر أبيض لدى توفى عام ١٢٤٧ هـ ^(٣٣) ويسدو من النزاعات التي كانت تقوم بين المجموعات المختلفة داخل الخلفاية حول شياحة الخلفاية، أن مسطقه تعودها كانت تمتد من حجر العسل إلى الخلفاية وما حوفا إلى الخرطوم بحرى. ولعل في عمودنة العمدة عثمان التي الت اليه من أبيه، ما يؤكد أنها كانت تضم منطقة الخرطوم بحرى وتمتد إلى حجر العسل.

وفي عهد المهديّة قسمت البلاد إلى ثماني ولايات أصححت الخلفاية بمقتضاها تقع في ولاية شرق النيل الكبير، التي تمتد من اسيل الأزرق حتى حجر العسل، ولم تعد

(٢٩) طفات، ص ٥٠ و ١٤٩.

(٣٠) عسه، ص ٥٠.

(٣١) نعيم شقير، ٧٧٤.

(٣٢) طفات، ص ١٠٠.

(٣٣) تاريخ ملوك السودان، ص ٣٠.

تابعة لولاية الخرطوم، التي كانت تمتد من المقرن وتسير بين السيلين الى مدني^(٣٤) وقد سويت حدود الخلفاية عام ١٩٠٢م لتمد جنوباً حتى مشروع التجارب، ومدرسة الرُبعة حالياً من السكة حديد وحتى النهر ويفهم من روايات أهل الخلفاية أن الحكومة الإنجليزية قد وضعت الخطة لاتخاذ الخلفاية مركزاً إدارياً في البداية، ثم عدلت عن ذلك حين لم يتحمس أهل الخلفاية للحطة، فنقل المركز ومحطة السكة حديد لخرطوم بحرى. ومن الواضح أن توسع الخرطوم بحرى وتطورها كان على حساب الخلفاية التي تفصلت مع لرمس الى حدودها الحالية.

(٣٤) شقير، ص ١٢٥٠، أبو سليم: تاريخ الخرطوم، ص ١٠٢.

الفصل الثاني

التكوين السكاني

تنوع العناصر

تقع حلفاية في قلب منطقة انتشار الكبير بين الشر وبين الثقافات في منطقة النيل الأوسط التي ضمت معظم اختصارات التي مرت على السودان من قبل إذ تقع منطقة ست إلى شها. وتقع منطقة عدوة على مرمى رمح إلى جنوبها وقد امتازت المنطقة بقدرة العائقة على صهر لشر والثقافات، ووصل عرى الوثام والألفة بين مختلف العناصر، وحلفاية الملوك في ذلك الرمز والنموذج.

ولعل أول ما نلاحظه في هذا المجال تنوع العنصر البشرية التي ارتبطت بها المدينة وتجارجه، واصهارها، بحيث يصعب على الباحث تحديد زمان بعينه لهجرة هذه القبيلة أو تعبت تلك من معرفتهم المنطقة في الماضي وتركوا آثارهم فيمن يعيش من سكانها في الحاضر ويبدو أن الكوهلة الدين ارتبطت أسماؤهم ببعض الأسر في مرحلة متقدمة من تاريخ الحلفاية، وكاد أثرهم ينحصر في الحاضر، كانوا من صمن العناصر العربية الأولى التي ارتبط بهم تطور المنطقة في مرحلة مكرة، ومثلهم الصوادة الدين تحمل أكثر مقابر الحلفاية اسمهم، وما تزال دريتهم باقية ولعل في مقبرة الحلفاية الرئيسية المسماة ترتب الصوادة شهداً على قدمهم، وعلى قدم الكوهلة، إذ أن أقرب أحزاء هذه المقبرة إلى البلدة، ولعله بالتالي أقدمها، هو مقابر لكوهلة.

وارتبط تاريخ الحلفاية القديم أيضاً بالجموعية. وحين طهر العبدلاب كقوة محاربة في القرن الخامس عشر الميلادي كانت الحفدية تعرف بحفدية أولاد حميدان، وهم فرع من الجموعية^(١) وقد تغلب حدهم حميدان على شرق النيل، ونسب إليه بعض المصادر تأسيس الحلفاية^(٢) ومن بقايا سله أولاد الشيخ عبدالدافع الدين استوطنوا الحلفاية، ثم تغلب العبدلاب على الجموعية واستولوا على الحلفاية وضموها إلى شياحتهم واتخذوها من بعد عاصمة هم بعد قرى ولكن يبدو أن سلطان الحميدانية وغيرهم من الجموعية قد انحصر قبل ذلك أمام ضغط العناصر الشرية التي جذبتها المنطقة. ويمكن أن نهم ما ذكره ودصيف الله من قبل من احتطاط المشايخ لمدينة الحلفاية في أوئل عهد الفونج^(٣) في هذا الاطار، فإنهم قد استقروا فيها في أوائل أيام الفونج كما ذكرنا من قبل.

ولعل هم ما تمتاز به الحلفاية في هذا المقام تنوع العنصر التي استقرت بها من داخل لسودن وجارجه وتجارجه. فإن نظرة سريعة إلى أسماء مقارهاكية لايضاح

(١) الفحل، ص ١٠١، انظر جداول الأنساب رقم ٨٨ - ٨٩

(٢) نفسه، ص ٥٨

(٣) الطبقات، ص ٤٢.

هذه الظاهرة، حيث تحد ترب الصوارة والمغارة أو العبيد، وود أب دقن، وعبدالمحمود، والضيفلاب، والدواليب وغيرهم ..

الخريطة البشرية

والناظر اليوم في خريطة الحلفاية السكانية يجد هذا التاريخ القديم لهذه المجموعات البشرية مفروقاً على اجزائها المختلفة، ومجسداً في أحيائها وفقراتها المتعددة. فإن المجموعات رغم تداخلها وتمازجها تظل في الغالب الاعم محافظة على تماسكها الاسرى، وكثيراً ما يتخذ ذلك شكل السكن في مكان واحد وذلك ما ندحه في أكبر صوره في انقسام الحلفاية، قبل تحطيطها في الستينات، الى فريقين كبيرين أحدهما يغلب عليه الشايقية، ويسمى فريق الشايقية، والآخر يسكنه بقية المجموعات، ويسمى فريق البلد ويبدو أن هذا الانقسام لم يكن قديماً بهذا الوضوح، رغم وجود عناصر شايقية قديمة في الحلفاية كالشيخ عى ود أبى دقن، صاحب المقبرة المعروفة باسمه حتى الآن، فإن أمه شايقية وأبوه دنقلاوى، وذكر ود ضيف الله أن أحببه مقطوعة لطول الزمن، وقد زار قبره الشيخ إدريس ود الأرباب ونسب عليه فاشتهر أمره^(٤) وإنما تأكد هذا الانقسام مع ظهور الأتراك الذين تعاون معهم الشايقية في إخماد الفتنه التى انتظمت المنطقة في أعقاب إحراق الحلفيين في شندي لإسماعيل باشا، وإحراق أهل الحلفاية للحامية التى خلفها الأتراك، فهرب كثير من أهل الحلفاية^(٥) وكافأ الأتراك الشايقية بمنحهم اراض في الحلفاية^(٦) فاستمر هؤلاء كجماعة في الجزء الشمال الشرقى من الحلفاية في الفريق الذى مارال يحمل اسمهم، وستعرض فيما بعد لعلاقة الشايقية بالحلفاية بتفصيل أوفى.

أما فريق البلد الذى يصم بقية المجموعات السكانية، فهو أيضاً مقسم بحسب كثافة هذه المجموعات. وقد كان هذا التقسيم في لماضى اوسع مدى وأشد حصرأ للجماعات مما هو عليه الآن. فإن تزايد السكان وإعادة تحطيط المدينة وبناء الإمتدادات الحديثة قد رسم صورة جديدة للوضع السكانى في منطق السكن الحديثة. ومترال الحلفاية الأصلية، رغم شق طرقها وهدم كثير من منازلها القديمة، تحفظ على صورتها الترحيحية القديمة من حيث الوضع السكانى. ونلاحظ في هذا المقام تجمعات المشايخة والمعاربة والهوناب من الهوارة، والضيفلاب والدواليب والصوارة والخوجلاب

(٤) نفسه، ص ٢٦٤

(٥) هولت: تاريخ السودان الحديث، ص ٤٦.

(٦) أبو سالم: تاريخ الخرطوم، ص ٢١، الفصل، ص ٥٨.

والجعليين والعبدلاب والحميدانية والشناقيط، والدواريت وهلم جرا. ولكننا نلاحظ في ذات الوقت تمازجاً بعيد المدى، وتشبك في الأرحام ولأنساب بين مختلف هذه المجموعات، فإن التزاوج بينهما أرل الحواجر، وكاد يجعل من معظم سكان الحلفاية أبناء عمومة أو خثولة تصل بينهم وشائج الرحم والحوار بأكثر مما تصل بينهم وشائج الأنتاء لهذا العنصر القبل أو ذاك.

وستناول فيما يلي بالعرض الموجز المجموعات البشرية التي تعاورت على حياة المدينة منذ أواخر أيام مملكة علوة، غير مراعين في ترتيب هذه المجموعات علو مقام المتقدم في هذا الترتيب أو دنو مقام المتأخر فيه، فاجميع حلقات هامة في سلسلة واحدة! ولعل لا يصاعف من صعوبات مثل هذا الترتيب جهلنا في كثير من الأحوال بالمراحل الرمسية التي كان فيها الفريق من الناس أو ذاك في المنطقة، وهل هو سابق للفريق الآخر أم لا حق له كم سيتبين من خلال هذا العرض.

(١) الحميدانية الجموعية

الجموعية فرع من الجعليين يتسبون إلى جموع بن منصور بن جموع بن عامر بن حميدان بن صبح بن مسيار بن سرار بن حسن كردم بن أبي الديس بن قضاة بن إبراهيم جعل^(٧) ويسكنون غرب النيل وتمتد مملكتهم إلى لشال حوالي الثلاثين أو الأربعين ميلاً شمال أم درمان حتى قوز نفيسة عند خائق السلوكة، وتمتد جنوباً حتى جبل الأولياء، ويسكن بعضهم في مناطق شرق النيل جنوب قرى^(٨). وكانت الحلفاية تحت سيطرتهم قبل أيام الفوج يحكمها فرعهم الحميدانية، ومن ثم عرفت بحلفاية أولاد حميدان^(٩)، ولا يزال فريق الحميدانية الذي يقع في شمال الحلفاية شاهداً على وجودهم المبكر. وقد استولى عليها الشيخ عجيب المانجلك شيخ العبدلاب وسماها حلفاية الملوك، وخضع له الجميع وكل العرب إلى التاك. ولكنه رغم الاستيلاء على الحلفاية لم يهزم الجموعية الذين تجمعوا في منطقة العجيبة غرب النيل، واستعد الشيخ عجيب لعبور إليهم بالمراكب، ولكن إياه محمد فيها تذكر الروايات حذره من حريمهم وقال له: (كنت أظن أن الجموعية لن يحاربوك، ولكني أراهم بعد ما عرضوا ورعدت ساؤهم فلا بد من الموت، فإليك إذ قتلهم لن يتركوا لك فارساً يهز السيف، وإن هم إنتصروا عليك هدموا دارك). فأرسل عجيب إلى ملك الجموعية ليعقد معه الصلح فقال هذا للرسول: (قولوا لعجيب أنت إنسان

(٧) الفحل، ص ٥٩، بطر جداول الأساب رقم ٨٨ - ٨٩

(٨) ماكياكل ٢٢١/١

(٩) الفحل، ص ١٠١

خائن، وإن كنت رجلاً صادقاً أنت ومحمد ولدك وأنا وود قسور ولدى نتقابل في
 بونى) فتقارلاً وتعاهداً ألا يعين ملك الجموعية أحداً على عجيب، ولا يحارب
 عجيب الجموعية، وقد أراد الشيخ عجيب بهذه الهدنة التفرغ لحرب ملوك شدى من
 الجعليين وغيرهم.

وظل الجموعية يحتفظون بلقب الملك، وكان كل الجموعية والإحميعاب ومعهم
 الزبازجة حاصعين طوال عهد القويح لحاس ملك الجموعية، وظل ملك الجموعية
 يؤدى ماعليه من صرائب للمانجل العبدلابى في الخلفاية^(١١) وكثيراً ما حدث بينهم
 اصدام، وكان اخره ماحدث على عهد ناصر بن الامين آخر شيوخ العبدلاب
 «١٢١٠ - ١٢٣٥هـ / ١٧٩٥ - ١٨٢٠م» فقد كانت مملكة الجموعية تدفع ضريبة
 لبنت المذل عبارة عن المهر الذكر من اخيل دون الاناث. والعاية من ذلك الحد من
 قوتهم الحربية بحرماهم من تربية خيول الحرب، وعلى هذا العهد حاول الملك المحينة
 ملك الجموعية التمرد على العبدلاب ورفض دفع هذه الضريبة، ولكن العبدلاب قادوا
 اليه جيوشهم، وأوقعوا به هزيمة ماحقة في الخلفاية، فعاد الجموعية على أثرها يؤدون
 ماكان مفروضاً عليهم.

ورغم احسار نفوذ الجموعية من الخلفاية وتقلص عددهم بالقياس الى غيرهم من
 المجموعات فقد كنوا قوة فاعلة خاصة في مجال تعليم القرآن الكريم، فقد كان منهم
 الفقيه حمد بن حميدان الجعلى^(١٢) واليهام ينتسب موسى الجعلى^(١٣)، والفقيه
 عبدالدافع القنديل^(١٤).

وستعرض لشاغلهم العلمى في فصل لاحق. وقد كان من اكثر من تأثروا بالغزو
 التركى الحميدانية، الذين كان كثير منهم يسكن في المنطقة الشمالية من الخلفاية التى
 استقر فيها الشايقية بعد تغلب الاتراك على العبدلاب والقويح. وتذكر رواية
 الحميدانية ان حدودهم قد فروا من وجه الأتراك تاركين ديارهم وممتلكاتهم، ولما
 استقرت الامور رجع كثير منهم، فلم يجدوا ما يؤويهم سوى بناء القضاطى شمال غرب
 منطقة الشايقية، وقد عرف حيهم بفريق القضاطى الى جانب الجزء الصغير الذى
 تبقى من فريق الحميدانية. وكانت منازلهم تمتد الى شمال سوق الخلفاية الحالى وفى
 منطقة المدارس عرب السوق. وتذكر روايتهم ان منطقة المدارس كانت تصم المنازل
 التى كان يسكنها اولاد ام حقين من الجموعية، وإن الشيخ الامير ود ام حقين ولد
 بالخلفاية وكان يسكن مع أهله في هذه المنطقة من الخلفاية قبل انتقالهم الى الجريوة

(١٠) نفسه، ص ١٠١.

(١١) ماكايكل، ١/ ٢٢٢.

(١٢) تاريخ العبدلاب من خلال تاريخ روايتهم، ص ٧٥ - ٧٦.

(١٣) الطبقات ص ١٥٣.

(١٤) نفسه، ص ١٥٣ ٣٤٨.

(١٥) نفسه ص ٢٨٩ وانظر جداول الاساب رقم ٨٨.

إسلانج. ولعبه لهذا السبب كانت علاقة أهل الخلفاية بأهل الجريرة إسلانج علاقة قوية تمثلت في وشائج الرحم العميقة بين الناس هنا وهناك.

وقد كان من نتائج إحتلاط الجموعية عامة بغيرهم من المجموعات بروز شخصيات عديدة تصلها وشائج الرحم بكثير من المجموعات مثل الفقيه عبدالدافع الجموعى الوالد، المهنونانى - الكاهلى الأم، وقد تزوج عبدالدافع ابنة الشيخ خوجلى أبوالجر فاربط أيضاً بالمحس وهناك أعداد كبيرة من رجال الخلفاية امهاتهم جموعيات مثل الشيخ محمد الأرقى ود ضيف الله وأبناء الشيخ الربير محمد بور الذى تزوج سنا بت محمد ود الأمين، وإستمرت هذه العلاقة الى وقتنا الراهن كما تتجلى فى أبناء الشيخ محمد أحمد الحصر العبدلانى الذى تزوج رفية بنت أحمد ود الأمين الجموعية. كما تزوج أخوانها وساء عمومتهما من العبدلاب وغيرهم. ومثل ذلك يصدق على علاقتهم بالصوادة والمعاربة وغيرهم نتيجة ذلك ظهور مجموعة كبيرة من العائلات والاسر لها اثرها المحسوس فى حياة الخلفاية المعاصرة.

(٢) العبدلاب^(١٦)

فرع من المجموعة الجهنية من عرب القواسمة ينتمون الى قبيلة رفاعة. ورواية العبدلاب أن القواسمة أحوال عبدالله جماع، وأبوه من الأشراف المنسويين الى محمد الماقر من أحفاد السيد الحسين بن على كرم الله وجهه. برروا كقوة حرية وسياسية مع زعيمهم عبدالله جماع الذى أدى تحالفه مع عمارة دنقس رعيم المونج الى سقوط دولة علوة، ورغم إتخاذهم قرى، عاصمة علوة الثانية، عاصمة لهم، فقد كانت الخلفاية عاصمتهم الثانية حتى قبل أن ينتقلوا إليها، وسموها خلفاية الملوك نسبة إليهم وقد إردادت أهمية الخلفاية بالنسبة إليهم عندما أصبحت عاصمة للمشايخ أيام الشيخ عبدالله الثالث بن عجيب الثانى ١١٢٣ - ١١٤٤ هـ وفى رواية الى ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧م فى حوالى السنة الخامسة من ولايته.

وقد كان ذلك دعوة للعبدلاب للتقاطر نحو الخلفاية والاستقرار فيها بأعداد كبيرة خاصة وإن كثيراً منهم كانوا قد تفرقوا فى البلاد لعدم رضائهم عن بعض شيوخهم الذين لم يحسنوا سياسة المشيخة. وكان عبدالله الثالث مدركاً لذلك، ومن ثم فقد انتهج سياسة لترغيب وفتح المجال لكل النافرين ليؤوبوا الى الخلفاية ويساهموا فى بناء العاصمة الجديدة. وقد اتاحت لهم فترة وجود الدولة بالخلفاية لما يقرب من القرن من الزمان، على أرجح الروايات، أن ترسح أقدامهم فى القلب منها كما يشهد بذلك فريقهم الخلى الذى كان يحيط بقصور شيوخهم التى اندثرت الآن. وكان يشق وسط

(١٦) نظر حدود لأسباب ارقام ٥٢ - ٥٥

فريقهم هدا كم يشق وسط الخلفاية فاشر الشيخ عجيب، وهو عبارة عن شارع ضخم كان يشق الخلفاية من جنوبها الى شمالها وهو يتبع (طريق النصف) الذي تستخدمه العربات الآن ولكنه لم يكن يشق السوق كما هو الحال الآن، بل يسير في خط مستقيم من جنوب الخلفاية ماراً بعرب منزل المانحل الحلى منحها الى الشمال بغرب السوق خلف صهرريج المياه الحالى الى نهاية الخلفاية شمالاً. وكان هذا الفاشر مكان لتجمعات الرسمية والاحتفالات كما كان مسرحاً للعروض العسكرية وقد حدثت فيه بعض المعارك.

ومن الواضح ان امهار مشيخة العبدلاب سمجي، الاتراك قد كانت له آثار بعيدة المدى على حياتهم، إذ تحولوا من طبقة حاكمة الى طبقة محكومة، واصطروا للتكسب كبقية المواطنين فاتخذوا مختلف المهن وتفرقوا في البلاد^(١٧). وكانت أهم مراكز تجمعهم بعد الخلفاية اغلالية «ومعظم عبدلاب من الاسيداب» والعرياب وابوحراز وعد الشيخ حماع «معظم عبدلابه من المسامير». ويتمى معظم العبدلاب بحلفاية الملوك الى عجيب بن محمد العقيل (١١٠٩ - ١١٢٠ هـ) وتنسب فروعهم الثلاثة الى ابائه الثلاثة. بادى وشام وعبدالله كما يتبين ذلك من مجموعة انسابهم في القسم الثانى من هذا الكتاب.

ولا يقف تأثير العبدلاب في اخلفاية على وجودهم الكبير فيها بل يتعداه الى تأثيرهم على غيرهم من المجموعات فقد تزوجوا من غيرهم ونزوح غيرهم منهم كما هو الحال مع الشايقية العسومب الذين تزوجوا منهم فكان كثير منهم وخاصة بعض اولاد النوا مهاتهم من العبدلاب، كما أن عدداً من المشايخة والجعليلين والضيقلاب والهوراة الهوياب والمعارة وغيرهم أمهاتهم من العبدلاب، فحدة اولاد الفيل بنت الشيخ الامير ودمسار التى تزوجها فضل السيد فامجب منها بابكر والد الفيل والمكى وغيرهما. وحدة اهوياب عشة بن عجيب العبدلانية التى تزوجها دفع الله شابوش. وحدة اولاد بورالدين المغربى عبدلانية الاصل اذ تزوج نور الدين فاطمة بنت حمد وامها ام كلثوم بنت عجيب الفيلة، وقد جاء اسم حماد الذى سمي به اولاد حماد البدرى من جددهم لامهم التى كانت عبدلانية بنت حماد فاسمت ابنها حماد على اسمها، والأمثلة تطول وتفاصيلها بارزة في قوائم الاساب الموصحة في القسم الثانى من هذا الكتاب.

(٣) المشايخة

هم أبناء الشيخ مجلى المدفون في ررنينج بصعيد مصر قرب إسمه ينتسبون الى أبى

(١٧) تاريخ العبدلاب من خلال تاريخ رواياتهم، ص ١٠٢

بكر الصديق رضى الله عنه، والشيخ مجلى شريف من جهة امه بكرى من جهة أبيه،
قدم هو وأخوه أحمد ليلى من اليمن من قرية نُدَّة الى مصر مع أنائهم وإستوطنوا
زرنينج^(١٨).

قدم حدهم الفقيه يعقوب بن مجلى^(١٩) الى السودان في أوائل مملكة الصوبج حوى
عام ١٠٠١ هـ^(٢٠)، ونال الخطوة عند ملك الصوبج الذى زوجه ابنته وأقطعته داره شمال
الحلفاية. وينسب ولد ضيف الله الى المشايخه تخطيط الحلفاية، وقد تعرضوا لذلك في
مقام آخر. وقد توفي الشيخ يعقوب ودفن بجهة الإبريقاب شمال الحلفاية^(٢١)، وخلف
أربعة من الأبناء هم عطا الله وموسى ومحمد رمر وحمد قاصى بندى. وهم ذرية كثيره
منهم الزنارحة المقيمون مع الجموعية بالفتيحات وغيرها^(٢٢).

وسبب تسميتهم بالمشايخه أن الشيخ ريد بن عرمان الحصى الذى ينتسب إليه
الزيداب من الجعليين كان تقياً يحب شر العلم وكان ذا ثروة واسعة فحاءه الشريف
شرف الدين فروجه بنته على شرط أن يستقر في المسجد ويعلم القرآن وعلوم الدين
ويلتزم ريد بما يلزمه وزوجه من المعيشة، وإذا ررق ولدا يجعلهم كولدته في ثروته.
فاستولدها أولاداً ومات عنها، فحاء محمد مجلى ولد يعقوب ولد مجلى من الحلفاية فزوجه
ابنته الشيب على شرطه الأول، فما أمصى ريد حتى توفي وترك أولاداً، فأصبح الناس
يقولون لأولاد الأستاذين شرف الدين ومجلى أولاد شيوخنا، ثم قالوا أولاد المشايخ، ثم
سموهم مشايخه. فالمشايخه أولاد الشيخ شرف الدين أشراف ويعرفون بالشرفدياب،
وأولاد الشيخ محمد مجلى ولد الشيخ يعقوب بكريه ويعرفون بالمحلياب، والكل ينتمون
الى الجعليين^(٢٣). أما أولاد يعقوب غير أولاد مجلى فنزارحة لا هم جاءوا من زرنينج
بمصر^(٢٤). وقد جاءت جماعات من زرنينج بعد الفتح المصرى فسكنت مع الجموعية
وهم الزنارحة أيضاً^(٢٥). ومن أحفاد الشيخ يعقوب المشايخه الشيخ حمد بن مريوم
المنسوب الى أمه المحسية^(٢٦).

(١٨) ماكيكل ٩٢/٢

(١٩) الطبقات ص ٣٧٣

(٢٠) ماكيكل ٩٢/٢

(٢١) الطبقات، ص ٤٢

(٢٢) ماكيكل ٩٢/٢

(٢٣) الفحل، ص ١٠٥ ٦٦

(٢٤) نفسه، ص ١٠٥

(٢٥) نفسه

(٢٦) ماكيكل، ٩٢/٢

وواقع الحال أن المشايخه منتشرون في جهات عديدة من السودان، ومن أهم مناطق تجمعهم جهة كبوشية وبعض مناطق الخريرة، ويسكنون بديم المشايخه بسندر وديم المشايخه بكوشية والقور وديم الفتيحاب وبرى والحريف والمحاتين بمسطة الأبيض . ويتنسب مشايخه الخلفاية الى جددهم الكبير الشيخ يعقوب المعروف نصب العقرب، ومن أحفاده الحاج عمارة الذى أقام بالخلفاية في مرحلة مكرة وتوفى ودفن فيها، وهو موصول السبب بالشيخ ود أبو صفية المدفون بالأبيض، وتذكر روايتهم أن طه ود عمارة تزوج النخيل بت ودصفية وأنجب منها لفكى مصطفى ود طه العالم الخليل في العهد التركى . وتوفى الفكى طه بالأبيض ودفن مع ودأبو صفية . وكانت لابنه مصطفى مكانة عظيمة في تاريخ التعليم بالخلفاية، وكان ينفذ إليه الناس من مختلف الأماكن، وقد كانت له عند الأتراك مكانة كبيرة، ومن ثم فقد أوقف عليه بعض الأتراك بعض السواقي للإتفاق منها على الطلاب والوافدين عليه من الضيوف . ويذكرون أنهم قبل مغادرة البلاد في أعقاب الثورة المهديّة منحوه قصرهم المعروف بقصر فارس أعاء، وكان شرق المحكمة القروية التى هدمت ويعاد الآن تشييدها، وقد تهدم القصر في أعقاب الثورة فلم يستفد إلا من أبوابه وسقفوه الخشبية . وإلى الحاج عمارة هذا ينتسب معظم المشايخه الموجودين الآن بخلفاية الملوك . ومن الواضح أن صلتهم بالهواره كما تذكر روايات هؤلاء كانت قديمة ووثيقة، بل أن كثيراً من الهواره يذهبون الى أنهم بكريون مثل المشايخه وأن جددهم أبوبكر «بابكر» كان معاصراً للشيخ يعقوب، ومن ثم نجد المشايخه موصولى الأنساب بهواره الهنوب إد تزوج حاج إمام ود حاج عمارة بنت النساب إدريس ود دفع الله شاموش جد الهنواب، وأنجب منها معظم فروع المشايخه بالخلفاية، وستعرض لمجهود المشايخه العلمى في مكان آخر من هذا الكتاب . ويكفى أن نذكر هنا أن للمشايخه في تاريخ الخلفاية وحياتها الإجتماعية أكبر الأثر، فكثير من المجموعات الأخرى لهم صلات قريبي هم، ويذكر في هذا المقام صلات القريبي بمشايخه الجريف وبالذات أبناء وبنات الشيخ عبدالرحمن الحادو الذى ينتسب اليه وإلى بناته جماعات من أهل الخلفاية كأبناء الشيخ خوحلى الأفندى من الجعليين والكريقاب وأبناء عبدالكريم من المشايخه والعماس بن عبدالرحمن من الهنواب وغيرهم . ولهم صلات بالعبدلاب والدواليب وغيرهم كما تبرز ذلك قوائم الأنساب المنشورة في مكان آخر من هذا الكتاب^(٢٧) .

(٢٧) انظر جداول الأنساب أرقام ٣٣ - ٤٣

صلة المغاربة بحلفاية الملوك قديمة، وفريقهم في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة المسمى بالبرويس والمقارن التي تحمل اسمهم بين شميات والحماية تشير الى اهم تمركزو قديما في هذا الجزء الجنوبي من الحلفاية، ثم انتشروا منه الى احرار أخرى من المدينة. وكان هذا البرويس يدعى برويس المغاربة لكثرتهم فيه ومن الواضح ان أعداداً كبيرة من المغاربة جاءوا الى السودان أفراد وجماعات قبل سقوط علوة، واستقروا في سوبا وأبودليو والبطدة والكاملين وابوعشر وغيرها، وكما رجح ماكيناكل فإن بعضهم كان يسكن سوبا في نهاية القرن العاشر الميلادي حسب رواية بن سليم الأسوامي. وقد كان عبدالله ود حسوبه المغربي المولود سوبا قد صحب الشيخ إدريس ود الأرباب، وكان والده من قبل سوبا^(٢٨). وما يزال كثرون من هؤلاء المغاربة يعيشون مع قطعانهم في منطقة شرق الخرطوم، وبين أبودليو وعلوان، وبعضهم بالجزيرة واستقر بعضهم قديماً في الحلفاية، وهم مثل بقية المغاربة في المنطقة ينتسبون الى الشيخ أحمد زروق الشدلي التوسلي^(٢٩)، وكما تذكر وثيقة نسبهم المنشورة في مكان آخر من الكتاب (فإن جميع مغاربة بر السودان المنتسبين الى السيد أحمد زروق المعري مجتمعون في السيد عبدالرحمن كونة وأولاده أربعة دخلوا بلاد السودان وهم: عبدالله والد حسونة جد الحسوباب ويتفرعون الى خمسة عشر فرعاً؛ وعلى أولاده سبعة هم: عبدالرحمن جد الكراديس، وعبدالله جد العبدلاب، ومحمد أبو جدية، جد الجدئيب، وأحمد رايد جد الفصالب، وعبيد جد العبدلاب، وكديش جد الكديشات، والنور جد النوراب، ومنهم الشيخ الامين بلة؛ والابن الثالث محمد جد الدسيساب والدروساب والمقيلاب؛ والابن الرابع أبو القاسم وله ولدان على صباح وعمر بن عمر، أما على صباح فأولاده خمسة وهم: أحمد أبيض جد البيضاب، وتاي جد التاياب، ومحمد كوقيلة جد الكوقلاب، وزراع جد الزراعات، وعبكوك جد العبكيبين. أما عمر بن عمر فأولاده الحسناب والخباباب واللقاماب والشوشاب والعاتياب).

ويسمى معظم مغاربة الحلفاية الى الشيخ محمد بحر المغربي القاسي حميد الشيخ أحمد زروق الذي جاء مع الخواجة عبدالدافع الفضلي التاجر الذي كان بمصر فاصطحب هذا الشيخ الى الحلفاية في أوائل عهد الفويح وزوجه ابنته. وتذكر رواية أخرى أن الشيخ محمد بحر العنوم المغربي قد هاجر الى غرب افريقيا ثم جاء مع تلاميذه في طريقه للحج فاستقر بتوتى وهو مدفون بها. ويبدو ان الاستقرار القديم للمغاربة في الحلفاية وما حولها هو الذي حدا بهذا الشيخ وإخوانه من المهاجرين

(٢٨) ماكيناكل ٣١٨/١

(٢٩) الطبقات، ص ٣١٦

(٣٠) ماكيناكل ٣١٧/١، ٣١٦/٢

المغاربة لاختيار الخلفاية وجهة لهم .

وقد أنجب لشيخ محمد بحر أو بحر العلوم في رواية أخرى من زوجته ست النساء اعصلية ابنه عبدالرحمن الذي أنجب سلطان والد الفقيه عبدالحليم والفقيه عبيد، وإلى هذين الأخوين يتنسب معظم مغاربة الخلفاية . فمن أبناء عبدالحليم الفقيه سماحة الكبير صاحب المشرع على النيل الذي يحمل اسمه حتى الآن، وقد اشترى هذا المشرع ومقداره ثلاثة حبال وأوقفه لمن يريد اجتياز المزارع للوصول للنهر من الناس والدواب، وقيل أن الطريق إلى الماء كان يمر عبر المزارع وكان أصحابها يمنعون من يريدون اجتيازها للوصول إلى النهر لأن في كثرة العبور أفساداً للزروع والأرض، ولما رأى الشيخ سماحة حاجة الناس لمكان حال من الزراعة يعبر عن طريقه من يريد الوصول للنهر اشترى هذه الحبال الثلاثة وجعلها مشرعاً عاماً لذلك العرض، وقيل به كد من أهدافه أيضاً محاربة العادات القديمة والأسباب التي كان الناس يباسونها في احتفالاتهم بالزواج والختان، وكان غشيان النهر والتبرك بمائه جزءاً من هذه الطقوس، فأصبح الناس يكتبون بالتطهر بالماء من «بحر سماحة البكف الساحة» فيما يقولون . وكان لسماحة هذا ولائته من بعده شأن كبير في تاريخ الخلفاية والمنطقة كلها . فقد أنجب أساؤه وبناؤه قسماً كبيراً من أهل الخلفاية . وكان حفيده سماحة ودفع الله من عماء الخلفاية، وكذلك به الفقيه أحمد ود سماحة الذي كانت له مع الشيخ إبراهيم الكباشي صحبة، وقيل إنه قرأ عليه بعض كتب الفقه . ومن أحفاده الشيخ الزبير بن الملك محمد نور قدورة، وكان له صحبة مع السيد الحسن الميرعني، وقد تزوج حليفة الرباطي تلميذ السيد الحسن وابن خال الشيخ الحسن بن أبي صالح بن الشيخ الطيب ودالبشير من ريب بت الشيخ الزبير وأنجب منها الزبير ود حليفة وأخته ريب . والزبير ود خليفة كان حجة في تاريخ الخلفاية وأنساب أهلها، وقيل إنه حلف وثائق كثيرة ولكنها لسوء الخط صاعت واندرت . وكان حميد الشيخ سماحة المغربي سماحة ود مضوى من كبار أعيان الخرطوم، ومن كبار خلفاء السيد الحسن أبو حلاية نور، وكان مرله إلى جنوب جنية السيد على وشهل الجامع المصري في أواخر العهد التركي، وستنطرق إلى جهد الفقيه عبدالحليم وأبائه في مجال التعليم في مقام آخر من هذا الكتاب .

أما الفقيه عبيد بن سلطان فقد بلغ من شهرته أن مقبرة المغاربة جنوب الخلفاية سميت بمقبرة العبيداب نسبة إليه، وكانت له قبة قائمة في الجزء الجنوبي الغربي من المقبرة ولكنها اندثرت مع الأيام، وقيل إنها سقطت منذ البداية لعزوفه عنها . وقد ولد عدداً كبيراً من الأبناء والبنات، وإلى هؤلاء يتنسب العالوية العظمى من مغاربة الخلفاية وشمبات وعيرها، فإلى أنه على يتنسب آل الهندى وأولاد أبو شوربات بشمبات وعيرهم، وإلى عبدالفتاح يتنسب أولاد الفكي عبدالقادر والفكي حسن أولاد أحمد ود عبدالقادر، وإلى ابنه النور يتنسب أولاد الدابي وأولاد زروق بالخلفاية وقبة

خوجلي، وإلى ابنه عبدالعال يتنسب العبوشات أولاد إحيمر وأولاد سراج المور من الخعليين بأسمائهم، وإلى ابنه الدليل يتنسب كثير من أهل الخلفاية بأسمائهم لأن الدليل ولد ثلاث نساء، وإلى اسمه السيد يتنسب بعض الدويليب بأسمهم سمحة بنت السيد ود عبيد هذا وللمغاربة صلات رحم واسعة بالعدلاب والجعليين والهنوب والمشاخنة وغيرهم^(٣١)

وكما ذكرنا في مقام آخر فإن الصلات بين المغاربة في الخلفاية وفي غيرها من المناطق كانت واسعة وقوية وبالدات مع سوبا التمدد كان وجود المغاربة بها قديماً وكثير من مغاربتهم من الخدياب، وفي الخلفاية أيضاً يتنسب إلى هذا الفرع النوردينا، المنسوبون إلى جدهم بشيرى الكبير حفيد أبى حذيفة جد الخديب، وإلى الخسويات الذين يسكنون سوبا تنتمى متونة بنت تاجورى ود أحمد ود عبدالله ود حسونة وتبرز هنا أيضاً قوة الصلة بين هذين الفرعين من المغاربة وبين الهنوب الغوارة، فإن نور الدين بن بابكر أمه فزارية بنت دفع لكه شوش جد الهنوب، كما تنسب والدة متونة بنت تاجورى إلى الهنوب أيضاً.

ولقبة المغاربة أيضاً صلات بالهنوب الذين تزوج كثير منهم من بنات الفقيه سماحة وبنات الفقيه عبيد، وتذكر روايتهم أن الفقيه عبدالفتاح بن الشيخ عبيد أخ الفقيه عبدالدفع لأمه، فاطمة بنت ريتا بنت موسى ودهنونة هذا وتنحلى صلة المغاربة بالخعليين والضيغلاب والمشاخنة والعدلاب وغيرهم بطريقة واسعة في قوائم الأنساب الخاصة بهذه المجموعات في القسم الثاني من هذا الكتاب.

(٥) الكواهلة

تذكر روايات أهل الخلفاية الشماهيية أن الكواهلة من أوائل من جاءوا إلى الخلفاية من قبائل العرب، ولم يكن بها سوى بعض العجم، وكانت مليئة بالغابات والحشائش والشعابين مثلما تروى القصص عن منطقة قرى في روايات العدلاب^(٣٢). والكواهلة منسوبون إلى سى كاهل بن أسد بن خزيمة بن مدركة، ويسنون أنفسهم إلى الزبير بن العوام^(٣٣)، بينما ينسبهم السبابه السودانيون إلى المجموعة الحميمية اليمنية^(٣٤). وقد نرح الكواهلة إلى السودان في القرن الرابع عشر الميلادي، واستقروا أولاً بمنطقة السجة

(٣١) انظر جداول الأنساب أرقام ٥٦ - ٧٤

(٣٢) تاريخ العدلاب من خلال رواياتهم من ١٠٩ - ١١٠

(٣٣) الفحل، ص ١٠٩

(٣٤) راجع د. يوسف فضل، العرب والسودان، ص ١٠٦ - ١٦١

واختلطو بهم ، ثم انتقلوا الى البطانة والخزيرة وكردفان وعرب النيل عامة .

ووجودهم القديم في الحلفاية واضح في مقابرهم التي تقع في لُطرف الجنوبي لمقبرة الحلفاية الرئيسية المعروفة بترب الصوارد ، ويميزال الناس يسمون هذه المقابر المتميزة بحجارتها الكبيرة وخُصصى المتائر حولها وفوقها بترب الكواهلة كما ذكرنا انفا ويدو أن أثرهم انحسر قديما ، فلأتذكر المصدر عنهم سوى نسبة الشيخ موسى ودريا بت موسى ودهوبة فإن ريا بت موسى ودهوبة هذه قد تروجها محمد الكاهلي ، وأحب منها الشيخ دفع الله بن محمد الكاهلي العالم الحليل ، وفاطمة أم العقيه عبدالدافع ، وموسى ودريا جد لشيخ محمد نور بن صيف الله صاحب الطبقات لأمه ريا بنت موسى . وسعصل القول في هؤلاء الاعلام في موضع آخر من الكتاب بإذن الله .

(٦) الصواردة والأحامدة :

قوم مسويون الى جدهم صارد أو «صاردى» ، ويدكرون أن صارد هذا أخو جدام وعبدالعزيز محسى ، وكلهم من أبناء ذبيان ، ويرجعون بنسبهم البعيد الى جهة^(٣٥) وهم كقية المحس يتسبون الى كعب الخرحي لأصباري^(٣٦) . هذا ويتسبون في رواية أخرى الى عقيل بن أبى طليب^(٣٧) ، فهم من هذه الناحية إخوان العقلين ولعائلة والعقيلات «العقيلات بمصر»^(٣٨) .

والصواردة من أقدم العناصر حصورا في الحلفاية ، وإليهم تنسب أكر مقابرها المسماة بترب الصواردة شمال المدينة . وقد اشتهر الصواردة بالعلم والورع ، ومن شيوخهم انفقها الشيخ حميد الصاردى^(٣٩) المولود بالكرب قرب المسلمية الذي اخذ عليه التوحيد والعربية العقيه ضيف الله بن على الفصلى^(٤٠) وإليه يتسبب صواردة الحلفاية . ومنهم الولي على بن قنديل «صاردى حد انقيه على بن برى لأمه^(٤١)» ، وأم الشيخ حسن ودهوسة صاردية من أمها^(٤٢) ، ولعل مكانهم كانت بحى أبى حميدة القديم شمال الحلفاية أو قرب مقابرهم .

وقد تفرق الصواردة في مختلف الجهات ، وكانت صلاتهم بالجعليين قوية وبالذات المسيكتاب ، حتى ظن كثير من عامة الناس أن الصواردة من الجعليين ورغم قدمهم في الحلفاية إلا أنهم فيما يبدو قد اصمحلوا بسبب الهجرة الى العيكورة والبحرية عامة

(٣٥) مكايكل ٢/ ٢٤ ، الطبقات ، ١٨٥ .

(٣٦) النحل ، ص ١٠٤ ، عثمان حمدالله . سهم الارحام في السودان ، ص ٢٠٤ .

(٣٧) عثمان حمدالله ، نفسه ، ص ٢٠٤ .

(٣٨) الطبقات ، ص ١٨٥ .

(٣٩) نفسه ، ص ١٨٥ .

(٤٠) نفسه ، ص ٢٩٣ .

(٤١) نفسه ، ص ٢٩٥ .

وغيرها، ولم يبق منهم إلا عدد قليل من الأسر يتصل معظمها بصلات اقربى والنسب مع مجموعة اليحياب الذين يتنسب معظمهم الى قبيلة الأحامدة «وبعضهم يزعم أنهم من الحمدة وهو بعيد» ولكن كثير من أهل الخلفاية يتصل بهم من ناحية الأمهات مثلاً هو الخول مع المجموعة الحميدانية بالخلفاية، فإن كثيراً من أمهاتهم صارديات وكذلك بعض المغاربة والعبدلاب وغيرهم كما تبين لوائح النسب في الجزء الثاني من هذا الكتاب^(٤٢).

(٧) الجعلليون

صدة خلفاية بالجعللين قديمة وعميقة، فقد انتقل اليها كثير من فروع الجعللين واستقروا فيها وتوالدوا وأنشروا في حياتهم التأثير العظيم كالضيقلاب الفضلية والعبوشة العوضية وأولاد ود الإمام الزيدان وأولاد فصل السيد المكابران، وأولاد السيد السميعان، وأولاد البدرى المحمدان وغيرهم مما هو موضح في قوائم النسب المرفقة بهذا الكتاب.

وليس من اليسر على الباحث تتبع المراحل المختلفة التي استقرت خلالها هذه المجموعات، ولا الأسباب التي دفعت بها الى الهجرة جنوباً من ديارهم في الشمال، ويكفى أن نذكر ما ذكرناه انفاً من الأهمية التجارية التي كانت للخلفاية بوقوعها على الطريق التجاري الذي يصل شندى بسائر، وارتباطها بدرب الجمل الذي كان شرياناً دائماً للحركة يمدى المنطقة بالصنعة والشر عن حد سواء، وفي ذلك سبب كاف لوصول أعداد كبيرة من الجعللين للتكسب ثم الاستقرار. يضاف الى ذلك الأحداث الجسام التي كانت تحتاج مناطق الجعللين من جراء الحروب بين أمرائهم وبين أبناء عموماتهم الشايقية التي أحدثت أكبر الأضرار بديار الجعللين ودفعت أعداداً كبيرة منهم الى الهجرة جنوباً. وقد كان لكوارث الطبيعة من محل وجذب وأوثة بصيها الكبير في حمل لناس على الهجرة، ولاننسى الهجرة الخناعية التي فرضها الخليفة عبد الله على الجعللين في أعقاب موقعة المتمة التي قوام فيها الجعلليون بقيادة عبد الله ود سعد سياسة لتطهير هذه التي حاول قادة المهديّة فرضها على الجعللين بقيادة محمود ود أحمد، وبعد هزيمة ود سعد وقتل كثير من قادة الجعللين حمل بقية الجعللين على التوجه قسراً الى أم درمان في أعداد كبيرة من المراكب^(٤٣).

ولم تكن هذه الصلة بالجعللين ذات اتجاه واحد فحسب، بل كان لها اتجاه آخر يتمثل في هجرة العناصر المستقرة بالخلفاية الى ديار الجعللين مما أدى الى اختلاطهم

(٤٢) انظر جداول النسب ارقام ١١٤ - ١١٨

(٤٣) الفصل، ص ٤٣

بهم عن طريق رواح، وترتبط الخديفة بالجعليين بوثاق احمر متين. وكانت هذه المحبرة إما بقصد التعليم في مراكز العلم المنتشرة في ديار الجعليين كقوز العلم قرب شندى التى كان يدرس فيها نصعيروبات ال ريس، وأخذ عندهم العلم كثير من أهل الخفاية، وكذلك خديجة التى كان يدرس فيها من الشيوخ اولاد حمدتو^(٤٤)، وودبانقا^(٤٥) التى كان فيها اولاد بن البقا، والخور شمال شرق المنمة التى كان يدرس فيها اولاد سلمان العوضى^(٤٥)، وغيرها من المراكز.

وكان كثير من أهل الخفاية يرحل شمالاً لتجارة إما في أسواق شندى العامة بالسلع والمكاسب، وإما مواصلي السفر لمصر. وقد اشتهر في ذلك اولاد الدابي امعربى وولاد المنصور اهورى اهورانى، ويكفى أن يذكر هـ بمودجا واحداً لخلق الروابط بين الناس عن هذا الطريق فتذكر رواية لهوناب أن ثلاثة من شبابهم ذهبوا لتجارة الى ديار الجعليين وهم أحمد المنصور وأحمد ود إدريس وإدريس ود التور فتوشحت الصلات بينهم وبين من يتعاملون معهم من الجعليين، وانتهت بأن تزوج أحمد المنصور بنت الشيخ حلف الله س على المحمدابى بصقعت قرب العجيحة وأنجب منها حاج عباس وأصبح حاج عباس الى العمراب وأنجب محمد عباس، وتزوج أحمد ود إدريس بنت الشيخ حلف الله الأخرى فأنجب منها حجارى. وأما إدريس ود التور فقد أصبح الى العمراب فتزوج أم سهمين بنت محمد بن الحاج مكى حميدة الشيخ حامد أبوعصا وبنة أح المكى عبدالماجد والد لصاوى وعيره. وهكذا ارتبط الهوناب بالمحمداب والعمراب^(٤٦).

وقد عرفت خديفة مجموعة من الجعليين الخوارة ماتزل مقابرهم القديمة موحودة الى شمال مقبرة الفكى عبدالمحمود غرب مسجد أولاد الفكى الحسن ود ضيف الله، وهى مقبر قديمة جداً اندثرت الآن ولم يبق منها إلا كوام من التراب، ولا بد أنهم جاءوا الى المنطقة قديماً، ويقال أنهم كانوا من العرب الرحل الذين كانوا يتحذون المنطقة من لدروشاب وشرق الخفاية مرتعا لمواشيهم وهناك حلط واصح في الرواية بين الجوبة والخداب والحاراب، فيذكر بعضهم أن المقابر للحاراب وهم اصلا من اليمن كما سنذكر ذلك في مقام آخر.

ومن الجعبيين الذين عرفتهم المنطقة قديماً المحمداب الذين سلكوا الطريق الموازى للين بصفته العربية، فاستقر بهم المقام وسط اجموعية في منطقة كررى وما جورها، وكانوا من أصحاب الموشى فأقاموا في غرب الليل وأمتدت صلاتهم مع إخوانهم الخجعيين باخلفية، وكان فيها العوصية أمثال أنتاء عوص الكريم العوصى الذى

(٤٤) الطبقات ص ٢٣٦

(٤٥) نفسه، ص ٢٢٢

(٤٦) انظر جداول الاسباب ارقام ١ - ٢٣، ٧٥ - ٧٦

أوجب لغوشيات فأصهروا اليه، فكان من نتاج ذلك أولاد البدرى وأبنائهم أولاد حماد وأولاد قدورة حمري. ومن المحمداً الدين اتصلوا بالشايعية أولاد حسن التوم.

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن امسيكتات وغيرهم من الجعليين الذين من أنبر امهرم أولاد الحاج، دريس وأولاد إحمر وأولاد سراح البور وأولاد لفكي عبدالمحمود الذي درس على الشيخ حمد بن حميدان بمسجد الخلدية، وعاصر دفع الله الكاهلي^(٤٧)، ويتنسب اليه كثير من الجعليين بالخلفاية، خاصة من اتصل منهم بالمغاربية والضيقلاب والعبدلاب وكان من حيران الشيخ خوجلي^(٤٨). وإليه تنسب مقابر عبدالمحمود عرب الخلفاية. وهناك من الجعليين كملكابراب والزيداب من أصهروا إلى الهويبات فنتج عن ذلك الأسر المنتمية إلى فصل السيد المكابري وحاج الإمام الزيداني. ومن النقيبعب الذين اجتدبتهم التحارة أولاد السيد بن أحمد، وكان له مع الشيخ مصطفى ود طه ود الحاج عمارة صحبة وصداقة، فروج الله على السيد من إحدى حفيدات لشيخ مصطفى، وقد أصهر هو وعدد من أبنائه إلى السليمانية من الشايعية الحنكباب بالخلفاية والعيلفون.

(٨) الفاضلاب والضيقلاب

لفاضلاب جعليون مسويون في جدهم فصل اليسر من أبناء شارة بن دياب بن غانم بن حميدان بن صبح يومرنخه بن مسمار^(٤٩) ويرجع أصل فاضلاب جلفاية الملوك إلى قرية أم الطيور قرب الدمر^(٥٠)، وقد جاء جدودهم إلى الخلفاية قديماً لأن طريق درب الجمل الذي يربط بين الدامر والخلفاية كان يشجع على الهجرة والترحال كما ذكرنا آنفاً. وإلى الفاضلاب ينسب الصيقلاب المتمون إلى جدهم صيف الله لكبير. وقد بدأت أسرة لصيقلاب مسيرتها العلمية الكرى مع بروز جدهم صيف الله بن علي^(٥١)، الذي ولد بالخلفاية وتوفي في نجعة ام لحم سنة ١٠٩٥هـ / ١٦٨٤م، وعمره بين الثمانين والتسعين^(٥٢)، مما يعني أن ميلاده بين عامي ١٠٠٥هـ و ١٠١٥هـ / ١٦٠٤م و ١٦١٤م، وهو في ذلك من أئداد الشيخ دفع الله العركي^(٥٣) ١٠٠٣ - ١٠٩٤هـ الذي تلقى عليه موسى ود هنونة العلم^(٥٤). وكما ستمصل

(٤٧) طبقات، ص ١٥٤

(٤٨) نفسه، ص ١٩٦

(٤٩) الفحل، ص ٦٢.

(٥٠) د. يوسف فضل، مقدمة الطبقات، ص ١٥.

(٥١) الطبقات، ص ٢٤٥

(٥٢) نفسه

(٥٣) نفسه، ص ٢١٠

القول في نشاطه العلمي في مقام آخر يبدو أن الشيوخ من قبله في جامع الخلفاية الكبير كانوا من حطة القرآن الذين يحفظونه لخبراتهم دون أن يخصصوا في جواب أخرى من العلم. وصيف الله بن علي هو أول من درس الفقه بجمع الخلفاية، وسار ابنه محمد على طريقه. وكان من رفقاء دراسته الشيخ خوجلي عبدالرحمن وشيخ حمد و أم مريوم والشيخ فرح ود نكتوك وغيرهم^(٥٤). وكان بارعاً في علمه مهاباً ذا حظوة لدى الفونج والعبدلاب، وقد نال ابنه ضيف الله بن محمد من المكانة لدى شيوخ العبدلاب ما جعله عميدهم في القضاء والافتاء في مجلس قضائهم بقرى والخلفاية لما يقرب من خمسين عاماً، إذ انتصب للتدريس والافتاء من سنة ١١٣٠هـ إلى وفاته عام ١١٨٢هـ^(٥٥). وقد ظل الصيفلاب يتولون منصب القضاء في مشيخة العبدلاب إلى أواخر أيام المشيخة، فتولاه منهم الفقيه أبو الحسن دفع الله بن ضيف الله^(٥٦) وتولاه الشيخ محمد النور بن صيف الله صاحب الطمات، الذي كان نابغة عصره في العلم والقضاء ولفضل ويكفي أنه مؤلف الطبقات، أعظم أثر تاريخي عن حياة لسودن الإحتيحية والثقافية في عصر الفونج والعبدلاب. وسفصل القول في هؤلاء الأعلام في المكان المخصص لحياة الخلفاية الثقافية والعلمية، وقد ظل الصيفلاب يحافظون على مكانتهم العلمية برحابة حلقات العلم في مسجدهم وفي مسجد الخلفاية الكبير، ورغم أن المصادر لا تذكر أخبارهم خلال العهد التركي إلا ما أورده كاتب الشونة من وفاة الفقيه عبد القادر و صيف الله عام ١٢٤٦هـ^(٥٧)، إلا أن الصيفلاب يذكرون جدهم الفقيه محمد بور ود الفكي ضيف الله الذي تلقى العلم بالأزهر وذهب إلى استنبول وتولى الإفتاء والقضاء بالخرطوم، وكان منزله قرب مستشفى الشعب الحالي بالخرطوم، وكان من الموطفين معه بالمحكمة من أهل الخلفاية آنذاك فيما يروون حدّ أولاد موسى النقرابي. وقد أصرّ عليه أهله لترك الوظيفة الحكومية والتفرغ للتدريس بمسجد نائه وقد فعل. وقيل إن تلاميذه كانوا يفدون من كثير من أقطار إفريقيا الغربية وبقية أنحاء السودان، وهو من تلاميذ الفكي الأمين ود أم حقين وقد ظل مسجد الصيفلاب يقوم برسالته أيام المهديّة والحكم الثنائي والاستقلال، وما يزال آل صيف الله يواصلون جهدهم إلى يوم الناس هذا في مسجدهم القديم بإمامة الأستاذ عبدالوهاب محمد نور، والجديد بإمامة الشيخ عبدالباقي محمد الحسن، ويقوم على

(٥٤) نفسه، ص ٢٤٥

(٥٥) نفسه، ص ٢٦

(٥٦) نفسه، ص ٦٥

(٥٧) تاريخ ملوك السودان ص ٢٩.

مسجد عبد الملك به دفع الله. وأثر الصيغاب الشرى في تريح الحفاية لا يقل
عن أثرهم العلمى، فمن مجموعة بالحفاية إلا وهم على صلة وثيقة بها كاهنونا
والمدرية والمشيخة والمحس والمصاردة والجموعية والعبدلاب وغيرهم مما تبرره قوائم
الأنساب في هذا الكتاب^(٥٨).

(٩) الفضلية

الفصلية جعدون مسويون الى الفضيل ولد قحطان ولد سعد لمريد ولد الامير
مسار ولد الامير سرار ولد السلطان حسن كردم الفوار^(٥٩). وليس من السهل لتتحقق
من أن فصلية خلفيه هم من هؤلاء الفضلية أم هم فاصلاب مثل الصيغاب.
ولكن الأمر المحقق أنهم من أقدم العناصر في الحفاية، ويبدو أنهم كانوا في مركز
إجتماعى وتجارى كبير إذ يتسبب إليهم الخواصه عبدالدافع لمصلى الذى كان من كبار
التجار بل كان سر تجار وذلك معنى لقب الخواجة لدى أطلق عليه. وكان عبدالدافع
هذا من الذين يتاجرون مع مصر وفي إحدى رحلاته إلى مصر وهو عائد من الحج
التقى بالشيخ محمد بحر المغربى الفسى، فاصطحبه معه إلى الحفاية كما ذكرنا
وروجه بنه. وبالمالى فإن معظم معارفة الحفاية يتسبون للفصلية عن طريق أمهم
هذه. ومن علمائهم الأفداد أبوسرور الفضلى الجعلى الذى ولد بالحفاية من أم
فضلين، وكانت حلاويه في الأطراف الجنوبية للحفاية ولكنه أثر الأعتراب فهاجر
إلى دارفور ودارصليح وبال حظوة عند السلطان عروس سبط دار صليح «١٦٨١ -
١٧٠٧ م»، وقتلته سراريه وهو نائب هناك^(٦٠). ومن مرافقيه في تلك الرحلة أبوريد بن
عبدالقادر الحبر بن الشيخ إدريس ود الأرباب والد ست السالتي تروجه موسى ود
ريا الكاهلى فأنجب ريا أم محمد نور ودصيف الله صاحب الطبقات^(٦١).

(١٠) الهوارة

اهواره قبيلة معربية ارتحل كثير من أفرادها مع القائل العربية والبربرية الأخرى
التي انتقلت من المغرب العربى إلى مصر منذ الفتح لفظمى لمصر عام ٩٦٩ م.
وتذكر روايتهم أنهم نزحوا من المغرب إلى مصر بقيادة السيد محمد بن عبد الله

(٥٨) انظر جداول الأنساب أرقام ٢٤ - ٣٢.

(٥٩) الفحل، ص ٥٤.

(٦٠) الطبقات، ص ٦٠٥.

(٦١) انظر الجداول رقم ١ في القسم الثانى من هذا الكتاب.

الفاطمي^(٦٣) وأصلها مختلف عليه، فعص الباحثين يرونهم من المجموعات العربية اليمية التي هاجرت قديماً إلى مصر وشمال أفريقيا من جنوب جزيرة العرب واختلطت بالقبائل البربرية، وبعضهم يراهم من بربر المغرب، ولا شك أن احتلاط القبائل البربرية بعد لاسلام بالعناصر العربية كان بعيد المدى مما يجعل من زعم الهوارة بأنهم عرب أمراً غير مستبعد^(٦٣).

وكان مقر هؤلاء الهوارة المستعربة في الحرائر وطرابلس وقران، ولكنهم كانوا من أكثر القبائل المغربية هجرة إلى وادي النيل بحيث أنهم كانوا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين من أكبر العناصر المغربية وحوماً في جنوب مصر^(٦٤). وقد أمرهم الأمير برفوق قبل توليه السلطة بعامين (٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) في منطقة الصعيد الأعلى وأقطع زعيمهم منطقة جرجا وما حوفاً، وكنت غايته أن يجعل من الهوارة قبيلة تحمي الطرف الجنوبي لمصر من غارات بني كسر الدولة في منطقة الشلال وأسوان. ولم تثبت هوارة أن اشتبكت مع بني كنز الدولة بالتعاون مع المهاليك مما أدى في نهاية المطاف إلى انهيار دولة الكنوز في جنوب مصر وفي عام ٨١٥هـ / ١٤١٢م زحفت هوارة على أسوان وحاربت بني كنز الدولة وهزمتهم واستولت على بعض المناطق في إقليم أسوان الخاضع للكنوز، ولم ينقذ بني كنز الدولة من هزيمة ساحقة أخرى إلا النزاع والانقسام الذي دب بين صفوف قبيلة هوارة وحملات المهاليك المتكررة عليهم مما أدى إلى تفرقهم فصار قسم منهم جنوباً إلى النوبة وانتشروا في نقاع مختلفة من السودان لشيئاً^(٦٥) واليههم ينسب أهوارة بمنطقة الخرطوم والبحرية وغيرها، وأهواره الزرق الجلابية والهواوير في كردفان ودارفور وغيرها.

ومن فروعهم الشعارنة في الأضية بكردفان ودارفور ومنهم العالم إبراهيم الضو، ومنهم الصكيري بالأبيض واليهود، ومن هؤلاء ذرية القاضي عربي بالأبيض وأولاد اليمنى ومنهم الشيخ الصلحي، ومن ذرية القاضي عربي بحلفاية الملوك أولاد محمد إبراهيم وعثمان عربي والعميد معاش عثمان حسين.

وليس من لسهل معرفة الزمن الذي وصل فيه الهوارة إلى منطقة الحلفاية، ولكن يبدو من دراسة إنتشار هذه القبائل من جنوب مصر إلى السودان أن وجودهم سبق سقوط علوة زمن طويل. ولابد أنهم تأقلموا مع بقية القبائل العربية في المنطقة قبل قيام دولة الفونج، ومن ثم فقد كانوا من أبرز العناصر تأثيراً في حياة الحلفاية الثقافية

(٦٣) عثمان حمد الله: كتاب التعارف والعشيرة، ص ٦٧

(٦٤) ماكهاكل ١/١٥١.

(٦٤) نفسه ١/١٥١-١٥٢.

(٦٥) د. عوض محمد خليفات، ملكة ربيعة في وادي النيل، ص ١٢٢-١٢٤.

والاجتماعية منذ أوائل دولة القونج كما يتضح من نشاط أحد شيوخهم في رواية بعض الرواة، وهو الشيخ هجو بن عبدالله المعروف بالبنداري الذي كان يقيم أولاً في الحلفاية، ثم انتقل الى شرق الحلفاية وأسس مكتبته التعليمي في المنطقة التي تحمل اسمه الآن^(٦٦)

وحفيده إسماعيل سليمان ثم حسين ثم ارتحل أبناؤه الى أم دوم، وكان لحفيده عبدالصاقد بن حسين ود أبو سليمان الهواري شهرة كبيرة^(٦٧). ومن أشهر الهوارة مجموعة الهوناب بحلفاية الملوك الذين يتسبون الى جدهم محمد هنونا. ويبدو أن كلمة هنون هذه لقب أطلق عليه ويرون مناسبة سعيدة ولد له فيها ابن بعد عدد من السات فاستبطاً مهنته وقال لهم. لماذا لا تهنوننا؟ فلصق اللقب به وبكثير من أسائه من بعده. وقد وجدنا في ختام المصحف الذي كان يملكه الشيخ دفع الله شايوش وكتبه الشيخ محمد بن عبد الله بن الشيخ إدريس بن الأرباب^(٦٨)، وأصبح وفقاً للشيخ محمد أبي لكيلك وزير الحمج «ت ١١٩٦ هـ / ١٧٧٦ م». أن نسب الشيخ دفع الله شايوش كما يلي. دفع الله بن إدريس بن حلون عيسى بن هنونة بن عيسى بن محمد الدندراوى النسب، دندراوى هواري والمذهب المالكي. ودندرة بجوب مصر كانت وما تزال أهم مواطن الهوارة، وتذكر روايات الهوناب أن بعض جدوهم راروا دندرة في الماضي وتعرفوا على بعض أقاربهم ولم تكن الرحلة من حوب مصر الى منطقة الوسط هذه سهلة ميسورة، بل تخللتها الصعاب، وكان بعض عشيرتهم يتحلف في الطريق، ومن ثم بقي عدد من الهوارة الهوناب بأرض المناصير، ويقولون أن أحفادهم ميرالون هناك، ومن أجل ذلك سمي أحد جدودهم المسمى المصور بن شكر الله بالمصوري، إما لأنه ولد في منطقة المناصير أو لإقامته لفترة في ديار المناصير، أو تسمية له باسم بعض جدوده الذين أقاموا هناك، وما يزال أحفاد هذا الشيخ يلقبون بالمصوري والمناصير.

وتذكر رواية الهوناب الهوارة أن جدوهم الكبير نزب بأطراف الحلفاية، وأنه سابق أو معاصر في ذلك لشيخ يعقوب بن مجلي، ويذهبون الى أن سبتهم ترجع مثل المشايخة الى عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، وأنهم بذلك بكرة، وقد تصل بعضهم هوارة مصر وأخذوا منهم النسبة التي تؤيد ذلك الزعم، وفي غيبة الوثائق التاريخية التي تسمى أو تؤيد هذه المقالة فإن الموضوع يبقى مفتوحاً للبحث وعسى أن تكشف الأيام جلية الأمر.

(٦٦) الفحل، ١٠٧ - ١٠٨.

(٦٧) نفسه، ص، ١٠٨، الطبقات، ص ٢٦٩.

(٦٨) انظر صورة هذه الوثيقة في ملاحق الكتاب.

(٦٩) انظر جداول الانساب أرقام ٢ - ٤.

ومن الواضح أن هؤلاء الهنونا كانو على قدر كبير من العلم، وأهم كانوا حفظة التراث العربى الإسلامى، ومن ثم فقد ارتبط بهم إنشاء مسجد الخلفاية الكبير كما تبين ذلك عند الحديث على حياة الخلفاية العلمية والثقافية. وكان اهتمامهم بالتجارة يدفعهم الى الترحل فى طلب الرزق، فكانت شندى من مراكزهم، وكثير منهم كان يتاجر مع مصر، مثلما كان يفعل موسى ود ربا، الذى ذكر صاحب الطبقات إحدى رحلاته لمصر ونزوله بدفلا فى خلوات الشيخ محمد قيل فى انتظار الجلالة^(٧٠). وروى عنه أيضا ما شاهده فى مصر^(٧١) ويذكر الهنونا أن حدثهم الريح الإحيمر تروج فى إحدى رحلاته الى مصر وولد له ولد يدعى يس وأن هذا الإبن حضر الى السودان والتمى بأهله فى الخلفاية، وما يزال أحفاده بمصر موجودين فى عواصم القديم. وقد كان حاج عباس ولحاج محمد ود إدريس باع طويل فى التجارة، وكان حاج محمد هذا من كبار التجار الذين يتعاملون مع مصر، واستقر لفترة بالأبيض وكان من كبار تجارها معاصراً حاج أحمد الدابى فى أواخر التركية وأيام المهديّة الأولى. وكان مجموعة من الهنونا يعرفون باسم أولاد الخواجه «وهو لقب لصاحب المال»، لديهم وبمقدورهم منهم الشيخ بانقا وبالبشير وبانقا ود الحدرى^(٧٢).

وتذكر روايتهم أنهم لمودهم الكبير فى الخلفاية كانت هم مكوكية خاصة بهم منحهم إياها وزراء الهمج. ويبدو أن علاقتهم بالهمج وبالذات بالشيخ محمد أبولكيلك كانت قوية كما يبدو من الوثيقة المسجلة بحتم مصحف الشيخ دفع الله شابوش، والى أوقف بمقتضاها المصحف للشيخ محمد أبولكيلك ويقولون إن أبناء الهمج كانوا يتلقون العلم على الشيخ دفع الله، وتقديراً لعلمه ومكانته منحوه المكوكية ومستلزماتها، ولكن شيوخ العبدلاب بالخلفاية اعترضوا على منح تلك المكوكية وقالوا لا تكون مكوكية مع مكوكيتنا، ولكن الهمج فيما تذكر الرواية أزرؤا الملك دفع الله شابوش وفرصوا مكوكيته على العبدلاب، وهى مكوكية خاصة فى قومه الهنونا.

وقد ظل شيوخ الهنونا يتوارثونها حتى سقوط دولة الفونج. ولعل لهذا السبب كان خلاف أولاد الأحيمر مع أولاد الملك محمد نور قدورة أمام الشيخ أحمد عوض الكريم أبوسن مدير الخرطوم فى العهد التركى حول شياحة المنطقة من حجر العسل للحلفاية التى حسمها المدير لصالح شيخ الزبير محمد نور، ولما استأنف الهنونا الحكم لدى الباشا التركى بمدنى قيل إنه إنتصر لهم.

(٧٠) الطبقات، ص ٣٥٠.

(٧١) نفسه، ص ٣٢٢.

(٧٢) عثمان حمد الله: كتاب التعارف والعشيرة، ص ٦٧.

وقد ظل المهوداب يحافضون على هذه التقاليد في كل المناطق التي يذهبون إليها مثلما فعلوا في كثير من مناطق الجربة التي انتقلوا إليها مثل المكى بسطى ود ناسعيد وهو من حلفاء السيد محمد عثمان الميرغني والسيد الحسن وله خلوته في برنكو قرب اهلالية وقد اشتهر بالصلاح والتقوى ورعاية احوال المسكين. وكان ممن عرفوا بالعلم وحسن التأليف وجمال الخط والكتابة الشيخ عمر ود عبد الله. وكان بعض رسائله محفوظ لعهد قريب. وكان المكى محمد علي ود بباكر من اقداد الرحال. وقد ذهب الى مصر لتلقي العلم، ومثله الشيخ عمر ود محمد ود إدريس الذي ذهب الى مصر وتزوج هناك. وكان الشيخ الحسن ود احمد لاجيمر من الحفظة لمخودين وللمهوداب صلات واسعة وقوية مع المجموعات الأخرى، فقد تزوج كبارهم من بنت شيخ عياد المغربي ولسشيخ ساحة المغربي. ومعظم مشايخ الحلفاية من أبناء بنت النساء إدريس بن دفع الله شايوش التي تزوجها حاج إمام ود حاج عمارة المشيحي ليكري وقد ذكرنا انما صلتهم بالمجموعة والحليين والضيقلاب وغيرهم (٧٣)

(١١) الدواليب الركابية

الدواليب بن من بظون الركابية مسويون الى جدهم دويب بن محمد كرى بن تركي بن عريبي بن حماد بن حاج بن عبد الله بن ركاب علام الله ومقرهم الأساسي دنقلا، وقد أنجب دويب بن محمد إدريس ونابري ومكي ومدى ودفن بالدبة (٧٤) وأنجب إدريس محمد دويب، وهو دويب الكبير، وأنجب محمد دويب محمداً الذي أنجب عبداهدي، وولد لشيخ عبداهادي الشيخ السيد وأمه صاردية من الحلفاية، كما أنجب الفقيه نابري من أم مشيحية من الحلفاية أيضاً. ويذكرون في رويتهم عن هجرة الفقيه عبداهادي بن محمد من دنقلا واستقراره بحلفاية الموك، فيقولون إنه نشأ وتعلم بدية الفقراء في دنقلا موطن آبائه وأجداده ثم حدث أن شخصاً قتل آخر فطلب أهل القاتل من الفقيه عبداهادي أن يذهب الى سر ليشمع بمقاتل عند السلطان نادي أبوشموخ بن السلطان نول، وذلك لما عرف عنه من احترام وإجلال للعلماء والصالحين، ولم يتوان الفقيه عبداهادي في الاستجابة للطلب، فشد الرحال الى سار، وفي الطريق نزل بالحلفاية ضيفاً على رجل من ابصودة من دوى ثراء وامكانه يدعى عبد الوهاب الصاردى وفي المساء لاحظ الفقيه

(٧٣) انظر جداول الانساب أرقام ١ - ٢٣

(٧٤) الطبقات، ص ٢١٤.

كثرة العمال الداخدين على منزل الصاردى وحملهم اقدر الكبير من الذرة مما لفت انتباهه فاستفسر عن الأمر فبين له إن الشيخ عجيب فرص عيفة الخيل على عبد الوهاب الصاردى لسعة ماله وغناه فقال له الفقيه عبد الهادى إن شاء الله ستكون هذه آخر مرة يؤخذ فيها الذرة.

وتستمر الرواية لتذكر أن الخيل صلت طول الليل تحول أكل لندرة فلم يمكنهم ذلك، وكانت دهشة القائمين على أمرها عظيمة حين وجدوا أن ما اعتبروه ذرة هو في واقع الأمر حصى، فهرعوا لها بجل وأحبروه به حدث فعصب من الصاردى وحرأته في إطعام خيله الحصى، وأرسل في طلبه، وفي خلال ذلك استفسر عمن كان البارحة يدار الصاردى فأخبروه بالصيف عبد الهادى ود دوليب فأدرك بحسه الواقعى أن لا بد أن يكون هذا الصيف رجلاً صالحاً فعفا عن الصاردى إكراماً للفقيه ولم يترك عند الوهاب الفرصة ثم دون أن يعرض على الفقيه عبد الهادى أرواح من إحدى بنيه موافق على رواح الصعري بعد عودته من سنار. وفي طريق العوده من سنار برل مرة أخرى بالخلفية لأتمام مراسم زواجه من الصاردية، ولكن الناس حسبنوا لأبيها استبد لها بأختها الكبيرة التي لم تكن على حط من الخيال مثل الصعري، وفي ليلة الرفاف آخر اخيران الفقيه بإحدى، فقال لهم دعوها فإن فيها إناً صالحاً، وفعلاً دخل بها وأحب منها ولده السيد المشهور بالتقوى والصلاح وسماه، وبروح عبد الهادى من المشيخة فأحب الفقيه ندرى، وظل عبد الهادى بالخلفاية إلى أن توفاه الله وقبرها. وتفرق أبناؤه بين الخلفاية والكندرو.

والواقع أن صلة الدواليب بالخلفاية أقدم من ذلك، إذ كن محمد ولد دوليب^(٧٥) الذي جمع بين العلم والعمل، واشتغل بتدريس الفقه وتحصيل كتبه ومطالعتها، وجمع كتباً كثيرة كشرح الأجهوري والحراشي وغيرها وكان ورعاً تقياً لا تأخذه في الحق بومة لائم غير مكترث بالملوك ومن دونه وكان على صلوات بأهل الخلفاية وقد أرسل له الملك أوسمة من ناصر يقول له: (حوارك على ود شابوش طعن حمال رفيقى محمد ولد مصطفى هل يقوم بجي). فجاءه قواد الملك فقال له: ملك الفونج أرسلنى إليك فقال له: أسألك الله والرسول وكتبى هذه رفيقاتى ما يعرف احداً رفيقاتو الكدايس الحراشات الكتب). وحين أغار عثمان ود حمد الشانقى على دار الجمعية وسبى خدماً للفقيه إمام بن الفقيه موسى الجعلى من أهل الخلفاية جاءه واقعاً عليه وقال له: (أنا رجل جعلى بدورك ترد لى فرختانى من عثمان، فذات يوم قم الجعلى الفحري بيقراً القرآن

فناداه وقال له: انت تحفظ القرآن. قال له: انا حافظ ومجود وأبوي كذلك، فلامه
 وور له: تقرب من جعلي والله قال: أكرمكم عند الله أتقاكم! ما قال جعليكم).
 وأرسل ابن عثمان فرد عليه جواريه^(٧٦). ولعله هذه لصلة لقوية بالخلفاية جاء ابنه
 عبداهدي محمد دويب الى الخلفاية واستقر بها وأبواؤه من بعده ورث عبداهدي
 تنسب القبة المشهورة بقبة ولد دويب.

وتشير وثائقهم^(٧٧) الى الاراضي التي منحها لعدلاب والفوج للشيخ محمد
 السيد. وأشارت وثيقة منها الى أن محمد السيد وعمه دويب اتصلا بالشيخ عبد الله
 والشيخ مسهر، ويعلم من هذا أن شيخ عبداهدي قد توفي من أخيه دويب، وأن
 محمد السيد توفي رعدة لأسرة بعد أبيه الذي يحتمل أنه توفي في عهد السلطان يدي
 بن نور. وبذلك الوثائق على أن تصالات الدويب بدأت بالسلطان يدي بن نور ثم
 امتدت بعد ذلك الى شيوخ قرى والخلفاية وحكام مقاطعات.

وكان شيخ عبداهدي بن محمد مكة رفيعة وشأن عظم في بلاط مسهر، وقد
 تأكدت هذه مكانة وقويت على يد محمد السيد وعمه دويب واتسع نفوذهم الى بلاط
 قرى والخلفاية والولايات السابعة له. وتولى الشيخ رين العابدين بن السيد لورره
 لوزير دريس. وكان لوزير السلطان ورراء في عهد الفونج، وفي ذلك دلالة على
 المرتبة الاجتماعية والسياسية التي منحها الدويب.

وكان لدويب حلاويهم ومجلس علمهم بالخلفاية، فكان الفقيه دويب بن محمد
 معاصراً، لقبه ضيف الله بن محمد «١١٠٧/١١٨٢ هـ». وما يرويه عنه صاحب
 الطبقات إنه قال: (رأيت في المنام قتيلاً يقول: الفقيه ضيف الله [ابن محمد] قام مقام
 الشيخ حوحي صلواته على النبي ﷺ).^(٧٨) وول من سكن الخلفاية الفقيه
 عبد هادي بن محمد، وكان ذا مكانة علمية مرموقة، وقد ذكر ودصيف الله حكمه هو
 والشيخ عوض الكريم حول ولاية الشيخ يعقوب والشيخ محمد سوار ادهب ومن
 السميح شيخ العدلاب بقرى «حوالي ١١١٨ هـ» وتحكيم دفع الله بن محمد الكلعي
 «١٠٨٠ / ١١٢١ هـ» في ذلك^(٧٩).

أما الفقيه نابري بن عبداهدي فقد ولد كما رأينا بالخلفاية وحفظ لقران بمسجدها
 على أعميه دفع الله بن محمد لكاهلي «١٠٨٠ - ١١٢١ هـ». وقرأ حبيب على عمه
 لعقيه صغيرون في دنقلا، وعلى الفقيه ضيف الله بن عي، وسلك الطريق على الشيخ

(٧٦) نفسه، ص ٣٤٨

(٧٧) ابوسليم. الفوج والاراضي، ص ٥٩ - ٨١.

(٧٨) نفسه، المقدمة

(٧٩) الطبقات، ص ٢٤٨.

(٨٠) نفسه، ص ٢٤٨.

محمد ولد الطريفي في أبو حرار، وطال عمره واشتهر ذكره وله خمسة وسبعون سنة ظل يشتغل فيها بالذكر والعبادة والتجرد لذلك ومدة عمره ما اشتغل ببيع ولا تجارة بل شعلته الذكر والعبادة ودهن بالخلفاية^(٨١) في مقبرته المسماة برب ديري شمال الخنفاية . وكانت دياره بالقرب من هذه المقبرة، ويقال إن شيخ العبدلاب ٥٠ قد وهبه موضع ديرة هذا إكراماً له . ويروي صاحب الطبقات على لسانه تقدير علمه عصره لشيخه دفع الله الكاهلي حين كان بديار الشايقية في حضرة الفقيه عبد الرحمن ود حج فقال لبايري: أين أمك؟ فقال له: في الخلفاية فقال: خلفية دفع الله، فقلت له وأنا حواراه، فقال أشهد إنك سعيد^(٨٢)

وقد كان لدواليب صلات حميمة بالفونج والعبدلاب ووراء الفونج من الهمج، وكان سفر لفقيه عبادهادي إلى سنار للشفاعة في قضية القتل التي رويتها دليلاً على مكانته عند ملوك سنار. ومن ثم لا عجب أن رأينا كثيراً من الدواليب يحتلون أكبر المناصب في دولة الفونج ورغم صلاتهم بملوك سنار وشيوخ العبدلاب الذين منحوهم كما رأينا كثيراً من الأراضي إلا أن السلطة الحقيقية لم تكن في أيامهم ومنذ أيام ددي أبوشلوح في أيدي الفونج أو العبدلاب، بل كانت في يد وزراء الهمج الذين أصبحوا منذ أيام محمد أبولكيك يتصرفون في الدولة وكأنهم الحكام الفعليون، فهم الذين يولون الحكام وهم الذين يعزلونهم في سنار وقرى والخلفاية. وبالتالي فقد كانت صلة الدواليب بهم أقوى وبلغت منزلتهم عندهم شأواً بعيداً إذ نال زين العابدين ولد السيد لقب الأرياب، وهو شرف كبير لا يناله إلا لحاكمون من أصحاب السلطة وقد تولى الأرياب زين العابدين الوزارة لشيخ الهمج إدريس الذي تولى الشياخة أوائل عام ١٢١٣ هـ^(٨٣)، واستمر يتولى تصريح منصبه لأكثر من ثماني سنوات إلى أن قتل عام ١٢٢١ هـ في مكان بكسل اسم الهربة حين التقى ودرجب من اضمج وود ناصر على رأس جيش لفونج وتناوشوا الحرب فقتل الفقيه زين العابدين ولد السيد وأمرهم ودرجب إلى العيفون^(٨٤) وقد كان الفقيه زين العابدين من الفقهاء الذين يحضرون مجلس الشرع في قرى والخلفاية، وقد ورد اسمه شاهداً في إحدى وثائق النزاع الخاصة بالأراضي، وقد نظرت القضية أمام شيخ الخلاوين^(٨٥) وواصل السيد ولد زين العابدين مسيرة والده، وقد كان عالماً فقيهاً عاملاً في خدمة

(٨١) نفسه، ص ٣٦٧

(٨٢) نفسه، ص ٢١١، انظر جداول الانساب أرقام ٤٤-٥١.

(٨٣) تاريخ ملوك السودان، ص ١٣

(٨٤) نفسه، ص ١٦

(٨٥) أبوسليم: الفونج والأرض، ص ١٤١.

الدولة مع وزراءهم، هاجم إلى أيام وصول الأتراك إلى السودان وقد وقف إلى جانب المعارضين للأتراك، فبعث إليهم أسعيل باشا بعد استقراره بسدر عام ١٢٣٦ هـ جيشاً إلى شرق النيل، وكان حسن ود رحب وزيرهم قد أعلن الثورة عليهم فطاردهم وقتلوا بعضاً من جماعته ومن بينهم الفقيه السيد ولد رين العابدين^(٨٦) ويصل باندويت والمشايخ أسره الخافضات المسويون إلى حدهم عبد الحافظ تلميذ الشيخ عذاهادي محمد دويب وزوج إبنته توتى التي أنجبت بدرى المسمى عبي حله بدرى بن عبد هادي، ومن بدرى هذا نعتت الأسره في هروغها المذكورة في جدول الأسباب في القسم الثاني من هذا الكتاب وللخافضات وجود في حلقاته الملوك وم دوه وام درمان والكدر و غيرها. والهم ينسب لفقيه عامر بن عبد الحليل تلميذ الشيخ حوخل ومعاشر الفقهاء النور بن عبيد المعري وعبد الدافع وصيف الله بن محمد وعبد المحمود بن عبد الحميد وموسى ابن رن وغيرهم ويرد اسم الفقيه عبد الحليل بن عامر مع الأرباب رين العابدين بن السيد من ضمن أعوان أو وزراء وزيرهم إدريس في أواخر أيام العبدلاب^(٨٧).

(١٢) الدواريت

الدواريت مسويون إلى قرية ديروط، الشريف في صعيد مصر بسيوط، والوحيد منهم ديروطي في الأصل فحرفت نسبة إلى داروتي ودواريت، وفي ديروط الشريف هذه يقوم مقدم جدهم أحمد الوقاد بن أحمد الأصغر، وهو رجل شريف صالح لقب بالوقاد لأن صريحه أوقبه كانت تتقد فسمى بالوقاد والدوريت مزيج من المصريين والأتراك، إذ هاجر جدهم محمد ابن الشيخ أحمد الوقاد إلى السودان قبيل دخول الأتراك أو في أواخر عهدهم، وكان متزوجاً إلى سيدة تركية اسمها هلالية بنت رحاب أنجبت منها له جاءه إلى السودان واستقر بالحديدة. وفي الحفاية النقى بالقائد التركي محمد أمد باشا الأورفي الذي كان يشرف على إدارة الحفاية وموطنه لأصبي مدينة أورفي تركيا، فكان أن تزوج هذا القائد لتركى منه الشيخ محمد الوقاد المصري ونجم عن ذلك أفراد هذه الأسرة العريضة المعروفة بالدواريت. ومات محمد

أمد هذا بدارفور وكان محمد أحمد لداروي يعمل بالتجارة إلى السودان وعمر طويلاً وتوفي قبل المهديّة. ومن أولاده عبدالمسي وصالح وقد عملا بالتجارة أيضاً وعرف الشيخ صالح بالعلم والمعرفة وحفظ لقران على الفكي هاشم وعمل معلي

(٨٦) تاريخ ملوك السودان، ص ٢٢

(٨٧) بصفت، ص ١٩٥ - ١٩٦، وانظر كتاب لشوبه، ص ٤٢، نظر جدول لأسباب الاردم ٤٩ - ٥١

لنقرآن مخلوة ود صيف الله، ولصلاحه تروح إحدى بنات ود الحسن ود صيف الله ولم يسحب منها.

ولم تقف صلات الدواريت على هذين الفرعين منها بل تعدتها إلى غيرهم من العناصر فأصهروا إلى عائلة الشيخ على طلبة وهو عالم مصري كان يدرس القرآن وتعلم في الهندية بأمدردمان وكل أبناء عبدالقادر بن عثمان الداروتى من أحفاد هذا الشيخ الخليل ولهم أهل برفعة، ومن أحفاد الشيخ على طلبة الأستاذ المرحوم على حسنى من رجال التربية وهو أحد أبناء خنولتهم ولهم نسب كبير مع قبيلة الخوامعة بأم رواتة من طهر جددهم عبدالماجد بن عبدالنسي الداروتى. ولهم فرع أصيل في ودروه من جددهم إبراهيم أغا شمس بن محمد أغا الذى كان شيخاً للخط بالجيل ومركزه التمانيات ولكنه رفض أن يتولى إدارة الخلفاية لأن أهله فيها وهو لا يريد أن يحكم أهله وأثر أن يتولى إدارة أجزاء من الجزيرة من بينها العبدح وودراوة التى تزوج فيها، كما تزوج من أهله بالخلفاية ولهم صلات قريى ونسب بعائلة الخراسانى الشهيرة بأمدردمان، وتزوج جددهم صالح عبدالنبي مريم الجعلية وأنجب منها عدداً كبيراً من الأبناء والبنات. وقد أصهر لشيخ أحمد سعيد إلى الخوخلاب بالقبة.

وظل الدورب كقبه أهل الخندية طوال العهد التركى وعهد لمهدية والحكم الثنائى يصيبهم من الأحداث ما يصيب بقية مواطنيهم، وقد انتقلوا في عهد الخليفة مع بقية السكك إلى حور شمبات، ومسكنهم ومقابرهم هناك معروفة. وقد ترك كبارهم أعظم الأثر في تطور الخلفاية والسودان عامة.^(٨٨)

(١٣) الشايقية

فرع من الخعلين مسوون إلى جددهم شايق بن حميدان شقيق عاصم بن حميدان حد الجعلين، اشتهروا بالشجاعة والحرب، وقد دفعتهم ظروف المنطقة التى استقروا فيها أحياناً إلى شن الغيرة على من جاورهم ومن بعد عنهم، وقد وصلت غاراتهم في بعض الأحيان إلى كردفان غرباً ومحمد قول شرقاً، وشقوا عصا لطاعة على الفويج وحاربوهم بقبده عشر ود حمد العمراسى، كما أعاروا على اسوية في دنقلا والمحس، وامتنعوا عن دفع الحرية للمعدلاب وكنت مطقتهم تقسم إلى أربعة ممالك هي:

- (١) مملكة الحكاب وأشهر ملوكها املك صير (٢) مملكة لعدلاب وأشهر ملوكها الملك حاويش (٣) مملكة كجى (٤) مملكة العمراب.

وقد ظل صراع الشايقية محتدماً خلال القرنين السادس عشر ولسابع عشر حتى

(٨٨) انظر جداول الانساب أرقام ١١٩ - ١٢٢

حققوا إستملاهم على القويح والعدلاب في أواخر القرن السابع عشر، ولكنهم طردوا مع ذلك يعيرون على العدلاب وغيرهم حتى محى الأتراك وقد كانوا بالفعل أكبر قوة في المنطقة عند دحون الأتراك للسودان، وقد حاولوا تصدى للأتراك، وحين عجزوا عن ذلك تحالفوا معهم وساعدوهم في كثير من المواقع، وعملوا موظفين في دولتهم وكان منهم عدد كبير من القادة العسكريين في الجيش، فسحبهم الأتراك بحق الخيرة العسكرية كثيراً من أملاك السعداب والقيعاب منطقة الجعليين وبعض أملاك السعداب وغيرهم خلفية بعد مقتل إسماعيل باشا ومطاردة الدفتردار للجعليين والعدلاب في أعقاب أحداث شدي والحلفاية^(٩٠). ويذكرون أن بعض الماوشات المحدودة قد دارت بينهم وبين العدلاب في لنديه، وكان على رأسهم ثلاثة من فوادهم هم حمد أب قبالة والفحل ود عمارة ولأمين ود السو، لكن سرعان ما عاد النصف واليوم بعد إستقرار الأمور. وقد تصدى عدد كبير من فوادهم لحركة المهديّة، فكان صالح المث قائد جيش الأتراك في الجزيرة، ولم يستسلم إلا بعد مقاومة كبيرة بعد أن صم له الشيخ العبيد ود بدر شروط مرصية، ولكنه مع ذلك لم يسلم من الحسن إذ اتهمه المهدي بالتعاون سراً مع غردون^(٩١)، وكانت علاقته الوطيدة بسلاطين دشا ما جر عليه امشاكل كما يذكر سلاطين في مذكراته^(٩٢). وقد سقط في مقاومة المهديّة عدد من الشايقية منهم طه أبو سدر الذي قتل مع حوالي أربعائة من شايقية اخفديه مع الشلالى باشا في عدير، ومنهم الملك يوسف الذي ذهب بالوابور لمقابلة الشريف أحمد ود طه ليشنيه عن مناصرة المهدي فقتله الخلاويون عند رجوعه للوابور، وثار الشايقية لمقتله وحاءوا من القصارف والحلفاية بقيادة صالح المث فحاصروا الخلاويين في حلة الشريف بالجزيرة وأوقعوا بهم إنتقاماً لمقتل الملك يوسف. والواقع أن لشايقية كانوا من أكثر الناس معانة من المهديّة، فبلى جسد سجن كثير من قياداتهم محرمهم خليفه المهدي مع بقية أهل المنطقة لي حور شمبات عام ١٨٨٥م. وقد نجم عن المهديّة أن كثيراً من الشايقية فقدو ووطنفهم العسكرية، وأصطر بعضهم مثل بشير نصر وبعض أبناء عمومته إلى الانضمام إلى على دينار وأعمل في خدمته، وأصطر غيرهم إلى البحث عن الرزق في مجالات التجارة والزراعة والحرف الأخرى.

ورغم أن حلفية الملوكة عرفت في تاريخها الطويل أعداداً من الشايقية إلا أن إسفرارهم على شكل جماعي تم في أعقاب فتح الأتراك للسودان، إذ جاءوا مع

(٩٩) المحسن، ص ٥٦، يوسف نبيح حرصم ص ١٠ - ١١، هل. عن تحريم العام الاسلامي، ص ١١٣

(٩٠) مشورات المهدي، وزارة الداخلية، ج ٢ ص ١٩٢ - ٥.

(٩١) سلاطين: السيف والبار، ص ١٢٣.

الحيش التركى، ومعظم من جاء إلى المنطقة من العدايات من مجموعة مروي ومجموعة عسوم إلى جانب بعض الحنكأب الذين هاجر معظمهم إلى العيصور ولم يبق منهم إلا السليمانية. وقد هاجر بعض العدايات إلى الجزيرة مش الأمان إلى الوادى عرفت محطة ود الوادى الجزيرة باسمه. ويقال إن تفرق الشايقية في أنحاء السودان لم يعجب الأتراك لحوقهم من بنسهم، فكثرت سياستهم تركيزهم في الخدية بسطرة على تحركهم، وبذلك كانت الحلفاية من أكثر أماكن تجمعهم، وفيها ممثلين لكل البيوتات الكبيرة خاصة من فروع العدايات المختلفة. وفي حلفاية عدد كبير من أحفاد ملك حاويش الذى كثرت والدته من الحنكأب، وفيها من أحفاد الأرباب على ود دياب بدى شنت معركة بين مجموعتين الشايقية بسنة قبل مذبحة الأرباب، فأصلح بينهم مشايخهم من بدويكية فتوحدت صفوفهم في مواجهة اسماعيل بشا الذى كان يفوقهم عدة وبطياً، وإلى الأرباب على ود دياب ينتسب أولاد صالح الملك

ورغم وحدة أصول الشايقية في حميتها إلا أن حشهم للإستقلال والتمرد وعدم الخضوع لغيرهم جعل منهم مجموعات لكل منها قائدها وملكيها، وذلك ملحوظ في شايقية الحلفاية العدايات، إذ أنهم مقسمون على وجه العموم إلى مجموعتين إحداهما مجموعة مروي بسنة لبلدهم من أسماء الملك حاويش وجددهم محمد سميح، ومجموعة عسوم نسبة إلى سدهم أيضاً، وعلى رأس هؤلاء أولاد الوادى وحدهم عبدالهادى، وقد صل لكل مجموعته موكبه وشيوخه، وكان موكب الشايقية العدايات لحفوية الملوك على النحو التالى:

١/ الملك الفاضل ود الملك حاويش الكبير

٢/ الملك حاويش الصغير بن الفاضل

٣/ الملك ود محمود بن حاويش

٤/ الملك يوسف بن ود محمود

٥/ الملك حمد بن ود محمود

وبدحوال الاحليل السودان انتهت المملكة واصبح للشايقية عمدتهم كما نبين في مقام آخر.

وقد لعب شايقية الحفوية دوراً بارزاً في حياة الحفوية وفي حياة السودان عامة، فإلى جانب دورهم المشهود في العهد التركى، كان هم دورهم في مهدية، فقد حاول بعض قادتهم مثل صالح ملك مدارة المهديّة رغم حاله معها، ويقال أن المهدي وحليفته كما يخشيان باسمه، وقد كانت له مكانة خاصة بعد خروجه من سجن المهدي، ومسحه الخليفة مكاناً خاصاً على شاطئ النيل قرب أب روف يسمى احدير لتعجير أهله

لشايقيه اليه، في حين كان معظم اهل الخلفاية يخور شمبت. وبعد اذهدية إستعداد لشايقيه مركزهم في الحكم الشائى، فكان عدد كبير منهم في الجيش مثل صالح حامد شدا، وبشير بك كمبر، وبشير بك نصر الذى كان من ورراء السلطان على دينار ومن خاصته، وقد تزوج من المور وأنجب منهم، ولكن السلطان تنكر له وقيل إن السبب في ذلك ان يرم روحه السلطان حين عمدت بقدم حش الانجليز الراحف على دهور بقادة هدلسون وبشير بك كمبر، قالت للسلطان إن بشير بك لا يمكن أن يقف معك ضد بن عمه، فاصرها السلطان في نفسه، وعزم على التخلص من بشير نصر ندى أدرك المكيدة فهرب مع ابن عم له، وتعاون مع الجيش الغازى وكان ذلك مع عجل بنهاية السلطان على دينار عام ١٩١٦م. وقد نبذ في مكان آخر المناصب المحمية التى تحتلها بعض قادة الشايقيه كملوك وعمد ومشايخ. وكان لشايقيه من أثر لقيادة العسكريين، وكان شايقيه الخلفاية في مقدمتهم، ويكفى أن يذكر الناس صالح لمث وحامد صالح الملك وبشير كمال والعمدة بشير نصر الذى كانت له صلات ود مع كل أهل الخلفاية، ويذكر له الناس مساعيه في لإصلاح بين الناس، وفي اوقوف أمام تغول المفتشين لانهلج على حقوق الناس خاصة في الأراضي ولا بد أن يذكر الناس اللواء حسن بشير نصر الذى لعب دوراً حاسماً وكبيراً في عهد الفريق عمود، ولعل كثيراً مما أصاب الخلفاية من تطور في الستينات يرجع في كثير من جوانبه الى جهود اللواء حسن بشير نصر عليه رحمة الله.

ورغم أن الشايقيه في عمومهم لم يحتلوا كثيراً بغيرهم وظل هم فريقهم الخاص هم المسمى بفريق الشايقيه، إلا أن مجموعات منهم مثل بعض أولاد عسوم من البوب تر وخوا من العدلاب ولديرية وغيرهم، وتراوج السليمانية من الحنكاك مع الحميمين وهبوب والمشيخ والعدلاب وغيرهم. ومن الملاحظ أن اشايقيه بالخلفاه لم يملكوا أراضي رراعية على النيل لأنهم كانوا طقة محارسة، والقطعة الزراعية الوحيدة التى امتلكها طه أبو سدر، وكانت من قبل ميرة أحمد شرفي أيام المهديه، وكانت قيقره أو مكان لحس المعارصين، هذه القطعة أثارت كثيراً من النزاع والصراع والقتال بين الشايقيه والعدلاب أما بعض الأراضي الرراعه المطرية فقد الت اليهم

من الحكومة كفية المواطنين ومن المؤكد أن للشايقيه دورهم الكبير في تطوير الخلفاية إجتماعياً واقتصادياً وثقافياً ولا بد أن نذكر في هذا المجال، صم ما يذكر، دور المجموعة الصغيرة من شيوخ الدويحية بحلفيه المنوك الذين احتلوا مع الشايقيه فتروج لشيخ ابراهيم الرشيد ست السناات بنت خشم الموس والدة محمد الرشيد

(٩٢) نشر بك كمال قطعة رراعية وسعة عرب مقدر الصوره، وكسنت لأولاد سر احم ومحمد نصر، ولكن مشاركتهم في الزراعة محدودة.

وعبد الرحمن الرشيد وسيد أحمد الرشيد، ووالدتهم شقيقة الملك حمد بن الملك محمود
لعبدلنابي وأشهر أولاد الرشيد بالتموى والاصلاح وإرشاد الناس لخير دينهم
ودينهم، فإن علاقتهم بغيرهم من أهل الخلفاية تعدى كل حاجز وصلاتهم الروحية
والاخوية فبعث رضى عند كثير من المواطنين.

وعرفت الخلفاية جهود أسرة دكام بن عبي وعشيرته الذين قدموا خدمات إجتماعية
حسنة مواطني الخفانة، فقد كان دكام صديق الجميع ويقدم لهم خدماته لتطوعية
من ختار الأبطال ولصلح بين الناس وتجهيز المقابر بالطوب وأدوات الحفر الى جانب
سبيله المشهور.

وقد أدى التخصيص الجديد للخلفاية لعلاقات أوسع مع الشايقية، إذ إنتقل كثير
من سكان الاحياء الأخرى الى الامتدادات الجديدة التي محاور فرق الشايقية مما يسر
من الاتصال وعمق من الروابط^(٩٣).

(١٤) البديرية

البديرية من سبل شيوخ حمد الأعش، ومقرهم الأساسى بربر ومطقة كدباس،
وهم فرع من المجموعة الحسنية ومصدرهم القديم دقلا وديار الشايقية، والغش من
البديرية الدهمشية، ويذكرون أن أول صلة للخلفاية بهم عندما هاجرت سيدة منهم
تدعى ماصمة الملقبة شيلة، فسكنت خلفاية ياد من شيوخ العدلاب بعد أن
اختلفت مع دويها حول تركة والدها فجاءت بحشمتها وخدمتها وإستقرت في الفريق
الذى يحمل اسمها، وتزوجت فولدت بنتاً تزوجها أحد أقاربها العش، ولعل وجود
هذه الأسرة إحدب عدداً من كبار أهلهم مثل الشيخ محمد بن الفقيه عبدالرحمن
الأعش شيخ حيوات قور العلم الذى جاء الى الخلفاية وبقي ودفن بها، وسفصل
القول في ذلك في فصل الحياة الثقافية.

ومن بربر شيوخ هذه الأسرة خاج صحوى ود مكور وهو بديرى الأب جعلى من
ناحية حيوته لأبيه العوضية من الجوير، وجدهم الحس وذصبعة. وقد أنجب الخاج
صحوى أربعة أولاد وثلاث عشرة بنت. ومن أبناء إخوانه وبنته وأبناء عمه أولاد
فصيلي وأولاد قدورة الذين منهم الملك محمد نور والد الشيخ الزبير وأبنائه، وقد تزوج
قدورة الكبير قند ليمى بنت لشيخ سماحة المعربى صاحب المشرع المعروف باسمه،
وأنى أبنتها وأبناء صحوى ينتسب معظم سككى فريو شيلة وغيره
وكان الخج صحوى وأبنائه من أعيان الخلفاية في أواخر لقرن الثنى عشر لهجرى

(٩٣) النظر جداول الانساب ارقام ١٢٣ - ١٣٣

وأوائل الثالث عشر، وكان معاصراً للفقيه محمد نور صيف الله وأحبه دفع الله والفقيه محمد بن الحاج عمارة ومحمد بن الحاج عبدالرحمن بن إسيّد والحاج إدريس بن الحاج محمد أبو المعالي، وكل هؤلاء ممن يحضرون مجلس الشرع بمشيخة العبدلاب^(٩٤). وكان عوض الله ود الحاج ضحوى من الفقهاء الأعلام الذين يكتنون الأحكام الشرعية كما تشير إلى ذلك إحدى وثائق الدوايى التى حررها فى صفر ١٢١٥هـ الموافق يوليو ١٨٠١م^(٩٥)، وكان من دريتهم الفقهاء والفرسان وأصحاب النفوذ فى بلاط الحاكمين فى عهد العبدلاب والأترار والمهدية. فكان الملك محمد نور قدوره شيخاً فى أيام العبدلاب كما أن الملك محمد نور بن الحاج عبدالرحمن بن إسيّد وهو حميد الحاج ضحوى وهو عوضى الأب وحذ المصباح عبدالله، وكان أحد وزراء الشيخ ناصر ود الأمين آخر شيوخ العبدلاب، وكان يلقب بالوزير، وقد استشهد فى إحدى المعارك فى شرق السودان، ومن آثاره المشهورة لدى ملاك الأراضى الرعية على شاطئ النيل أنهم يحددون مساحات الأراضى الرعية من نقطة متفق عليها تسمى حجر الوزير، وعلى هذا الحجر تمسح بقية الأراضى. والوزير المشار إليه هو محمد نور المتقدم ذكره ومن استشهد فى مقاومة الأترار حوالى عام ١٢٣٦هـ سباحة بن قدورة البديرى المسمى سباحة الصغير حفيد سباحة المغربى، وقد قتل بالعيلقون مع الفقيه زين العابدين بن السيد.

ومن أحفاد الملك محمد نور قدورة الأمير بانكر محمد الأمين وأمه قند اليمن بنت محمد نور، ووالده من قبيلة الجباراب، وكان فارساً مغواراً، وكان أميراً من أمراء المهدية، وهو أحد الذين حاصروا الخرطوم من الشمال فى آخر أيام عردون، وهو الذى سمى عليه عدّ الشيخ بانكر، وكان أخوه عمر بن محمد أمين ساعد الربير باشا الأيمن فى تجرته، وبسبب هذه الصلة تزوج الزبير العازة أختهم، وقد تحدثنا من قبل فى مكان آخر عن خاله الشيخ الربير لذى كان محمداً عامراً بأهل العلم والجاه، وكان أنه الهاشمى أحد أمراء المهدية ومن استشهدوا فى توشكى مع ود السجوى وقد تحدثنا فى مقام آخر عن فقائهم وعلمائهم^(٩٦).

(٩٤) ابوسليم: الفوج والارض، ص ١٢٦ - ٧

(٩٥) نفسه، ص ٧٦.

(٩٦) انظر جداول الانساب أرقام ١٠٦ - ١١١

(١٥) الجعافرة

عرب ينتسبون الى جعفر بن أبى طالب الطير^(٩٧)، وينسبهم آخرون الى جعفر الصادق^(٩٨). وقد هاجروا الى مصر في القرن العاشر، وكانوا في أيام الموحدين يخلدون في لمنطقه بين أسوان وقوص مع أبناء كنز الدولة، وكانت أهم حرفهم التجارة وينسب الى هؤلاء حفاصة السودان^(٩٩). ولجعافرة منتشرون في أنحاء كثيرة من السودان على السيلين لأدرق والأبيض والجزيرة والخرطوم وغيرها ومن أشهر الجعافرة آل العوض أبو يونس الذي تزوج هو وأخوه إبراهيم أبو يونس من الهنوب الهوارة، ومنهم أيضا آل الخولى وآل هلاوى وأمهاتهم جميعا من الهنوب الهوارة مما يدل على صلة قديمة بالهوارة، بل إن بعض الرواة يجمعهم من هوارة. إذ أنهم جميعا جاءوا من صعيد مصر، ويدعون حدودهم قد جاءوا الى السودان في مرحلة متأخرة، إذ يذكرون أن على الخولى أحد الأكبر لأولاد الخولى جاء الى السودان في أواخر عهد الأتراك وكان حبرا براءه الحقائق واجتنب، ومن ثم جاءت تسميته بالخولى وهو شيخ المزارعين في مصطلح المصريين، ويقال إن كثيرا من الأشجار والتخيل في القصر الجمهورى الذى كان يسمى بالسردارية أيام الحكم التركى كان من جهد الشيخ على الخولى. وكان هلاوى الكبير وهو ابن عم على الخولى أيضا من نخراء الرعاة، وبه يسبون إدخال الشادوف أو السرو لأول مرة في الرعاة لحفاية الملوك، إذ كان الس قبله لا يعرفون في ريه سوى الساقية، وقد تحدثنا عن تسجيل أهل الحفاية هذا الحدث في أغانيهم في مقام آخر. ومن حفاصة الحفاية أيضا آل سليمان أبو الضو^(١٠٠)

(١٦) المحسن

مع قيام دولة الفونج وفد الى منطقة ليل الأوسط جماعات من المحسن واستوطنوا في الخوجلاب والحلفية وشمبت وتوتى، وكانت توتى وشمبات من أهم مراكز تجمعهم ويسب المحسن الى قبيلة خنرج اليمنية ومقرهم الأساسى منطقة المحسن جنوب ودى حلفا وقد اشتهر عدد من علمائهم لأفداد في دولة الفونج ومشيخة العبدلاب مثل الشيخ إدريس ود لأرباب والشبع حوجى بن عبد الرحمن وغيرهما، وأقطعهم الفونج ولعبدلاب الأراضى ورفعوا من قدرهم وحرصوا على إرضائهم. ورغم أن وجودهم في الحفاية لم يكن كبيرا ومباشرا إلا أن صلاتهم بأهل الحفاية

(٩٧) ماكيناكل ١٤٢/١

(٩٨) الفعل، ص ١٠٣.

(٩٩) ماكيناكل ١٤٢/١.

(١٠٠) انظر جداول الاسباب أرقام ١٠٢ - ١٠٤

كانت كبيرة وعميقة كما يظهر من أحبار الشيخ إدريس ود الأرباب الذي تذكر بعض الروايات أنه ولد بالخلفاية، وحتى شوحتت التي يذكرون أنه ولد فيها على الأرجح لم تكن بعيدة عن الخلفاية القديمة، بل قد تكون تطورت منها الخلفاية وشمبات، لأنها في مكان بينهما، ومن المؤكد أنه تلقى تعليمه في صاه مكتب الشيخ البنداري شرق الخلفاية كما ذكرنا في مكان آخر من هذا الكتاب. أما صلة الشيخ حوجي والحوحلاب عامة بالخلفاية فهي عميقة وقديمة، فقد كان الشيخ حوجي رفيقاً للفقير محمد بن صيف الله بن علي وكاسا يتلقين العلم على الشيخ أرباب بن علي المحس^(١٠١) وقد بلغت هذه الصلة بالحوحلاب قمته مع الفقير عبد الدافع تلميذ الشيخ حوجي وحواره الذي تروح إحدى بيانه وأحب منها أساءه الدافع. وقد تزوج كثير من أهل الخلفاية من المحس، مثل الشيخ موسى ودر حفيد الشيخ موسى ود هوبة الذي تزوج ست السات الشيخ أبوزيد ولد الشيخ عبد القادر الحبر ولد الشيخ إدريس ود الأرباب، وكان الشيخ أبوزيد هذا رفيقاً بفقير أبوسرور الفصلي في رحلتها إلى دار صليح في أواخر لقرن السابع عشر الميلادي^(١٠٢) والواقع أن وجود المحس بشمبات وتوتى من أزمان بعيدة يجعل احتمال علاقتهم بالخلفاية أعمق وأكبر وأقدم مما نوحى به المعلومات المتسرة المتيسر لدينا الآن، خاصة إذا علم أن الصوارد، وهم من أقدم العناصر بالخلفاية، يمتون من كثير الوجوه إلى المحس بصفة القريب والأصل المشترك كما تدل على ذلك روايات انسابهم

(١٠١) الطبقات، ص ٣٦٣

(١٠٢) نفسه، ص ١٠٥

الفصل الثالث

الحياة السياسية والاجتماعية

الموقع الاستراتيجي

كانت الخلافة كما ذكرنا منطقة لها كيانها حين قيام دولة الفويح، وكانت تحصى لسلطانهم، بل أن نواحيها كانت داراً لهم يقطعون ما يشؤون من أرضها لمن يحبون، كما يستدل بحبر الشيخ يعقوب بن يحيى المشيخي الذي دخل الحرية في أوّل ملك الفويح وتزوج ابنة ملكهم فأقطعه هذا الملك (في الدار سواحي الحنفية) ^(١)، كما مر سابقاً. وقد لاحظنا أن في ذلك إشارة إلى أن المنطقة كانت قبل ذلك عمرة أهله بأسكن مما جعل ملوك الفويح يقطعون بنواحيها بما يبعد عنها بمقدار نصف ميل ^(٢)، كما هو الحال مع الشيخ السالف الذكر. وبما يدل على هذا تقدم أن الشيخ ادريس ولد الأرباب «٩١٣ - ١٠٦٠هـ» زار قبر الشيخ على ولد أبي دقن في المقبرة المعروفة باسمه الآن جنوب الخلافة وبه عليه، وحيداً [اعتمد فيه الناس واستفعت بربرته]، كما يقول ولد ضيف الله. وكان الناس حتى زيارة الشيخ ادريس يجهلون هذا الشيخ [لأن أخباره مقطوعة لطول الزمان]

وكما ذكرنا سابقاً فإن المنطقة كانت إحدى مراكز لمؤيد لجموعية الدين لم يكتفوا بالسيطرة على الجزء العربي من النيل شمال وجنوب أم درمان الحالية، بل تعدوه إلى الشاطئ الشرقي، وظلت الخلافة تحت سيطرتهم حتى تغلب عليهم الشيخ عتيب الماسجلت «٩٧٠-١٠١٩هـ / ١٥٧٠-١٦١١م» الذي استولى عليها وجعلها مقر حيشه وسماها خلافة الملوك ^(٣)، ولم يبق من أثر واضح لهؤلاء الحميدانية إلا حي صغير في أطراف الخلافة الشمالية يعرف بفريق الحميدانية، وستناولهم بالتفصيل في مقام آخر.

وكما هو واضح من الإشارات الكثيرة عن الخلافة في تقارير الرحالة الأوروبيين عبر القرون، فإن اختلافها كانت ذات موقع هام مستمد من وقوعها على الطريق الرئيسي للتجارة بين سائر وقرى وشمال مصر، مما كان يعرف بדרך الحمل. وكانت طرق بلاد السودان الشرقية على محورين رئيسيين، أحدهما يسير بالتقريب من الجنوب إلى الشمال، ويصل سنار بمصر، والآخر من الغرب إلى الشرق، ويصل دارفور

(١) الضمائم، ص ٣٧٢.

(٢) نفسه، ص ٣٧٢.

(٣) نفسه، ص ٢٦٤.

(٤) الفحل، ص ١١٠.

بسواكن. ومن سار يسير طريق على الضفة الغربية للنيل الأزرق مخترقاً الجزيرة الى المدينة التجارية القديمة أريجي (التي دمرت عام ١٧٨٣-٤ م، مما حوّل كثيراً من مهامها التجارية للحلفاية)، ويعيداً الى الشمال يعبر النهر ليمتد الطريق على الضفة الشرقية للنيل الأزرق والنيل الكبير مرّ بالعيلفون وحلفاية الملوك، عاصمة شيوخ العبدلاب الأخيرة، ومن هناك الى قرى^(٥). وكان ذلك مصدر رخاء وحركة للمنطقة، مما جعل من الحلفاية الى جانب حركتها التجارية مقراً للوافدين من حارجها. وهذه الأهمية الإستراتيجية والتجارية والثقافية فقد كن للحلفاية وضع خاص في دولة الفويح والدادات في مشيخة حلفانهم العبدلاب الذين تقع تحت سلطانهم المباشر.

الحلفاية أيام الفونج

اشعل الصالحون بعد حروب سوبا «٩١٠هـ / ١٥٠٥م» ببناء الدولة الجديدة وتوطيد أركانها والسيطرة على بقية المناطق التابعة لها. واستقر أمر الفونج في سنار وأمر حلفائهم العبدلاب في قرى، وقد استمر الشيخ عبد الله جماع على رأس مشيخة العبدلاب فترة طويلة عاصر فيها أربعة من ملوك الفونج، ثم انتقلت المشيخة من بعده الى ابنه عجيب الكفوة الملقب بالمانجلك أيام عمارة أبي سكيكين حوالي عام ٩٧٠هـ / ١٥٦٦م^(٦)، وكان كأبيه قوة رأى وشجاعة وإقداماً، فاستولى على حلفاية أولاد حميد من المجموعة الجعليين كم مرينا، وحضر له الجميع وكل العرب الى التاك^(٧)، واحتفت دار العبدلاب في حدودها بما كانت عليه دولة علوة^(٨) ومن قرى مارس شيخ العبدلاب سلطانه المباشرة على كل هذه المجموعة من القبائل والأقاليم، وقد كانت فترة الحكم الطويلة للشيخ عبدالله جماع وابنه التي نيفت على المائة عام أثرها البالغ في ازدهار المشيخة وتطور المناطق التي ارتبطت بالعبدلاب ومن بينها الحلفاية.

ولعل من حسن حظ دولة الفونج عامة ومشيخة العبدلاب خاصة أن أعقبت سنوات الفتح الأولى وما ظل يتخللها من حروب لتدعيم سلطة الدولة وإقامة أركانها، ولاية الشيخ عجيب المانجلك التي امتدت لأكثر من أربعين عاماً عاشت البلاد فيها

(٥) هولت: تاريخ، ص ١٢.

(٦) كتاب الشوكة، ص ٨.

(٧) الفصل، ص ١٠١.

(٨) الشاطر بصلي: معالم تاريخ السودان وادي النيل، ص ٣٧ - ٣٨.

ور من الإستقرار النسبي والإزدهار الإجتماعي وثقافي مما أعزى كثيراً من الناس بهجرته إلى السودان. وكان من بين هؤلاء أعداد كبيرة من العلماء وفقهاء والمتصوفة، لأن الشيخ عجيب كم مررت كان محباً للعلم والعلماء تقياً عادلاً دالاً ولاية، ولذلك شهدت البلاد في عهده نهضة دينية كبيرة تمتد في تشييده المساجد ودور العلم، وفي إكرامه للعلماء، ودور إصلاح وإقطاعة الأراضي لتواضع لهم، وإيوائه طلاب العلم والإنفاق عليهم^(٩).

وقد كان نصيب الخلفاية من هذا إعطاء الثقافي كبيراً مما سيفصل القول فيه في مقام آخر، ونكفي أن نذكر هنا من علمائها لشيخ يعقوب بن محلي، والشيخ البندري الذي قرأ عليه الشيخ إدريس ولد الأريب، وكان الشيخ حمد ولد زروق يرويه في مكتبته شرق الخلفاية، ومنهم الفقيه موسى الحللي، والفقيه موسى ولد هنبوة تلميذ الشيخ دفع به العركي «١٠٠٣ - ١٠٩٤ هـ»، ومنهم في أيام شيخ عجيب الماتجيت الفقيه عبدالحليم بن سلطان بن عبد الرحمن المغربي الذي كان يفتي ويلقب بالحجج بحيث أصبح لفتواه الشيخ عجيب نفسه^(١٠).

ويستدل من الحركة العلمية التي انتطعت الخلفاية منذ القرن العاشر الهجري، أن حركة العمران فيها كانت واسعة، وأن كثيراً من أهلها كانوا يبحرون مع انعام الخارجين كما يستشف من أحوال الخواجة عبدالدافع الفصل حين قدم من مصر ترحلاً وحاجباً، واصطفح معه الفقيه محمد بحر المغربي، أجد الأكبر للفقيه عبدالحليم بن سلطان المعاصر للشيخ عجيب، ومصطلح الخواجة الذي أطلقه ولد صيف الله على هذا التاجر يدل على تبحره في التجارة التي كانت نقطة انطلاقها الخلفاية^(١١). ويروى ولد صيف الله أيضاً عن جده موسى ود ريا الذي خرج من الخلفاية مسافراً إلى ارييف^(١٢)، مما يوحي بتردد هؤلاء التجار من أهل الخلفاية على مصر طلباً للتكسب واستيراد البضائع.

الخلفاية والعبدلاب

طلت لخدمية مثل اربحي واهلالية موطن حضور كشف من العبدلاب وهي قل أن تصح عاصمة مشيختهم بعد قرى كانت بمثابة العاصمة الثانية هم، يعتون

(٩) شبيكة: السودان في قرن، ص ٥٤، كرفورد: مملكة العرب، ص ١٧٧ - ٨.

(١٠) د. محمد صالح محي الدين: مشيخة العبدلاب، ص ٢٦٩.

(١١) الطقات، ص ٢٩٧.

(١٢) نفسه، ص ٣٥٠.

مها ويسجدونها سوقاً لهم وحامية لجنودهم، وقد كنت بحق في كل الأحوال عاصمتهم الدينية التي يعتمدون عليها في أمور الفتوى والقضاء والعلم. وهناك من القرائن ما يشير إلى أنها كانت مشيخة قبل أن تصبح عاصمة^(١٣) وكان يشرف على إدارتها وكيل عن شيخ العدلاب بقري يلقب بوكيل الخلفاية^(١٤) وتصدق عليه بعض الروايات لأخرى لقب شيخ، مثلما هو الحال مع الشيخ على كرايح الذي ذكر ولد صبيح لله أنه «شيخ ولد عجيب عن نواحي الخلفاية»^(١٥). ومن ورد اسمهم وكلاء للخلفاية مررتي ولد على المذكور في وثائق الخوجلاب^(١٦) التي أحيلت إليه ليعرض دعاويهم على مجلس الشرع سنة ١١٨١ هـ، ومنهم أحمد بن المبارك المذكور في الوثائق لعام ١١٢٦ هـ وكلاء للخلفاية. ولابد من الإشارة هنا أن الخلفاية قد أصبحت في هذه لفترة على الأرجح عاصمه للعدلاب، ولذلك لا عجب أن أوردت المصادر اسم الشيخ الأرباب مسمار كوكيل لشيخ العدلاب بقري في عام ١٢٢٦ هـ مما بين أن قد أصبح لشيخ قري وكيلان يوبان عنه أحدهما في قري والثاني في الخلفاية^(١٧). ويبدو أن الخلفاية كانت قبل انتقال العاصمة إليها حامية عسكرية تحتشد فيها الجنود والخيول بحيث استحققت أن يوكل أمر تصريف الحدود والخيول فيها إلى قائد يسمى مقدم خيل الخلفاية، وهو غير مقدم الخيل العام المسئول عن القيادة العامة لخيول المشيخة، وعمر مقدم خيل الشيخ الداحل المسئول عن حرس شيخ العدلاب الخاص.

وفد كتب درويزورد في كتابه عن ممكة الفويج عن الخلفاية قبل أن تصبح حاضرة للعدلاب يقول (الخلفاية بالطبع مدينة ذات أهميتها قبل أن يذهب إليها العدلاب، وقد وصفها كرمب^(١٨) بأنها مكان كبير وجميل، ولها بيوت تشبه ماى النوبة لكنها أكثر حملاً، ومعطاة من الخارج بطبقة رقيقة من الزبالة، وقد قدر بروس^(١٩) عدد منازلها ثلاثمائة، والصناعة الرئيسية فيها كانت قماش قطي جدّ عليل يدعى الدمور الذي يستخدم كعملة صغيرة في جميع الأجزاء السعى من العطرة. كذلك يذكر كرمب هذه

(١٣) عفى الدين: مشيخة، ص ٥٤.

(١٤) نفسه، ص ٣٦٢ - ٥، ابوسليم. الفويج والارض، ص ٥٥، ١٣٠.

(١٥) الصفات، ص ١٤٤.

(١٦) ابوسليم: الفويج والارض، ص ٥٤.

(١٧) نفسه، ص ٥٥.

(١٨) نفسه، ص ٥٢ - ٥٣، ٧٦، عفى الدين: مشيخة، ص ٤٠٤ - ٥.

(١٩) كرمب رحالة الماني زار السودان.

(٢٠) جيمس بروس رحاله اسكتلندي زار سار عام ١٧٧٢ م.

العملة القماشية مسمىاً لها بثوب الدمور وفي الخفاية أشجار بحيل رغم أنها لا تنتج
ترواً^(٢١).

وفد وصفت الرحالة الفرنسي بوسيه ثناء رحلته من مصر من الخشتة سنة ١٦٩٨ -
١٦٩٩م بقوله (ارتحلنا من قرى في اليوم لأول من فبراير، ونزلنا بإحلفيه وهي قرية
كبيرة مبنية بالحجر المربع، ورجعنا طوال الغمامت معتدلو امزاج)
ولصلة الخفاية الواشحة بالعدلاب شركاء لفونج في اسلطة، كان مصير الخفاية
وحطها من الاستقرار والاضطراب مرهوناً بما يجري في لدولة في سدر، وبما يجري في
الشيخة في قري، وأخيراً في الخفاية حين أصبحت عاصمة لعدلاب. وأكثر من
ثلاثة قرون (هي عمر دولة الفونج)، تفاوتت حطوط الخفاية بين فترات من الرخاء
والاستقرار، تعقبها كوارث أهياج والاضطراب لثى كثيراً ما كانت تندفع نتيجة
الخلافات بين أصحاب السلطان من الفونج أو بينهم وبين حكامهم العدلاب، أو
بين هؤلاء جميعاً وبعض حكام الأقبية التابعة لهم. وكثيراً ما كان يصف إلى كوارث
البشر كوارث الطبيعة التي لا ترحم كالفيضانات ولمجاعات، وأدوية محفلت بذكر
آثاره روايات المؤرخين.

وكانت آخر أيام الشيخ عجيب الماسلك أياماً حافلة بالازمات والخلافات بين
الفونج والعدلاب. ولابد أن الخلاف الكبير الذي قام بينه ومك لفونج عدلان ولد
آية [وفي رواية أونسة بن طبل] الذي انتهى بمقتل الشيخ عجيب في جهة كركوج عام
١٦٠٤م، كان له آثاره على المنطقة فقد نزل الملك بالعلفون، وكان الشيخ عجيب
بالخفاية، والتقى الجيشان بكركوج^{٢٢} وقد كان من نتائج الحرب مقتل لشيخ
عجيب وهروب أولاده وكثير من العدلاب إلى دقلا، مما يوحى بالصلات القوية التي
كانت قائمة بين دقلا والعدلاب. وقد أرسل اليهم ملك الفونج الشيخ إدريس ولد
الأرباب الذي كان على علاقة طيبة بالحنين. فأعطاهم الأمان ورجعوا إلى ديارهم
وشيوخ عليهم الشيخ محمد العجيل «١٠١٥ - ١٠٤٥»^(٢٣) الذي عاصر عدداً من مكوك
سار إلى عهد الملك رباط بن سدى سيد القوم الذي انتهى عهده عام ١٠٥٢هـ /
١٦٤٢م ثم ملك بعده ابنه بادى أودق المشهور بالشجاعة والكرم. وفي عهده
انتطمت أمور الدولة رغم الحروب التي خاصها صد الشلك ومك تقلى بكردفان،

(٢١) كرومورد: مملكة الفونج، ص ٦٨ - ٦٩، بحى الدين: مشيخة، ص ٣١٠.

(٢٢) بوسيه: سحر الأهر والأقصر لجاورة في ساء العرب السابع عشر، ص ١٠١ - ٢.

(٢٣) الفجل، ص ٢٦.

(٢٤) كاتب الشوه، ص ٩.

وعلم العدل الذى قعد له في دكة يستمع فيها الى شكاوى الشاكين وقد عرفت بدكة (من ناداك)^(٢٥) وفي مدة ملكه الطويلة التى نيفت على الثلاثين عاماً ازدهر العلم في الدولة . وانعكس ذلك على مختلف المناطق ومنها حلماية الملوك كما سرى ، وكان معطياً لأهل الدين والعلم ، وهو الذى مدحه الشيخ عمر المعري معنى الجامع الارهر وعبره من العلماء^(٢٦) .

ولم يكن شيوخ العدلاب بأقل حداً على العلم والعلماء من ملوك سنار حتى قبل انتقالهم الى حلماية الملوك . فقد كان مجلسهم القصصى المعروف بمجلس الشرع يضم من يضم فقهاء الحلماية^(٢٧) ، هذا الى جانب قصة الشرع الذين تولوا تصريف القضاء في قرى والحلماية من فقهاء الحلماية الذين سيرد ذكرهم فيما بعد . وما يدل على تقدير هؤلاء الشيوخ للعلماء الرياسة التى قام بها الشيخ حمد السميع شيخ قرى « ١٠٨٥ - ١٠٩٥ هـ » لمجلس الفقيه شكر الله بن عثمان العودى الذى كان يدرس في مسجد الحلماية . وكان يصحح في لوح ، فما رفع رأسه حتى فرع من اللوح ووضع القلم . ثم قام وسلم على الشيخ . فحمدته هذا على فعله وقال له كلاماً يقدر فيه تعظيم ما لله^(٢٨) وما يدل على لجؤهم لعلم العلماء واستفادتهم منه قصة الخلاف بين علماء الحلقية حول ولاية الشيخ يعقوب بن مجلى والشيخ محمد سوار الذهب التى تحدث فيها لعقبة عبد الهادي ولد دوليب والحاج عوض الكريم . فأحال الشيخ حمد الخلاف برمته للعقبة دفع الله الكاهن ، مما ستطرق اليه في موضعه^(٢٩) .

الكوارث والازمات

ويبدو أن أواخر القرن الحادى عشر الهجرى كانت أيام محن طبيعية لمنطقة ، إذ حدث في عام ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ - ١٦٨٤ م في ولاية أونسة بن ناصر ملك الفونج « ١٠٨٨ - ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م » الذى خلف أخاه نادى أبودقن ، غلاء ومعاة بسبب زيادة النيل ريابة كبيرة عن منسوبه الطبيعى ، مما سبب أضراراً فادحة ، وغلاء شديداً جاع فيه الناس جوعاً عظيماً حتى أكلوا لحم الكلاب ، ولذلك عرفت سنة [أم لحم] ، وانتشر الحدرى في صورة وباء وتحررت بسببه القرى والحلال ، وصارت الحاجيات

(٢٥) نفسه ، ص ١١ .

(٢٦) نفسه ، ص ١٠ .

(٢٧) ابوسليم : الفونج والأرض .

(٢٨) الطبقات ، ص ٢٣٣ .

(٢٩) نفسه ، ص ٣٧٣ - ٤ .

الغذائية وفي مقدمتها الدرة، وهى الغذاء الرئيسى، تباع بأعلى الأسعار^(٣٠)، وارتحل فيها أهل الحلفاية من موطنهم الى الحسيب، وهو وادى الى شرق ودراوه، وسميت هذه المحجرة نتجعة أم لحم، وفيها توفى الشيخ ضيف الله بن على^(٣١). ولم تتحسن الأحوال إلا عام ١٠٩٨ هـ، وهى سنة السيل الذى جمع الناس من أم لحم^(٣٢). وصرتهم سنة أخرى في بداية القرن الثانى عشر سموها سنة أم حنظل^(٣٣). ١١٠٨ هـ/١٦٩٦ م» توفى فيها الشيخ الأرق محمد بن الشيخ صغيرون^(٣٤). وفي أيام بادى الأحمر ابن أونسة ولد ناصر «١١٠٠-١١٢٧ هـ» تعرضت المنطقة لهزة كبيرة من حراء الخلاف بين بادى وقومه الفونج الذين ترعّمهم الأمين أرداب، فخرجوا على ملك سنار وحاربوه وأرادوا عزله وملكوا عليهم ملكاً سمه أوكل، وكان ينصرهم في هذه الثورة العبدلاب، ولكن بادى الأحمر استطاع التغلب على جموع الخارجيين، وقتل الأمين أرداب^(٣٥). وفي أيامه ظهرت كرامات الولي الصالح الشيخ حمدود الرايى^(٣٦). وتنبأ الشيخ حمدود الترابى لمفقيه عبدالدافع بالتدريس في جامع الحلفاية في حياة أستاذه شكر الله بن عثمان العودى حين زاره^(٣٧).

انتقال العاصمة للحلفاية

وحولى الربع الأول من القرن الثانى عشر الهجرى، وفي عهد الشيخ عبد الله الثالث بن الشيخ عجيب الثنى، المشهور برأس تيره «١١٢٣-١١٤٤ هـ او ١١٦٠ هـ/١٧٤٧ م»، انتقلت عاصمة مشيخة العبدلاب من قرى الى الحلفاية، وقد ظل يحكم مشيخة العبدلاب أربع سوات من قرى، وفي السنة الخامسة لحكمه انتقلت العاصمة الى الحلفاية، وظلت بها حتى الفتح التركى المصرى وتذكر روايات العبدلاب ان رئاسة الحلفاية كانت للأراضى والأطيان، وظلت قرى محتفظة ببعض مهام الشياحة^(٣٨). ولكن واقع الحال يوحى بانتقال مهام العاصمة من قرى للحلفاية

(٣٠) الشاطر بهيل: سودان وادى النيل، ص ٨١، كاتب الشونة، ص ١٧.

(٣١) الطبقات، ص ٢٤٥.

(٣٢) ابراهيم عبدالدافع: طبقات وضيف الله، الدليل والتكملة، ص ١١٤.

(٣٣) الطبقات، ص ٢٤٥.

(٣٤) كاتب الشونة، ص ١٨.

(٣٥) نفسه، ص ١٨.

(٣٦) الطبقات، ٢٩٠.

(٣٧) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ٦١.

لتصبح الخلفاية هي العاصمة الأولى وقرى العاصمة الثانية. وكان هذا الانتقال نتيجة اتفاق بين الشيخ عبدالله ولد عجيب وأخيه شيام الذي كان ساعده الأيمن في الحكم، واشترك معه في قيادة كتائب العبدلاب في حرب الفويج مع المسيبات بكردفان في عهد السلطان بادي أبو شلوخ «١١٣٥-١١٧٥هـ/١٧٦١م». وقتلا معاً في تلك الحرب بكردفان^{٣٨} سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م، وفي رواية سنة ١١٤٤هـ.

ولعل من أهم أسباب هذا الانتقال تمركز قوة العبدلاب بمرور الزمن في الخلفاية، وتغير أوضاعها بالخصوصية وصلاحياتها للزراعة، إضافة الى سعتها بالمقاربة بقرى المحدودة السعة والخصوصية، يضاف الى ذلك قربها السبي من مركز تجمع العبدلاب الهام في اغلالية، مما جعل الاتصال بهم أسرع عند الأزمات^{٣٩} وقد توافق هذا التحول مع تزايد ضغط الشايقية على مشيخة العبدلاب من الشب، ونزوح مجموعات كبيرة منهم، ردة وقرساناً، الى هذا الاقليم وإقليم شندي، وقد ظهر أثر ذلك في الخلفاية نفسها، إذ برزت بوادر للنفوذ الشايقي فيها^{٤٠}.

عبدالله الثالث وخلفاؤه

وقد تولى الشيخ عبد الله الثالث الحكم بعد فترة عصيبة ذاق فيها الناس الأمرين على يد سلفه الشيخ دياب أبو نائب «١١١٤ - ١١٢٣هـ»، وقد استبشر أهله ورعايا المشيخة جميعاً بقدومه لما عرف عنه من حسن تدبير وبر بإهله. فتجمع الناس حوله والتفوا حول قيادته ورجع كثير من العبدلاب الى الخلفاية ليسهموا مع شيخهم في بناء عاصمتهم الجديدة وقد كان لظروف الأمن والاستقرار التي أعقبت توليه المشيخة أثرها الكبير في اجتذاب التجار من مختلف الأصقاع. وكان من عناية الشيخ عبد الله الثالث بعاصمته الجديدة أن أشرف بنفسه على عمرانها وتشيد مرافقها، واهتم بنوع خاص بالمؤسسات الدينية لا سيما المساجد فيها. وكان يحب الدين وأهله وينزله من دولته المنزلة السامية. لذا توافد العلماء على الخلفاية من أكثر من بلد إسلامي، فعمرت المساجد بطلالها وحفلت أروقتها وساحاتها بحلقات العلم^{٤١} ولكن هذا الحاكم الصالح قتل مع أخيه شيام في كردفان في حرب المسيبات مع الفونج، وترك على الخلفاية ابنه مسمار بن عبدالله حاكماً عليها

(٣٨) كاتب الشونه، ص ٢٤، شفي ص ٣٩٧

(٣٩) محي الدين: مشيخة، ص ٣٠٩

(٤٠) أبوسليم: تاريخ الخرطوم، ص ١٧٢.

(٤١) واضح البيان، ص ٩.

وتذكر الروايات أنه تعاقب على عرش العبدلاب بالحلفاية بعد ذلك المشايخ:
الشيخ شمام بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانجلث ١١٤٤ هـ -
١١٤٨ هـ

الشيخ مسهار بن عبد الله بن عجيب ١١٤٨-١١٥٣ هـ.

الشيخ ناصر بن شمام بن عجيب ١١٥٣-١١٦١ هـ.

وقد اختلف حكم هؤلاء المشايخ الثلاثة كثير من الغموض، ولم تورد المصادر عنهم ما يستحق الذكر. ويبدو أن عظمة الشيخ عبد الله الثالث الذي سبقهم قد غطت على ذكرهم في المصادر وفي هذه الفترة أصاب الناس الجدري، وسميت سنة ١٥٧٠-١٧٥١ م/ ١١٦٣ هـ بسنة غلاء الجدري^(٢١). روى الشيخ ضيف الله بن محمد حسب رواية ابنه صاحب الطبقات عنه، صورة من أحداث تلك السنة قال: «سنة غلاء الجدري كنا جالسين أنا والفقيه عبد الدافع والفقيه إدريس ود ناصر قدام المسجد إذ جاءنا الشيخ شرف الدين [العركي]^(٢٢) راكب على فرس شقراء بيكوس زمل الكرا قال: (الجماعة غلوا عني، والغلاء التمس البلد هل نمرق قبل ما يحكم فينا. أنا امتنعت من الخروج الى الصعيد. فينا من عنده خمسمائة وبيبة باعها. فعظم الأمر ما خالفت ترانا مسافرين لأمر ينفذه فينا)، وقال فقمتم معاه باستشيرته على أمر. قال: (باكر بغشاكم بالغد). الناس مرقّت تنفرج في النجيع سد وجه الحلفاية بالآدمى والبعر والبقر والشاة. والشيخ راكب قدام الناس النجاع فقلت في نفسي: (الشيخ بواعدنني بقول بغشاكم ويتعدا؟!) فما استتمت الحاطر، قال: شفته بعين رجوع فرسه على جهتنا. قال. (أنا ما خلفت الوعد، قلت برجع من جرف قمر) وأما من جهة النجيع فكان الأمر كما قال: أصابهم الجدري والوباء. مات من الرجال تسعون نفساً، وما مرق فيهم إلا الشيخ قرني والفقيه علي الرجوبة، وتوفي الشيخ بالحجير»^(٢٣)

ثم تولى الحكم بعدهم الشيخ عجيب الرابع بن عبد الله بن عجيب العقيل بن عجيب المانجلث «١١٦١ - ١١٨١ هـ». ولا تذكر المصادر عنه سوى أنه كان فاضلاً عادلاً يجلب العلماء ويقربهم وينزل أهل الفضل والصلاح من دولته منزلة رفيعة. وهم مستشاروه في كل أحكامه^(٢٤). وما يدل على ذلك رفعه أمر الفصل في النزاع بين بعض رعاياه حول ملكية بعض الأراضي إلى أشهر علماء زمانه الفقيه ضيف الله بن

(٢٢) الطبقات، ص ٢٣١.

(٢٣) نفسه، ص ٢٢٨.

(٢٤) نفسه، ص ٢٣١ - ٢٠.

(٢٥) عي الدين: مشيخة، ص ٣١٨، واصح البيان، ص ١١.

محمد^(٤٦)، وكان الشيخ ضيفاً لله هذا قد تصدّر للفتوى من عام ١١٣٠هـ - ١٧١٨م حتى وفاته عام ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م. أي كان قاضياً بمجلس الشرع بقرى ثم بالحلفاية وقتل الشيخ عجيب الرابع في إحدى حروبه بالثاكة. وتبعه في شياخة الحلفاية أخوه عمر بن عبدالله (١١٨١ - ١١٨٣هـ)، ولم تطل مدة ولايته، إذ نازعه ابن أخيه الأمين مسمار وانتزع الحكم منه^(٤٧).

وكان الشيخ الأمين مسمار بن عبدالله بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانجلك (١١٨٣ - ١٢٠٥هـ) فارساً مغواراً شجاعاً خاض معارك عديدة ضد بعض سلاطين الفونج ووزرائهم الهمج، وانتقلت المعارك في أيامه إلى الحلفاية حيث قتل فيها سنة ١٢٠٤هـ الملك بادى وقتل الملك رباط كما قتل الملك طبل من ملوك سنار في أقل من ستين^(٤٨). وقد انتهت هذه السلسلة من الحروب بين الفونج والهمج والعبدلاب بمقتل الشيخ الأمين مسمار عام ١٢٠٥هـ في حلة ودبانقا حيث دفن بجوار الشيخ صالح ود بانقا^(٤٩).

وقد عرف الشيخ الأمين مسمار بما يسميه العبدلاب «عتلية الأمين» ويسمونها غيرهم «عكليتة»^(٥٠)، وهي الجماعة المختلفة التكوين من البشر لأنه كان كثير الأولاد متزوجاً من أربعين سريّة، ولعلهم كانوا يقصدون بها جماعة المحاربة^(٥١). وفي عهده امتدت يد الخراب إلى مدينة أربعى العريضة التي أنشئت حوالي عام ٨٨٠هـ / ١٤٧٤م، أي قبل إنشاء سنار وقرى بحوالى الثلاثين عاماً^(٥٢). وكانت من أحسن مدائن الجزيرة ذات تجارة وعمارة ومباني شائقة أنيقة ومدارس علم وقرآن. وأهلها ذوو رفاهية وتفنن في الأطعمة، وفيها عجائب يحكيها من حضرها.

وكانت أربعى من مراكز العبدلاب الهامة، وأكد كروفورد أن صلات العبدلاب بها كانت حسنة حتى زمن الشيخ محمد الأمين مسمار، ثم بدأت تسوء على عهده حين سعى أهل أربعى إلى عزله وتشجيع أخيه بادى مكانه مما دعاه إلى الاستماعة

(٤٦) أبو سليم: الفونج والأرض، ص ٩٩.

(٤٧) محي الدين - مشقة، ص ٣١٩.

(٤٨) الشاطر ماضي، نفسه، ص ٩٤.

(٤٩) محي الدين - مشقة، ص ٣٣٢.

(٥٠) الأصل فيه: عكرة بمعنى الاحتلاط والاشم، تقول نعلت عكرة أو وقعوا في عكرة أو احتلاط أمر ويصير مثل عكرته رد عجيب لدى حلف ادحيت فاصطرب الأمر أنظر قاموس الملحّة العامية في اسود، نطعه الثانية تحت مادة عكروب.

(٥١) الطبقات، ص ٣٩ - ٤٠.

(٥٢) كاتب الشوبة، ص ٣١، شفيق ص ٤٠٠.

بالشكرية، فهجم بهم على أربجي ودمرها تدميراً عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م^(٥٣).
ويبدو أن الصراع لم ينته بذلك، بل استمر حتى زمن مجيء بوركهارت^(٥٤) إلى
السودان عام ١٨١٤م لقوله: (وكان طريق النيل إلى سنار محفوفاً بالخطر في أثناء
مقامي بشندي، وذلك لما نشب من خصومة بين ملك الحلفاية وملك أربجي، ومن ثم
كانت القوافل تؤثر الطريق الصحراوي حتى تبلغ أبوجراز)^(٥٥). وكان ذلك مما أثر
تأثيراً كبيراً على تجارتها خاصة مع كردفان، فانتقلت أجزاء كبيرة من التجارة إلى
شندي والحلفاية. قال بوركهارت (ومنذ قطعت المواصلات المباشرة بين سنار
وكردفان أخذ أهل سنار يشترون من سوق شندي الرقيق المجلوب من كردفان، فهم
يحصلون عليه بأسعار أرخص مما يبتاعون رقيق النوبة من سوق سنار)^(٥٦).
وفي هذه الفترة تعرضت البلاد لكوارث المجاعة والفيضانات المدمرة. ففي سنة
١١٨٢هـ / ١٧٦٨م حصل غلاء شديد^(٥٧)، ووقع عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م
ما يسمى بالكيسة. وهي الغلاء والمحل وفي العام التالي ١١٨٥هـ / ١٧٧١م زاد
النيل زيادة مدمرة وبعدها بعامين في سنة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م زاد النيل زيادة
مفرطة، وسمى بنيل البعوضة لكثرة البعوض الذي انتشر مع الفيضان^(٥٨). وأهدكت
الملاريا أعداداً كبيرة من الناس، ومن الذين ماتوا نتيجة لذلك من أهل الحلفاية
الفقيه عبدالقادر بن عبدالفتاح المغربي، الجد الأكبر للفقيه عبدالقادر بن أحمد الذي
يحمل اسمه المسجد الذي أنشأه أحفاده مؤخراً في مكان خلوته القديمة^(٥٩). وكان
عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م أيضاً عام محل ومجاعة^(٦٠).

عبد الله الرابع (شيخ العدل)

وولي بعد الشيخ الأمين ابن عمه الشيخ عبدالله الرابع بن عجيب الفيل
١٢٠٥-١٢١٠هـ، الذي ظل في حروب مستمرة مع أبناء الأمين سمار وغيرهم

(٥٣) شقير، ص ٤٠٠.

(٥٤) بوركهارت رجالة المائي واز السودان.

(٥٥) بوركهارت: رحلات، ص ٢٤٥.

(٥٦) شقير، ص ٢٤٥، هولت، ص ١٣.

(٥٧) شقير، ص ٣٩٨.

(٥٨) كاتب الشونة، ص ٧.

(٥٩) تليفيت ذلك شخص من الشيخ الطيب الهدي من أحمد الشيوخ عبدالقادر

(٦٠) كاتب الشونة، ص ٢٨.

فقتل عدداً من أبناء الشيخ الأمين، واستقر له الأمر في الحلفاية الى حين. وقد وصف بالذكاء والفظنة وحسن التدبير والتقوى وحب العلماء وتشجيع الكسب الحلال، وحمل الناس على أداء الشعائر وسلوك الجادة. وقد وصف بأنه (كان رحمه الله عادلاً في رعيته محباً للدين وسامع القرآن الكريم. وفي أيامه أمر بتزويج النساء مع تقليل المهور، وحصل تزويج كثير، وفشا منه أولاد بكثرة. وكذلك أمر أهالي السوق جميعهم حتى الجزارين بأنهم إذا سمعوا الأذان يتوجهون جميعاً الى الجامع ليحضروا صلاة الجماعة. فاستمروا على ذلك وكان لهم عادة حتى بعد وفاته. وكذلك أفنى الطغاة المعروفين بالعكاليات^(٦١) المجتمعين على النهب والسلب لأموال العباد، وكان يجمعهم جماعة جماعة ويضرب رقابهم، ومدته كانت ثلاث سنين، وفي مدته لم يتجاسر أحد مطلقاً بنهب مال أحد، لا سرقة ولا بقطع طريق^(٦٢)).

وبفضل هذا الحزم والضبط استقرت الأمور في الحلفاية، وأصبحت ملجأ لكل حائف لعدالة شيخها عبدالله الرابع، وكثيراً ما كان يشرف بنفسه على بعض القضايا الهامة فيفصل فيها بعد ثبوت الحجة دون تحيز لطرف، كما فعل مع الخوجلاب ضد بعض حكام أقاليمه^(٦٣). وفي أيامه اشتد الكرب على الناس عدداً من السنين^(٦٤). وقتل الشيخ عبدالله في حربه مع وزير الهمج إدريس في أواخر عام ١٢١٤ أو في ١٢١٥ هـ/ مايو ١٨٠١ م^(٦٥)، بحلفاية الملوك. وتذكر المصادر من صفاته أنه كان أعسر اليد (اشول)، وإذا أتاه أحد يسلم عليه يمد له ما يوليه من يمين أو شمال، فلما قدم عليه الياس ولد عدلان، وكان فارساً شجاعاً لا يعبأ بأحد من السلاطين، مد له يده الشمال والياس قد مد يمينه فجمعها اليه ومد له شماله وتناول بها يد الشيخ وسلم عليه، فسأل عنه ولد عجيب فعرفه به الحاضرون، فاستعظمها كل من كان في المجلس^(٦٦). وفي ذلك دليل على قوة الهمج وجرأتهم على ملوك سنار وشيوخ العبدلاب. وتذكر روايات العبدلاب أن الشيخ عبدالله الرابع هذا كان يضع للجام الفرس في فمه ويحارب بسيفين عن يمين وشمال^(٦٧). وفي أيامه نزل بالناس الويساء المشهور بالكك أو الحمى الصفراء عام

(٦١) انظر قاموس اللهجة العامية في السودان للمؤلف تحت مادة عكالية.

(٦٢) كاتب الشونة، ص ٤٣، شقير، ص ٤٥.

(٦٣) أبوسليم: الفونج والأرض، ص ١٢١، ١٢٤، ١٣٢.

(٦٤) كاتب الشونة، ص ٣٧.

(٦٥) شقير، ص ٤٠٥.

(٦٦) كاتب الشونة، ص ٦٠.

(٦٧) تاريخ العبدلاب من رواياتهم، ص ٧١.

١٢٢٤هـ/١٨٠٩م، واشتد على كل المواحي، ومات فيه من الأولياء والصالحين ومن أهل العمارة في البلاد من تجار ومرعين وغيرهم ما لا يحصى، وقد سدت فيه بعض البيوت وحرب الحلال^(٦٨)، ومن أصابهم المرض الشيخ محمد بور صيف الله صاحب الطلقات^(٦٩)، وفي أيامه وقع القتال بين الجميعات والسوراب عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م، وقتل فيه الأرباب بانقا، وكان رجلاً كريماً شجاعاً ملازماً للصلاة على النبي ﷺ. وقتل معه من أولاد القواش جماعة، وانكسر السعداب، وصارت من ذلك الوقت للجميعات شوكة وقوة، وهابتهم جميع القبائل والسلطنة^(٧٠)، وارتفعت رؤوسهم على مبوك الجموعية وأولاد عجيب مشايخ الخلفاية^(٧١). وفي سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٣م ظهر نجم له ذنب وظهر الغلاء المشهور بحبص، واشتد على الناس وبذل فيها محمد عدلان ووزيره الأرباب دفع الله ولد محمد الجهد الكبير في شراء العيوش وتوزيعها على الناس^(٧٢). وفي سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م وصل إلى البلاد وزار السيد محمد عثمان الميرغسي تلميذ السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنهما، وكان قد زار قبلها دنقلا وكردفان داعياً الناس إلى الطريقة الختمية^(٧٣). وفي سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م زاد النيل زيادة عظيمة وكسر كثيراً من القرى على الشاطئين، وعرف ذلك النيل بيل ود أمى س، لأن الشيخ أحمد عوض الكريم أبوس قتل في تلك السنة، قتله البطاحين بالتعاون مع المثل سمر مثنى شندى^(٧٤).

آخر شيوخ العبدلاب:

وبعد أن قتل الوزير إدريس الشيخ عبدالله الرابع ولّى مكانه على الخلفاية الشيخ ناصر ولد الأمين الذى استمر حتى مجيء الأتراك «١٢١٤-١٢٣٥هـ/١٨٠٠-١٨٢١م»، وكان الشيخ إدريس وزير الهمج هذا رجلاً مهيباً عدلاً أكره شيء لديه السرقة. فتعقب اللصوص في كل مكان، وعاقبهم بكل صرامة، حتى أنه لم يبق سارق ولا لص في كل بلاد سنار والخلفاية. وما بلغ من عدله أن جميع حوائج السوق في مدته تصبغ في محلها دون رقابة خلا ما يخاف عليه من

(٦٨) كتاب الشونة، ص ٦٥.

(٦٩) نفسه، ص ٦٧.

(٧٠) نفسه، ص ٧١.

(٧١) شقير ص ٤١٠.

(٧٢) كتاب الشونة، ص ٧٢.

(٧٣) نفسه، ص ٧٣، شقير ص ٤١١.

(٧٤) شقير ص ٤١٢.

للكلاب^(٧٥). وشدد الوطاة على العرب الرحالة فكفى أهل القرى شرهم، وكان له من الأعوان عدا أخيه عدلان، الأرباب القرشى، والأرباب زين العابدين ود السيد، والفقير عبد الجليل ود عامر، وكلاهما من أهل الحلفاية، والفقير الأمين ود العشا^(٧٦)، ومن ثم تضفرت جهود هذا الوزير مع جهود عريمه الشيخ عبدالله الرابع لشمر استقراراً ورخاء نسبياً في الحلفاية وما حولها رغم انازعات والحروب بين الولاة والشيوخ. ومن الواضح أن علماء المنطقة وفقهاءها كانوا في هذه الظروف المضطربة متنازعين الولاء بين الشيوخ المتقاتلين، ولكن يبدو أن فضل الشيخ إدريس شيخ الحمج قد جمع حوله كوكبة من فقهاء زمانه، وكان من ورثائه الأرباب زين العابدين ود السيد الذي استمر معه منذ توليه المشيخة عام ١٢١٣هـ إلى أن قتل الشيخ زين العابدين في ميدان المعركة عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م^(٧٧). ويبدو أن الدواليب استمروا في ولائهم لشيوخ الحمج حتى بعد دخول الأتراك السودان، كما يستشف من مقتل السيد ولد زين العابدين عام ١٢٣٦هـ/١٨٢٢م شرق الحلفاية في قتالهم لقوات إسماعيل باشا^(٧٨).

ويبدو أن الشيخ ناصر ولد الأمين لم يسلم من مازعة أخيه الشيخ حماع بن الشيخ الأمين، فاضطر إلى القبض عليه وحبسه إلى أن مات صبراً بالسجن عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م^(٧٩).

الحمج أصحاب القوة

وفي هذه الأثناء كان سلاطين الفونج قد أصبحوا لعبة في أيدي وراثهم الحمج. وكان الشيخ محمد أبولكينك وزير الملك بادى أبوشلوح وغيره منذ عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م إلى عام ١١٩٠هـ/١٧٧٦م^(٨٠) قد بدأ ذلك بعزل بادى أبوشلوح وعزل غيره من ملوك الفونج وتولية غيرهم إلى وفاته عام ١٧٧٦م^(٨١). واستمر الأمر كذلك مع المتسلطين من وزراء الحمج حتى نهاية دولة الفونج. وقد رأينا

(٧٥) كُتبت الشونة، ص ٤٢.

(٧٦) عبدالله حسين: تاريخ السودان القديم ٩٥/٢، كاتب الشونة، ص ٤٢.

(٧٧) شبيكة: تاريخ ملوك السودان، ص ١٩.

(٧٨) نفسه، ص ٢٢.

(٧٩) كاتب الشونة، ص ٥٦.

(٨٠) نفسه، ص ٢٣ - ٢٧.

(٨١) نفسه، ص ٢٦ - ٢٧.

أن ذلك لم يكن مقتصراً على ملوك سنار وحدهم، بل أن مشايخ العبدلاب قد أصبحوا كذلك تحت رحمتهم كما رأينا من تولية الوزير إدريس لشيخ العبدلاب ناصر بن الأمين. وهكذا ضاعت هيبة الحكم في سنار، وأصبح القائمون بالأمر فعلاً هم الهمج، ومن ثم كانت المواجهات بينهم وبين العبدلاب مستمرة. وشهد حكم الشيخ ناصر ولد الأمين آخر شبونهم الذي استمر لأكثر من عشرين عاماً عدداً من حملات الهمج على الخلفاية. ففي عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م توجه جيش الهمج بقيادة محمد ولد عدلان إلى الخلفاية لمهاجمة الشيخ ناصر ود الأمين، فهرب هذا إلى شندي، وبقي ولد عدلان بالخلفاية مدة من الزمن ومعه الملك بادي وعمه الشيخ حسن وجميع جيوشه. ثم رجع إلى سنار دون حرب^(٨٢) وفي سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٧-١٨م توجه محمد ولد عدلان مرة أخرى إلى الخلفاية لمحاربة الشيخ ناصر، فهرب هذا مرة أخرى إلى شندي، ولكنه رجع بعد ذلك واستقر بالخلفاية حتى محي الأتراك^(٨٣).

والواقع أن مرور هذا العصر اهتمجي بهذه الصورة يثير كثيراً من التساؤل حول ماهيتهم وأصولهم ومن أين جاءوا، وكلها أمور لم يبت فيها برأى واضح. وبما أن المصادر لم تذكر هجرة تبرر وجود هذه الأعداد الكبيرة التي جشيت اجيوش وسيطرت على القويح والعبدلاب في نهاية المطاف، فالأقرب إلى الواقع أن نتصور وجود هذه المجموعات البشرية في المنطقة منذ البداية، ولعلها بقايا جيوش علوة المنهزمة التي استفاد منها المتغلبون من القويح ولعبدلاب وضموها إلى صفوفهم، فهم أولاً عنيج ثم مؤخرًا همج، وكلت اللغزتين تدلان على أن من أطلقها عليهم قوم آخرون ينظرون إليهم باستعلاء كما ينظر الغالب للمغلوب. وحين ضعف المتغلبون في سنار والخلفاية كان هؤلاء قوة عسكرية ضاربة بحكم تمكثهم من جيش سنار، فبرزوا بهذه الصورة التي رأيناها.

ويبدو من مناصرة الكثيرين من أهل المنطقة للهمج كما رأينا في حالة الدواليب، أن نموذج الهمج في المنطقة كان كبيراً بحيث يطغى على سلطة شبونخ العبدلاب، وتذكر روايات أهوارة الهوناب بالخلفاية قصة المكوكية التي أسبغها الهمج على جدهم الشيخ دفع الله شبوش، وكان رجلاً عالماً فقيهاً، ويبدو أن عدداً من أبناء الهمج قد تعلم على يديه. وهو معاصر للشيخ محمد أبولكيلك، فمنحوه شرف المكوكية وشاراتها، ولما بلغ العبدلاب ذلك غضبوا وقالوا لا يكون لك بالخلفاية لأننا أصحاب المكوكية،

(٨٢) تاريخ ملوك السودان، ص ١٩، عبدالله حسين ٩٤/٢

(٨٣) نفسه، ص ١٩ شقير، ص ٤١١.

ونرعوا المكوكية من الشيخ دفع الله ، ولما سمع الجمع بذلك كتبوا الى شيخ العبدلاب مهددين ومذربين إن هو تعرض ملك الهنوب دفع الله شائوش ، وتقول الرواية إن المكوكية ردت اليه ، والواضح أنها لم تكن مكوكية عامة على الخلفاية ، لأن تلك كانت مقصورة على شيوخ العبدلاب ، بل كانت مكوكية خاصة بين أهله لهنوب . وفي المصحف المسسوب اليه إشارة الى أنه وقفه على الشيخ 'بى لكيلك' .

وصول الأتراك

وكان الشيخ ناصر ، آخر شيوخ العبدلاب ، رجلاً شجاعاً صاحب رأى وتدير ، وعند دخول اسماعيل باشا السودان سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢١م قاده الشيخ ناصر بالخلفاية مستسلماً حين رأى ألا قدرة له على المقاومة ، فأمنه اسماعيل وكساه كسوة فاخرة وتركه في بلده . وتذكر الروايات أنه قبل وصول الجيش المصرى الى الخلفاية سعى الملك حاويش مك الشايقية لإثارة الشيخ ناصر لتعاون معه على حرب المصريين ، ولك فشل في استمالته عبر النهر بجنوده وهاجم الخلفاية وأثر فيها الخراب^(٨٤) . ولكن حاويش استسلم للمصريين في ١٥ مايو ١٨٢١م وتعاون معهم بعد ذلك . ويذكر كروفورد أن الجيش تحرك في الثالث من ظهر ذلك اليوم متجها الى الخلفاية عاصمة العبدلاب الذين لم تتضح نواياهم . وفي ٢٤ مايو وصل الجيش في مواجهة الخلفاية التي أبدى حاكمها رغبة في التسليم قبلها بأيام . وفي اليوم التالي عبر كايو الفرنسى المرافق لاسماعيل في قارب متهالك الى الخلفاية . وكان وصفه له ذا قيمة لأنه ليس لدينا عنها إلا مذكره بروس قبل خمسين عاماً حين لم تكن مركزاً للعبدلاب ، وغير ما ذكره كرمب الذى زارها في ١٨ / ٤ / ١٧٠١م^(٨٥) وهى آنذاك كما قال كايو ، أقل أهمية بكثير من شندى ، وتكاد تكون مهجورة ، فقد هرب كثير من أهلها وأقصى الباقون مؤنهم مدعين لفقر المدقع . ولأنه لم يجد قارباً لعبور النهر في لرحلة فقد اضطر لقضاء الليلة مع ولد عجيب ، واسمه لحقيقى ناصر ود الأمين .

وأثناء الليل حضر رسولان من اسماعيل باشا يطالبان بدفع الإتاوة فوراً من الجبل والحبوب التي وعد الملك بها . وقد أخذت هذه الأشياء الى الهر في صباح الغد يصحبها الملك الذى جلس على الرمل ينتظر المعدية . ودار حوار بينه وبين كايو حول أعمال اسماعيل باشا وموعده رجوعه المرتقب الى القاهرة . يقول كايو : □ وقد كانت سياسة اسماعيل أن يأتى تحت ستار المخلص من قهر الشايقية ، وكانت معاملته للحكام الأقاليم الذين منحهم كساوى الشرف والسلاح واخذ منهم إتاوة لا تتعدى ما يلزم

(٨٤) أنظر الوثيقة في ملاحق الكتاب .

(٨٥) كروفورد : مملكة الفونج ، ص ٢٧٢ .

(٨٦) نفسه ، ص ٣٠١ ، ٣٠٥ .

تكوين جيشه، قد جعلت الناس يؤمنون أن الجيش المصري لن يتأخر في الرجوع إلى بلده، مقترعين دافعاً أنه لن يهلك في سنار. وكان هذا أيضاً رأى ملك العبدلاب، ولم أشأ أن أخيب ظنه. وركباً قارب البشا (الكانجة) فوجدها ملثت مريجة، ونظر إليها باهتمام وقال لكايو إنها أول قارب من نوعه يراه^(٨٧).

وتوجه اسماعيل باشا إلى سنار بعد أن طلب من الشيخ ناصر أن يأخذ معه ابنه الأمين وكان وكيلاً لآبيه، فأذن له، وسار مع اسماعيل باشا إلى سنار، فلما وصلوا بلغتهم الأبناء بوفاة الشيخ ناصر بالخلفاية، ولما عاد اسماعيل عاد معه الأمين إلى الخلفاية بعد استلام سنار، وأمره محل آبيه، وترك معه (سنحفا) وأربعمائة جندي لاحتلال الخلفاية.

وذكر كايو الذي رافق حملة اسماعيل من دنقلا، أنه كان موجوداً في الخلفاية حاضرة العبدلاب في اللحظة التاريخية التي تنازل فيها شيخ العبدلاب ناصر الأمين للأتراك سنة ١٨٢١م وكان قد أمضى الليلة السابقة للتنازل في بيت شيخ العبدلاب^(٨٨). وبذلك سقطت دولة الفونج وحملاتهم العبدلاب بعد ما يزيد على الثلاثة قرون من الزمان.

الحروب القبلية

لم يكن الخلاف بين سلاطين الفونج ووزرائهم المممج وحملاتهم العبدلاب هو وحده سبب الاضطراب والفوضى في حياة دولة الفونج ومشيجة لعبدلاب خلال قرنهما الأخير. بل يضاف إليه ثورات القبائل المختلفة في شتى أنحاء لبلاد التي ظلت تسعى إلى الانفلات من قبضة الدولة المركزية في سنار، أو من فرعها في قرى والحلصاية. ويشهد على ذلك حروب العبدلاب: الكثيرة في النكا حيث قتل بعض شيوخهم هناك، وحروب الفونج والعبدلاب ضد المسبعات في كردفان حيث قتل بعض شيوخ العبدلاب المهمين، وكانت حروبهم مع الممالك الصعبة الخاصة لهم في الشمال متصلة الأوار. فقد كانت حروبهم مع الجعليين والجموعية كثيرة، تذكر منها المصادر غارة حمد السميع شيخ العبدلاب بقرى على شندى سنة ١١١٨هـ/١٧٠٦م حيث قتل فيها ملك الجموعية وكثيراً من أهله^(٨٩). وفي سنة ١٢٢٦هـ/١٨١٢م نشب قتال عنيف بين السعداب والجميعاب قتل فيه الأرياب بان القاء، وقويت شوكتهم وشكلوا خطراً على شيوخ العبدلاب كما مر بنا. ومن ذلك ما حدث على عهد ناصر

(٨٧) نفسه، ص ٢٧٣.

(٨٨) كايو: رحلة إلى مروي ١٩٤/٢ - ٥.

(٨٩) الطلقات، ص ١٠٥.

ابن الأمير آخر شيوخ العبدلاب. فقد كانت مملكة الجموعية تدفع ضريبة لبنت المال عبارة عن مهر الذكر من الخيل دون الإناث، فحاول الملك المحبة ملك الجموعية التمرد برفض دفع تلك الضريبة، فقاد اليه العبدلاب حيوشهم وأوقعوا به هزيمة ساحقة في الحلفاية، عاد الجموعية على أثرها يؤدون ما كان مفروضاً عليهم^(٩٠). أما مصدر القلق الحقيقي فقد كان هجوم الشايقية المتكرر على مشيخة العبدلاب إلى أن استقلوا عن سيطرتهم في نهاية القرن السابع عشر بين عامي ١٦٨٤ و١٦٩٩م^(٩١) وبعد ذلك توالى هجماتهم على حيرانهم إلى الجنوب، ويعمر الزمن شكلوا قوة ذات خطر في شمال البلاد، وأخذت جماعات من الفرسان تقوم بتخريب البلاد الواقعة على الضفة الغربية من النيل، حتى واجهوا الحلفاية ثم هاجموا ودحروا جيش العبدلاب فيها، وقتلوا أعداداً كبيرة من سكانها. وذكر كايو الفرنسي أن أهالي الحلفاية قبل وقوع غارات الشايقية عليها كانوا حوالي التسعة آلاف نسمة، ثم تناقص العدد بسبب هذه الغارات، حتى كان سنة ١٨٢٢م عند سقوط دولة العبدلاب بين الثلاثة والأربعة آلاف نسمة^(٩٢).

ومن حروب الشايقية وللعبدلاب التي دارت رحاها حول حلفاية الملوك عاصمتهم، ما ذكرته إحدى المخطوطات عن معركة وقعت بين السواراب، أحد فروع الشايقية، وبين شيوخ العبدلاب عند فاشر الشيخ عجيب الكبير جد هذه القبيلة. فقد ذكر المخطوط أن السواراب أغاروا على العبدلاب في الحلفاية، وتبعاً للعرف العسكري آنذاك في مثل هذه الحروب تبارز كل من شيخ العبدلاب وشيخ الشايقية لسواراب، مفتحين بذلك القتال الذي انتهى بهزيمة الشايقية، رغم أن ملكهم بادر شيخ العبدلاب ورماه برمح السلطية قبل أن يحرك الشيخ ساكناً، فخرج الرمح من ظهره وأرداه قتيلاً^(٩٣).

ورغم كل هذه المآسي التي تعاورت على الحلفاية في آخر أيام العبدلاب لم تتأثر المدينة، وإن تأثر سكانها وتقلص عددهم كما ذكرنا آنفاً فقد حافظت المدينة على مظهرها العدم. فقد وصفها الفرنسي كايو في آخر أيامها عام ١٨٢١م حسب رواية كروفورد عنه بقوله: (قدّر كايو سكان الحلفاية بثلاثة أو أربعة آلاف نسمة، مما يدل على أنهم رادوا منذ أيام بروس حين كانت منازلها ٣٠٠ منزل. ولكن يبدو أنها كانت أكثر في فترة قبل بداية غارات الشايقية، فقد بلغ سكانها حينئذ ثمانية أو تسعة آلاف

(٩٠) محي الدين: مشيخة، ص ٢١٣

(٩١) نفسه، ص ٢٢٤

(٩٢) كايو: ١٩٤/٢

(٩٣) محي الدين: مشيخة، ٢٢٦.

سمة وتنظم مساكنها في حشاش كبيرة تعطى مساحة أربعة أميال. ومساكنها من الجالوص، ولا توجد شوارع منتظمة. ومنازل المشايخ فقط هي التي لها طابق علوى بسقف مسطح وسبيلها من جذوع النخل المجوف، وتدور أبوابها على أعمدة مئبلها للقدمات. وكانت الحلفاية تحت سيطرة سنار، ولكنها استقلت خوفاً الخمسين عاماً. وكان الشاطيء الأيمن الأكثر خصوبة، ولكنه ملئ بقوات جويش الشايقية الذين ظلوا يتحولون بحرية هناك لعامين أو ثلاثة، ولا يتركونه إلا لهب القوافل في الصحراء ويرجعون كالجراد^(٩٤).

وقد ظلت آثار هذه القصور العالية ذات الطوابق المنيبة من اللبن حتى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات، وكان الصبية يتسلقونها ويلعبون فيها، ثم بدأ الناس في هدمها والاستفادة من طوبها وترابها في بناء منازلهم.

الحلفاية في العهد التركي

قال اسماعيل باشا في خطابه لوالده محمد علي باشا بتاريخ ١٦ رمضان ١٢٣٦ هـ: (لقد قما من شندى ووردنا الموضع الذى يقال له حلفايا فأقمنا به أربعة أيام لكي نجمع مائتى جمل، ثم جاوزنا مدينة سار من أول يومين ونصف)^(٩٥). وقد ذكرنا أن الشيخ ناصر بن الأمين سلم دون مقاومة، وما لبث أن مات، فأمر اسماعيل ابنه الأمين شيخاً على الحلفاية محل أبيه، وأقام الترك حامية في الحلفاية قوامها أربعمائة جندي من الشايقية تحت قيادة سنجك. وقد كانت مقاومة شيوخ الهمج لاسماعيل ضارية. فبعد أن استقر قليلاً في سار سمع استعداد الوزير الهمجى حسن ود رجب للقتل، فبعث اليه بجماعة من جيشه شرق النيل، فقتلوا أعداداً من أنصاره منهم لفقير السيد ودرين العابدين، وكان ذلك عام ١٢٣٦ هـ^(٩٦). ولما قتل المثلث نمر اسماعيل باشا في أكتوبر ونوفمبر ١٨٢٢م اشتعلت الثورة في المنطقة مابين شندى الى ود مدنى جنوباً، وثار الناس فيها على حاميات الأتراك، وأخلت الحاميات الصغيرة على النيل والنيل الأزرق موقعها في كررى والحلفاية والخرطوم والعيلمون والكاملين، وانتقلت بصعوبة الى مركز القبة الرئيسى في ود مدنى^(٩٧).

(٩٤) كروغورد، ص ٢٧٣

(٩٥) شبيكة: تاريخ ملوك السودان، ص ١٤، حاشية، ١ ص ٢٢

(٩٦) نفسه، ص ٢٢

(٩٧) هولت، ص ٤٤، هل. على نفوذ العالم الاسلامى، ص ٤٤.

أما في الحلفاية فقد قام الشيخ الأمين بن الشيخ ناصر بن الأمير على رأس قوة من أهله وهجم على الحامية وقضى عليها قضاء مبرماً. ولما استعاد الأتراك أنفاسهم وقمعوا الثورات في الشمال بقيادة الدفتردار، أصابوا العبدلاب وصربوهم دون رحمة. فقد توجه الدفتردار من كردون نحو الخرطوم، ونزل بالمقرن فقابله بقية المنهزمين من الهمج والشيخ الأمير وغيرهم فقطع عليهم البصيلة الطريق، واهرموا نحو السافل، ثم أرسل اليهم من عساكر الشايقية والمغاربة فلحقوهم نحو الرويان (بين الخرطوم وشندي) وارتحلوا^(٩٨). فهرب الشيخ الأمير إلى القلابات، وصادر الأتراك أراضي العبدلاب في الحلفاية وقرى وأقطعوا حلفاءهم الشايقية الأراضي في شمال شرق الحلفاية، وقد بدأ نفوذ الشايقية يزداد في الحلفاية منذ ذلك الوقت^(٩٩). وذكر مصدر آخر أن الدفتردار حين رجع بجهة الشرق من شندي قاصداً ولد عجيب في الحلفاية لم يجده، بل وجد الحلفاية خاوية فأحرقها بالنار^(١٠٠). ووضع يده بالخراب فما ترى فيها إنساً ولا تسمع لها حسيساً من شندي إلى كترانج^(١٠١). وكان الشايقية أعوانه فأعطاهم أملاك السعداد والنافعاب، وأملاك العبدلاب وغيرهم بالحلفاية^(١٠٢). وقد اتخذ الشايقية بعد ذلك من دار الجعليين والحلفاية والغيلفون وطناً ثانياً لهم^(١٠٣). وقد ظلت حلفاية الملوك نفسها عاصمة للمناطق التي تقع شمال النيل الأزرق، أي المناطق التي كانت خاضعة لمشيخة العبدلاب، وبعد تدمير الحلفاية وهروب أهلها منها وتسليمها لقوات الشايقية أكرح حلفاء الأتراك، صار للشايقية نفوذ عظيم في الحلفاية، يشهد به حيزهم الكبير المعروف باسمهم الآن في الحلفاية.

ورغم أن الأتراك أشاءوا عاصمتهم في الخرطوم، فإن الحلفاية ظلت عاصمة الإقليم، واحتفظت بأهميتها لفترة من الزمن. ولدينا من الوثائق ما يؤكد أنها ظلت لما بعد عام ١٢٤٧هـ عاصمة لإقليم الحلفاية والبحر الأبيض مثلها ومثل بربر ومذني حتى بعد إنشاء الخرطوم. ففي الوثائق الأصلية بدار الوثائق العربية بالقاهرة ترد إشارة في خطاب تاريخه ٢١ شوال ١٢٣٧هـ إلى حاكم الحلفاية وفي آخر تاريخه ٢٩ شوال ١٢٣٧هـ نقف على خطاب من محمد علي باشا يبين فيه الوضع لإدارة بربر وملحقاتها والحلفاية وسار ومذني، ويمضى الخطاب فيقول (إن هرده «عربية» حلفاية قد

(٩٨) كتاب الشونة، ص ٩٣

(٩٩) ابوسليم: تاريخ الخرطوم، ص ١٠ - ١١

(١٠٠) شبكة: تاريخ ملوك السودان، ص ٢٤، هولت، ص ٤٦

(١٠١) كتاب الشونة، ص ٩٢.

(١٠٢) الفحل، ص ٥٦، حل: على تخوم العالم الاسلامي، ص ١١٣

(١٠٣) نفسه.

حولت على القبوحي باشا «كبير الحجاب» محمد أعا. ويرد في الهامش قوله: (ولما كان حاكم حلغاية القبوحي باشا لمشار اليه، وحاكم القصير محمد أمدى ممن يسقى عودتهم مع طوسون بك، فأرسلوهم معهم، واستخدموا مكانهم أهل التجربة)^(١٠٤). وهكذا لا تذكر الخرطوم أيام إقامة اسماعيل باشا، إذ كان مقر إقامته مدني، وقد صارت عاصمة، ببصاصارت سنار محرد نقطة. أما الحلغاية فيأتي ذكرها مع الإدارات الأخرى مثل سنار وبربر^(١٠٥). وحين رار الرحالة إدورد بارون فون كالو الذي اشتهر باسم أرسلان بك المنطقة في طريقه إلى الحبشة عام ١٨٣١م وصف الحلغاية وذكر أنها عاصمة الإقليم، وأن بها نحو أربعة آلاف نسمة^(١٠٦).

ويستفاد من الرسائل المتبادلة بين محمد علي باشا وأبيه اسماعيل وإبراهيم أنهم كانوا مشغولين بموضوع إدارة إقليم الحلغاية في محرم ١٢٣٧هـ، فقد اقترح اسماعيل باشا على أبيه تعيين محو بك حاكماً على هذا الإقليم. وعرض محمد علي الأمر على إبراهيم باشا واستشاره فيه، وقد سبق لإبراهيم زيارة السودان بعد الفتح مباشرة، ثم رجع إلى مصر بعد عدة أصبته. وكان من رأى إبراهيم ألا يعين قائد مبرز مثل محو بك على الحلغاية، نظراً إلى أنها إقليم حرب وقريب من سنار، ومن لممكن إدارته منها بسبعين أو ثمانين فارساً. وقد أخذ محمد علي بهذا الرأي، وعين محو بك على أقاليم شندي وبربر والرباطات التي أدمجت في إدارة واحدة واتحدت ببربر عاصمة لها^(١٠٧). ويبدو أن إقليم الحلغاية ظل يضم الليل الأبيض لفترة طويلة، كما يستفاد من أخبار الخوربطل حسن كاشف حاكم إقليم الحلغاية وبحر أبيص الذي توفي عام ١٢٤٧هـ^(١٠٨).

وقد عهد أمر الحلغاية إلى محمد أعا القبوحي باشا كبير الحجاب، ونعلم من المكاتبات أنه أحضر شيخ العبدلاب، وهو يشير إليه بملك الحلغاية، ومنحه الأمان، وأجلسه في مكانه حاكماً، ولعل هذا الشيخ هو ناصر بن الشيخ الأمين بعد هروب أبيه إلى القلابات.

العبدلاب وزوال السلطان

ومن الواضح أن سلطان العبدلاب قد دال بدخول الترك، ولم يعد لهم من مجال إلا

(١٠٤) أبوسليم: تاريخ الخرطوم، ص ٢١ - ٢٢.

(١٠٥) نفسه، ص ٢٢.

(١٠٦) نفسه، ص ١٣.

(١٠٧) نفسه، ص ٢٠ - ٢١.

(١٠٨) شبيكة: تاريخ ملوك السودان، ص ٣٠.

على وجه هامشي وتحدثنا روايات العبدلاب التاريخية أنه بعد وفاة الشيخ ناصر ود الشيخ الأمين تشيخ بعده ابنه إدريس، وبعده أخوه الأمين ود ناصر، وآخر شيوخ العبدلاب في العصر التركي هو الشيخ جماع بن الشيخ الأمين ود ناصر وجاء بعده الشيخ الأمين ود عمر ود الشيخ وانتهت الشياخة في عهد الحكم الثنائي بالشيخ محمد ود الشيخ جماع

وتذكر الروايات أنه بعد أن استلم، لترك الحكم من الشيخ الأمين ود ناصر، ركب الشيخ يوسف ود ناصر (وفي رواية أخرى الشيخ إدريس ود ناصر) حواده، وصار يمر على أهله العبدلاب ويقولون لهم: (العيشة بتاعة السيف راحت، قيل إن بتعيشو من السيف، والسيف إنتهيا منو، وبقيت أولاد عرب يخدم بالملود وبحش وسوى البلدات، معيش براتا. دحين قوموا، العبدلابي يسوي ترس، والعبد يسوي ترس، وود العرب يسوي ترس، وتاني عيشة المملكة وعيشة السيف إنتهينا منها^(١٠٩)). وتذكر نفس الروايات أن الشيخ إدريس ود ناصر انتقل إلى عدّ الشيخ جماع وسكن فيها، وحفر فيها بئراً، ولكنه لم يتمها، فأتمها بعده الشيخ جماع ود الأمين الذي عرف المكان باسمه^(١١٠). وكان الشيخ جماع هذا في الحلقاية، ويبدو أن مضايقات الأتراك قد دفعت به إلى مغادرة موطنه بالحلقاية إلى عدّ الشيخ جماع^(١١١). ومن الطرائف التي يروها العبدلاب أنه لما استولى الأتراك على الحكم ذهبت إحدى المغنيات للمادحات إلى أحد باشاوات الترك الذي بنى قصراً بالخرطوم ومدحته بقولها:-

ما بجالس الشين إلا أم فلج
ما بركب المرنات إلا أم دمج
فوق دار عجيب رقد إنبلج

وذهب أحدهم وأخبر الشيخ إدريس (ود ناصر) في الحلقاية بما قالته الغناية، فكتب الشيخ إدريس للتركي جواباً في سطرين قال فيه: (وحاة عجيب بي طلوع الشمس ولا أدبت دمك ولا ديتك دمي. طلوع الشمس ألقاك في لقصر ولا دمك ولا دمي استعد) وكان أن هرب التركي بالليل، ولما جاء الشيخ إدريس في الغد وجد القصر

(١٠٩) تاريخ العبدلاب من رواياتهم، ص ٨٥ - ٨٦، كروفرود، ص ٣٣٤.

(١١٠) تاريخ العبدلاب، ص ١٠٢، ١٠٨.

(١١١) نفسه، ص ١٠٨.

(١١٢) نفسه، ص ١٠٩.

خالياً لا أحد به. فقالت غناية الشيخ إدريس فيه :-
 القصر لمقاسل الباشا يا إصيه سويتو/ وعصروك التلوب فجرت حليتو/ ناجم في الحديث/ العرضى سيدى إدريس^(١١٣).
 وكان الشيخ إدريس هذا رجلاً شجاعاً قوى الشكيمة لايهاب الترك. ويروون في ذلك أن الترك طلبوا من كل قبيلة مساهمة أحدهم في الجيش المحارب، وطلبوا من يمثل لعبدالاب، واتصلوا بالشيخ إدريس ود ناصر ود الأمين ود مسبار، فانتخب لهم ابن أخيه عجيب ود الشيخ الأمين ود ناصر ود الأمين ود مسبار الذى فيه القرن، أى المرشح لولاية الشياحة بعده فيزيوا قرنه ويجعلوه مانجلاً. وبعد أن اكتمل عقد الجدةان «الصبيان» خلق الأتراك لهم شعر رؤوسهم بمس فيهم عجيب ابن الشيخ إدريس. فذهب أحد الحاضرين للشيخ إدريس بالحلقاية وقال له: عجيب ودأخوك ريويه «حلقوا شعر رأسه» قال. ما دام ريويه وحاة الشيخ عجيب ما يسافر. وشد حصانه وجاء في الخرطوم دفر وسط المديرية وهددهم بالدم. وكانت النتيجة أن انصاع له الأتراك ولم يسافر عجيب^(١١٤).

١. ظلم الانسان وثورة الطبيعة

وكانت ايام الاتراك الاولى ايام انتقام وظلم. فبرد في احوار ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م مبلغ الصميم والاذلال والضرائب الفادحة التى فرضها الأتراك على الأهالى حيث هرب كثير منهم وكنت الحدود تلاحقهم وتحصدتهم بالرصاص، واصاب الناس مع ذلك داء الحدرى والقحط الشديد، الذى صار فيه رطل الذرة بقرش، وأكل الناس الكلاب والحمير، وبالجملة فانها ايام بلاء ذهب فيها نصف الخلق من الامراض والقحط. وقد نزع الله الرحمة من قلب عثمان بيك برنجى الوالى التركى القط الغليظ^(١١٥). وجاء بعده محووث من بربر وأقام بالخرطوم سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م - ٦م، وولى في مدته القضاء العمدة الفاضل الفقيه ابراهيم عبدالدافع^(١١٦). وفى تلك السنة (١٢٤١هـ) نزلت مطار كثيرة استبشر بها الناس وبادروا بالزراعة، وتولى الحكمدارية فيها خورشيد دشا، وكان قد حضر معه السيد احمد افندى السلاوى قاضياً على عموم السودان، وقرب الشيخ عبدالقادر ود الشيخ الرين، وكتب الى الناس، فوجع من

(١١٣) نفسه، ص ١٤٨.

(١١٤) نفسه، ص ٨٤.

(١١٥) كتاب الشونة، ص ٩٧، شفير ص ٥١٢.

(١١٦) نفسه، ص ٩٨.

هرب واظمأنا في ديارهم، وجمع المشايخ بالخرطوم لأجل ربط أموال الميرى «فرض الصرائب» وأمرهم أن يختاروا لهم شيخاً ليقبله شياخة عمومهم، حتى يكون واسطة بينه وبينهم، فاختاروا الشيخ عبدالقادر، فعندها صدر له الأمر بالشياخة على عموم المشايخ من حجر العسل إلى آخر جبال الفونج^(١١٧).

وفي عام ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م خسفت الشمس في وقت الضحى واحتار الناس في ذلك^(١١٨). وفي سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م شرع خورشيد ناشأ في انشاء جامع الخرطوم، وأمر أهلى الخرطوم باشاء منازلهم بالصوب الأحمر، لأن غالب بيوتهم بالشكاب وحلود البقر، ولم يكن من منازل الطوب إلا القليل بجوار المسجد، وفي سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م توفى الفقيه عبدالقادر ولد صيف الله، وهو ذو علم في التوحيد والعروض^(١١٩)، وفيها ارتفع القيضان وجاء البحر الكبير الذى لم ير الناس مثله وكادت تغرق فيه البلدان^(١٢٠).

ويرد في أخبار عام ١٢٤٧هـ/١٨٣١م انه حصلت هزة عظيمة اشبه بالزلزلة، واهتزت الارض، وفيها توفى الشيخ محمد المجذوب قمر الدين بن الشيخ حمد المجذوب بالدامر، وفيها توفى المرحوم خور بطى حسن كاشف حاكم اقليم الخلفاية والبحر الابيض، ودفن بقية خوجلى^(١٢١). وفي سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م سلم الشيخ السلاوى المحكمة الشرعية للفقيه ابراهيم عبدالدافع والسيد محمد افندى المفتى. فقاما بها احسن قيام، واتقيا ما خفى ودق من امورها على التمام^(١٢٢). وفي سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م خسف القمر ليلة الصف من شعبان، وتساقطت الجيوم الى قرب طلوع الشمس، وحصل الوباء في سائر البهائم^(١٢٣). وفي سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م كسفت الشمس بعد صلاة العصر وفقد نورها وانتصفت نصفين الى وقت العروب^(١٢٤). وفي عام ١٢٥١هـ/١٨٣٦م حاول الاتراك اخذ اولاد العرب للمجهدية، ولكن الشيخ عبدالقادر اقنعهم بأحد الرقيق بدلهم وفي هذه السنة كسفت الشمس بعد صلاة العصر وفقد نورها، وانتصفت نصفين بالسواد وغيره ومكثت الى

(١١٧) كاتب الشونة، ص ١٠١-٦.

(١١٨) نفسه، ص ١٠٧.

(١١٩) نفسه، ص ١١١.

(١٢٠) نفسه، ص ١١٠، شقير، ص ٥١٧.

(١٢١) شقير، ص ٥١٧.

(١٢٢) كاتب الشونة، ص ١١٣.

(١٢٣) نفسه، ص ١١٣.

(١٢٤) نفسه، ص ١١٨.

قرب غروبها ثم انجلت^(١٢٥). وفي صفر ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٧م هاجت ربيع شديدة يومين متواليين، اليوم الأول هاجت حمراء وذلك بعد العصر وأظلمت ظلمة شديدة، ثم انحلت بسرعة وفي اليوم التالي هاجت سوداء مظلمة أشد من الذي قبلها بعد العصر يضاً واستمرت الى غروب الشمس، وفيها حصل قحط شديد، وعدمت كافة اصناف الحبوب، وفيها أصاب الناس الهبصة المعروفة بالربيع الاصفر (الكوليرا) ومات فيها خلق كثير حتى ان لخرطوم نفسها يخرج منها كل يوم زيادة عن عشرين جنازة. ولما اشتد المرض توجه الحكمدار الى شندى ابتعاداً عنه وقام بها^(١٢٦). وفي هذه السنة ظهرت نجمة كبيرة في منتصف النهار وخرج منها شرار عظيم، وفيها ايضا أصابت الناس حمى سموها «ام سبعة» لان غالب من اصابته يموت في اليوم السابع من الاصابة، ومن تجاوزها سلم منها. ومات فيها خلق كثير من الاعيان^(١٢٧). وفيها عزل الشيخ لصديق من المشيخة بعد ان كان محكماً على كامل دار الشيخ عجيب^(١٢٨). وفي سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م خسف القمر في ليلة النصف من محرم وأظلم واشتد ظلامه^(١٢٩). وفي ٢٤ منه هاجت ربيع شديدة بعد صلاة الظهر اظلم النهار وأظلمت الارض واغبرت واصبح الانسان اذا اخرج يده لم يكدرها. وانزل الله في تلك السنة مطراً في غير وانه وسقى الاودية ونبت الزرع فارسل الله الجراد على صنفين وأوانين، اما لصف الاول فهو صعر يسمى قبورة فاكل الزرع في ابتداء بته، واما الصف الثاني كبار احمر اكل ما استوى منه^(١٣٠).

وفي سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م تولى الحكمداية أحمد باشا أبو ودان بعد خووشيد، فأزال كثيراً من ألوان الظلم التي كانت على الأهلى، وأبطل تعدى العساكر على المزارعين وتسحيرهم في الأشغال، وارتاح الأهلى، ورادت العمارة، وكثر الخير

وحصيت الأراضي ورخصت الأسعار، حتى صار أردب الذرة بحمسة قروش، وصارت أيامه أحسن من أيام سلمه رغم حسنها^(١٣١). وفي ١٣ رجب من تلك السنة خسف القمر وأظلم وطال ثم انجلت^(١٣٢). وفي نوفمبر ١٨٣٩م زار محمد علي باشا

(١٢٥) تاريخ ملوك السودان، ص ٣٠.

(١٢٦) كاتب الشونة، ص ١١٩، تاريخ ملوك السودان، ص ٣١، شقي، ص ٥١٨.

(١٢٧) تاريخ ملوك السودان، ص ٣١، شقي، ص ٥١٩.

(١٢٨) كاتب الشونة، ص ١٢٠.

(١٢٩) نفسه، ص ١٢٠.

(١٣٠) نفسه، ص ١٢١.

(١٣١) تاريخ ملوك السودان، ص ٣٢.

(١٣٢) كاتب الشونة، ص ١٢١.

السودان وأقام بالخرطوم اثنين وعشرين يوماً حيث قام به كبار الرجال وشيوخ الحلالات ومشيح لعرود ورجع الى مصر في مارس ١٨٤٠م^(١٣٣).

وفي أيام أحمد أبو ودان قسم السودان الى سبع مديريات هي: فازوغلي وسنار والخرطوم وكسلا وبربر ودنقلا وكردفان، وجعلت الخرطوم مركزاً لسودان^(١٣٤) وبعد وفاة أحمد باشا أبو ودان بالخرطوم تولى الحكمدارية بعده أحمد باشا المنكلي (١٢٥٩ - ١٢٦١هـ / ١٨٤٤ - ١٨٤٥م)، وتوالى بعد ذلك عدد كبير من الحكمداريين لم يحدثوا كبير تغيير في حياة الناس ولا إدارتهم. وفي عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م انتشر الهواء الأصفر «الكوليرا» وعم جميع البلاد، ومات فيه خلق كثير منهم الشيخ عبدالقادر بن الشيخ الزين شيخ مشايخ الخرطوم وسنار^(١٣٥).

وفي عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م زار سعيد باشا والى مصر، السودان في يناير وأجرى اصلاحات ادارية ومالية، وجعل الخرطوم وسنار مديرية واحدة، وفصلها عن بقية المديریات، وجعل كل مديرية مستقلة عن الأخرى ترجع في أحكامها الى مصر. وخفّض صرائب لأطيان والسواقي، ومنع الجند من جمعها، واناطها بمشايخ البلاد، وقرر جمعها بعد اخصاد لا قبله^(١٣٦)، وكل ذلك مما أراح الناس وأشركهم في إدارة شئونهم. وعين سعيد باشا أراكيل بك الأرمني الملقب بالفرساوى مديراً على الخرطوم بعد تنظيم المديریات، واحتج على ذلك مشايخ الشكرية وانكروا تعيين نصراني والياً عليهم، وتجمّعوا بالثورة، فذهب اليهم أراكيل وهدأهم، وكتب الى سعيد باشا يحذر الثورة، فبعث سعيد في طلب زعماء الثورة فأرسل له الشيخ أحمد أبوس شيخ الشكرية والفقير إبرهيم عبدالدافع فسجنهما بالاسكندرية مدة ثم أفرج عنهما وأرجعهما الى السودان بعد أن حلفا له يمين الطاعة^(١٣٧).

وفي أيام راسخ بك (١٢٧٨ - ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢ - ١٨٦٣م) أعاد اسماعيل باشا النظر في موضوع استقلال المديریات، ورجعت الخرطوم مركزاً عاماً للسودان^(١٣٨). وفي عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م استلم الحكمدارية موسى باشا حمدي حاكماً عاماً للسودان مركزه الخرطوم، وقسم الضرائب على أقساط، وجعل من الأهالي بظار أقسام

(١٣٣) شقير، ص ٥٢١

(١٣٤) نفسه، ص ٥٢٣.

(١٣٥) نفسه، ص ٥٣٣.

(١٣٦) شقير، ص ٥٣٣.

(١٣٧) نفسه، ص ٥٣٤.

(١٣٨) نفسه، ص ٥٣٥.

ومعاونين، وأمرهم فلبسوا الملابس العثمانية، فحسنت الحال وسهل تحصيل الأموال^(١٣٩).

وتوالى على حكم السودان بعد ذلك عدد من الحكمداريين، وكانت الأحوال العامة تزداد سوءاً، فاندلعت الثورة المهدية التي أطاحت بالحكم التركي.

الهيكل الإدارى والحكم المحلى

رأينا فيما سبق السياسات المختلفة التى طبقها الحكم التركى فيما يتعلق بالهيكل الإدارى العام والتى تراوحت بين المركزية المفرطة والإقليمية، والتوسط بين ذلك، وبصرف النظر عن استقلالية المديريات أو مركزيتها، فإن المديرية مقسمة الى كاشفيات مثلما هو الحال فى مصر، وكل كاشفية تنقسم الى مناطق تدار كل منها بواسطة شيخ مشايخ، ومقر المأمور وهو نائب الحاكم فى الإقليم، يكون عادة المدينة الثانية فى الإقليم. وعلى كل كاشف أن يعد أربعين جندياً من الخيالة غير النظاميين يجندهم ويدفع لهم المرتبات ويزودهم بالكساء فى حالات أخرى كثيرة، ويخصم الكاشف تكاليف إعاشة هؤلاء الجنود من مرتباتهم ويعوض خسائره من خزينة الحكومة. ثم يوزع الكاشف جنوده فى قريتين أو ثلاث لجمع الضريبة أو لآى أمر آخر تكلفه به الحكومة حيال المزارعين.

وكان على كل قرية شيخ يحكمها باسم الحكومة، وعلى كل حوالى إحدى عشر قرية شيخ مشايخ. ولكن هذا العدد تقريبى فقد يكون شيخ المشايخ مسئولاً عن أعداد أكبر من القرى، وكان الى جانب شيوخ المشايخ شيوخ الخطوط، وكان الخط عبارة عن مجموعة من قرى قليلة داخل نطاق القسم، وشيخ الخط أقل أهمية من شيخ المشايخ^(١٤٠). وكانت شياخة الخلفاية فى كثير من الأحوال تمتد من حجر العسل الى الخلفاية وما حوفا، وقد رأينا أن بعض الحكام الأتراك قد اهتموا بهذه الإدارات المحلية، ومن ثم اشتد الصراع بين الناس حولها لما ينجم عنها من حاء ومن نفوذ وثروة. وقد بينا فى مواضع متفرقة القيادات التى تولت بعض هذه المناصب المحلية.

الخلفاية فى المهدية

كانت فترة المهدية فترة اضطراب وحروب، وكانت الخلفاية فيها هدفاً لكثير من هجمات الأنصار قبل سقوط الخرطوم، خاصة وأن الشايكية فيها كانوا معادين

(١٣٩) نفسه، ص ٥٣٦.

(١٤٠) هل: على نحو العالم الاسلامى، ص ٨٦-٨٧.

للمهدية مدافعين عن الحكم التركي الذي كان معظم كبارهم من موظفيه وقواد حيشه. وكمرّباً فقد كان بالخلفية حامية تركية قوامها حوالي الأربعائة من باشورق الشايقية تحت قيادة سنجك. والواقع أن الريف المحيط بالخرطوم كان في أيدي قبيلة الشايقية التي طلت على ولائها للأتراك وعدائها للمهدى^(١٤١). وفي أوائل حصار الخرطوم حوالي منتصف مارس ١٨٨٤م حصر الجواسيس إلى عردون باش وأخبروه بأن الشيخ العبيد ود بدر زاحف بحيوش نيف على الثلاثين ألفاً لحصار الخرطوم، فأرسل خمسمائة من الباشبورق إلى الخلفاية مع الأنصار من احتلالها (والخلفاية حيداك تشمل كل المنطقة من بحري إلى الخلفاية). ولم يكن إلاّ لقليل حتى أقبلت جيوش الشيخ العبيد وعليها أباه إبراهيم والعاس والشيخ المضوى عبد الرحمن، وبزلوا على الشايقية في الخلفاية فهزموهم فيها واحتلوها. وكان عردون باش واقفاً على سطح السراى يشهد القتال بالمطار. فلما رأى الهرم الشيفية أرسل إبراهيم بك هورى في باحرتين مشحونتين بالعساكر، فوجد الأنصار قد شادوا المتريس والطواى وتحصنوا بها، مع أنه لم يمض على احتلالهم إياها سوى بضع ساعات، فحاربهم مستتبلاً إلى أن أسدل الليل حجاباه، فرجع عنهم بعد أن زحرحهم من حصوهم. وكان تاريخ هذه الواقعة ١٣ مارس ١٨٨٤م وهى أول وقائع حصار الخرطوم^(١٤٢). وصمم عردون على طرد الأنصار من الخلفاية، فجهز حيش مؤلف من ثلاثة آلاف من الباشبورق وألف من الجهادية ومدفع جبلى، وعقد لواءه للسعيد باشا ووكيله حسين بش إبراهيم الشلالى، فخرجوا من سراى الشرق، وسارا نحو خلفاية، فالتقى بهم الأنصار في منتصف الطريق فانقسموا ثلاث فرق. فرقة عن يمينهم فى غاية الملاحه، وفرقة عن يسارهم شملى القبه، وفرقة أمامهم قيل وكان السعيد باشا ووكيله متواطئين معهم على الفتك بجيش، فلما صاروا على بعد مرمى الرصاص، لم يأمر العساكر بإطلاق النار، فهاج قومند الجهدية وأمر رجال المدفعية ومقدمة القلعه فأطلقوا نيرانهم، وأخذ الأنصار فى الإهزام، فأمر حسين باشا إداك ملازم الطوبجية دلكلف عن الصرب، وما لم يفعل صربه بسيفه صرته أطاحت برأسه، وأمر سعيد باشا البروجى بضرب نوبة رجعة، ولما اعترضه الصاغ، قل أنا القومندان دون عبرى، وأعاد الأمر للبروجى فتوقف فضربه بالسيف فقتله، ونادى بروجياً آخر، فحشى أن يصيبه ما أصاب رفيقه، فصر ب نوبة رجعة، وأخذ العساكر فى التفهقر، فعجب الضباط من هذا الأمر، وأخذ حشم لموس ومحمد أعما وغيرهما من الضباط يستوقفون العساكر

(١٤١) مورهد: النيل الابيض، ترجمة محمد بدرالدين تحليل، دار المعارف، ص ٢٤١.

(١٤٢) شقير، ص ٧٧٤.

للقتال، ولكن السعيد والحسين كانا يردانهم بالسيف، وقد جعل كل منهما طربوشه في
 فمه، فطُرَّ إليها العلامة التي اتفق عليها مع الأنصار. وأحد الأنصار المدفع وتنعوا
 العساكر المهريين فأدركوا أربعة حمال عملة بالذخائر ففتموها. وكان قتل الجيش في
 هذا اليوم نحو أربعمائة رجل، ولم يقتل من الأنصار سوى عشرين رجلاً. وتاريخ هذه
 الواقعة الأحد ١٦ مارس ١٨٨٤م، وعرفت بواقعة الشرق لأنها كانت شرق النيل
 ونار أهل الخرطوم عبي هذه الخيبة وطالبوا بالقصاص من القائدين المتأمرين،
 فعقد غردون مجلساً عسكرياً حكم بإعدامها فاعدها، وأعم غردون على خشم الموس
 وجعله قومداً على الشبيقة، مكافأة له على مسالته في واقعة الشرق^(١٤٤)
 وفي أثناء ذلك كان صالح الملك يقود جيوش الأتراك في الجريد^(١٤٥) فحاصره.

وفي أثناء ذلك كان صالح الملك يقود جيوش الأتراك في الجريد^(١٤٥) فحاصره محمد
 الطيب البصير في فداسي، ودام الحصار فترة من الزمن، إلى أن عقد المهدي اللواء
 لقائده أبو قريجة وأمره بمواجهة صالح الملك، فتقدم إلى فداسي حيث سلم له صالح
 الملك^(١٤٦). واعتقل المهدي صالح الملك وحجسه. ودارت بين الإثنين رسائل حول هذا
 الموضوع فكتب المهدي رسالة في ١٤ محرم ١٣٢٢ هـ ينوم فيها صالح الملك على
 اتصاله بعمردون بعد أن دلّه الله على المهدي، ويبدو أن رسالة صالح الملك إلى غردون
 قد وقعت في يد المهدي قبل أن تصل إلى غردون، فهو يؤنب صالح الملك ويذكر له أنه
 (مع شؤم الحالة واستحقاقك فيه القتل، قد أردنا تصفيتك وتكفير خطاياك بالسجن
 والحبس والعمل لنكون مع المكرمين الصادقين في طلب ماعمد الله من المرايا العظيمة
 الدائمة رحمة بك)^(١٤٧). ويكرر له نفس المعاني في خطابه الثاني^(١٤٨) وفي خطابه
 الثالث يقول له (واعلم أن حبسك هذا ليس لمؤاخذه، وإنما هو شفقة بك، وتقديراً
 إلى حيرك لدائم، وتقيراً وتبعيداً بك من سوء ملائم، وإني أعرف بحالك وصلاحتك
 من مثلك. ولكن سلسلعتك لنا وحسن الطرب ما نجد عظيم المنا، فحسن طنك في الله
 وفيه، فبحسن البداية تحمد كمال المهية والسلام)^(١٤٩) ويبدو أن صالح الملك خرج

(١٤٣) نفسه، ص ٧٧٤-٥

(١٤٤) نفسه، ص ٦٧٥-٦

(١٤٥) نفسه، ص ٦٨١-٢، ١٣٦٢.

(١٤٦) أبو سليم، تاريخ الخرطوم، ص ٦٧

(١٤٧) مشورات المهدي، وزارة الداخلية، ١٩٦٣، ج ٢ / ١٩٢-٢٥

(١٤٨) نفسه، ج ٢ / ١٩٦

(١٤٩) نفسه، ج ٢ / ١٩٧.

من السجن بعد ذلك، ومنحت المهدي شايقة الخلفاية بزعامته المكان الذي استقروا فيه على شاطئ النيل الغربي قرب ابوروف في آمدردمان المسمى الخُدِير^(١٥٠). وذلك حين أمر خليفة المهدي أهل الخلفاية بمغادرتها إلى آمدردمان، وقد نزل بقية أهل الخلفاية بخور شمبات.

وفي نوفمبر ١٨٨٤م حين اشتد الحصار على الخرطوم حضر الوابور بوردين برسالة لغردون من جيش الإنقاذ في شمال البلاد، ورجع برّة غردون، فأمر المهدي أصحابه فبنوا طابية في الخلفاية وطابية في خور شمبات تجهها، وذلك لمنع الوابورات من المرور ذهاباً وإياباً بين شندي والخرطوم^(١٥١). وكان من الذين اشتركوا في حصار الخرطوم من أهل الخلفاية الشيخ ناصر ود الشيخ الأمين، والأمير بابكر محمد الأمين أحمد المسمى عليه عبد مابكر شرق الحاج يوسف، وهو من الجباراب، وأخوه عمر الذي كان يعمل مع الزبير باشا في التجارة، وقد تزوج الزبير أختهم العازة، وهو ابن أخت الشيخ الزبير محمد نور، كما كان معهم بابكر ود عبدالله ود الصافي، وكان عاملاً للمهدي على سواقي الخلفاية ياخذ الصربية والعشور، الى جانب حاج الهاشمي بن الزبير الذي استشهد مع ود النجومى في توشكى مع غيره من أولاد الخلفاية مثل الفكى عباس أحمد سحاحة. وبعد أن سقطت الخرطوم في ٢٦ يناير ١٨٨٥م كان قد وصل وابوران من الحملة الانجليزية، وكان خبرهما قد وصل المهدي فأصدر أمره الى أمرائه في الشرق والغرب والخرطوم بالإستعداد لصدّهما، فأقام أهل الشرق خط نار في الخلفاية، وآخر في توتى.

ولما اقترب الوابوران حتى أطلقت عليهما النار، فعلم السير تشارلس ولسن القائد أن الخرطوم قد سقطت فرجع بهما^(١٥٢).

وقد انضم عدد من أهل الخلفاية لجيوش الأنصار فيها بعد، وكان المهدي قد عين الهاشمي ود الزبير أميراً على الخلفاية، وإلى الهاشمي تنسب القيقرة أو السد الترابي الضخم الذي كان أمام الخلفاية الى جهة الشرق وطل حتى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات، وكان عبارة عن تحصين ترابي أو طابية. واستشهد الهاشمي مع جيش النجومى الذاهب الى مصر في توشكى.

وكان من عادة الخليفة أن يأخذ من كل خشم بيت عدداً من الرجال للجهاد، وكان ممن ذهب من العبدلاب في حرب الخليفة صد الأحاش الشيخ ناصر ود الأمين

(١٥٠) رواية السيد بشير محمد أحمد شفاة.

(١٥١) شقير، ص ٨٤٩

(١٥٢) مصد، ص ٨٧٢.

المشهور بناصر ود جماع، وكان يصحبه في الحرب الطاهر الشيخ العبيد ومحمد ود جفون ود العريف والنور عنقره، ورفض العودة الى الخلفاية. وتختلف الروايات في مصيره، فتقول رواية العبدلاب أنه أرسل سيفه الى أهله وقتل محارباً في القلايات^(١٥٣). وتقول رواية أخرى أنه قتل غيلة وغدراً من جماعة رصدوا له وأخذوا السيف وباعوه للشريف يوسف الهندي، وأرسل الشريف يوسف الى الشيخ محمد جماع والعمدة جماع جماع يخبرهم بأن سيف الشيخ ناصر عنده حيث اشتراه من بعض الأعراب بستان ربالاً، وعليهم إذا أرادوا إعادته أن يدفعوا المبلغ ويأخذوا السيف. وأرسل الشيخ محمد جماع الى الشيخ عبدالقادر ود فضيل الذي كان يعرف السيف معرفة جيدة، وكان ذلك حوالي عام ١٩١٨ م، فوصف لهم السيف بأن فيه ترمة على مسافة شبر وقيراطين من المقبض، وقال إن سيف الأمير بابكر محمد الأمين قريب من هذا الوصف، إذ أن الترمة على مسافة شبر من رأس السيف^(١٥٤). وقيل إن الملك محمد نور ود عبدالرحمن ود إسيد قد استشهد في هذه المعركة، كما استشهد آخرون في حروب الخليفة المختلفة مثل شيخ الأمين ود أحمد من اليحياب الصواردة واهاشي الزبير وعباس أحمد سباحة، ومنهم دفع الله ود إدريس ود النور الذي استشهد في المتمه مع كثيرين من أهله حين رفض الجعليون أمر الخليفة بالذهاب لأمدردمان. ولعل من الأحداث الهامة التي أثرت على حياة أهل الخلفاية أمر الخليفة عبدالله بعد سقوط الخرطوم عام ١٨٨٥ م هم ولجميع المناطق الشمالية حتى المتمه والعربية حتى الأبيض بالرحيل الى أم درمان. وكان نصيب أهل الخلفاية أن يستقروا كما قلنا بخور شمسات، واستقر الشايكية منهم على شاطئ النيل، وابتنوا الدور هناك، وأقاموا حتى دخول الجيش الإنجليزي الفاتح، وبعد نهاية المهدي رجعوا الى ديارهم في الخلفاية^(١٥٥). بعد أن أقاموا لمدة من الزمن في جزيرة الخلفاية وجروها وجنائها الى أن أصلحوا منازلهم داخل المدينة وأعدوها بعد سنوات الهجرة والغربة.

وكان من أهم ما استحدثته المهدي في النظام الإداري أن قسّمت البلاد الى ثماني ولايات أصبحت الخلفاية بمقتضاها تقع في ولاية شرق النيل الكبير التي تمتد من النيل الأزرق حتى حجر العسل، ولم تعد تابعة لولاية الخرطوم، التي كانت تمتد من القرن وتسير بين النيلين إلى مدني^(١٥٦).

(١٥٣) تاريخ العبدلاب من رواياتهم، ص ٨٢.

(١٥٤) رواية الشيخ إدريس ود الحاج شفاة.

(١٥٥) اوسليم: تاريخ الخرطوم، ص ١١٥ و ١١٦.

(١٥٦) شقير، ص ١٢٥٠، اوسليم: تاريخ الخرطوم، ص ١٠٢.

الخلفاية في عهد الحكم الثنائي وما بعده :

كانت لسنوات الأولى هذا القرن العشرين التي أعقبت دخول الإنجليز الى السودان سنوات محافلة بالنشاط من حاسب نظام الحكم الجديد لترسيخ أقدامه وفرض سيطرته على البلاد قطبة، وكان من أهم مآثر هذا النظام الجديد تسجيلات الأرض وحيازتها. وبذكر رواية الخلفاية في هذا الجانب قضيتين شغلتا بال الناس في مطلع هذا القرن، أولاهما قضية الأوقاف التي أوقفها الصوبج لبعض شيوخ الخلفاية، وهى مساحات كبيرة قيل إنها تمتد لقرب سوبا، وكان الأتراك قد أيدوا وثيقتهم، ولما عرضت على الحكم العام الجديد، وكان يقوم مقامه آنذاك ونجت باشا، لم يقبل ترك هذه الأراضي وقفاً، بل أمر بتحويلها لى حرم لمديرية الخرطوم، ويذكرون أن هذه الوثيقة ما تزال محفوظة عند أولاد الخليفة الحسن الأسد، ولم يتمكن من لسطر فيها. أما القضية الثانية فهى الأراضي التي كانت تمتد من جنوب الخلفاية وتشمل الروس وتمتد حتى حدود شمات عند ما يسمى بوابور التجارب عند حدود مزرعة لجامعة الخالية بشمبات ومدارس لرنة، وتمتد من النيل الى السكة حديد، وقد أرادت الحكومة نزعه أو يدفع أهل الخلفاية قيمتها التي قدرت آنذاك بحوالى لسعة آلاف جنيه، وقد قبل إن الحاج أحمد الدابي، وكان من أثري أثرياء السودان آنذاك، قد دفع ذلك المبلغ فوراً وسجلت الأرض باسم مواطنى الخلفاية، وقد سجل الدابي منها سبعين فدناً لمقره لعيداب، ويدخل الآن فى هذا الوقف حثينة صغيرة عرب المقامر ومركز أبحاث الصناعات الذى أقيم مؤخراً الى شرق المقامر.

الإدارة الداخلية

كانت سياسة الحكم الجديد فى البداية هى سياسة الحكم المباشر لىتمكن الحكام الجدد من السيطرة ولتحكم فى الشؤون لعامة، وسرعان ما أدركوا مع اطراد الإستقرار أن الإستفادة من النظم والإدارات المحلية القديمة هو أجمع وأرحص وسيلة لإدارة البلاد، وقد بدأوا بتفديد سياسة الإعتماد على القيادات التقليدية فى أواخر العشرينات من هذا القرن، وقد ظل موضوع الإدارة المحلية هاجس أهل الخلفاية ومصدر قدر كبير من نشاطهم. والواقع أن ذلك كان شاغلهم منذ لعهد التركى كما يبين ذلك الخلاف الذى إحتدم بين أحمد الإحيمر وأهله الهنوتاب، وبين الشيخ الزبير محمد نور أمام الشيخ عوض الكريم أبو سن مدير الخرطوم آنذاك، حول شيخة المنطقة من حجرالعسل الى حفاية الملوك وتوابعها، ويذكرون أن الشيخ الزبير فار على منافسيه، وقد كان والده المثل محمد نور قدورة من أعيان مشيخة العدلاب ويذكرون أن

المهوياب إستأقوا الحكم لدى الحاكم التركي بمدنى فحكم لصالحهم وكانت نظرة الخط فى البداية عند إبراهيم ود أحمد والد العمدة عثمان، ثم أصحت لإبنه عثمان من بعده مع بداية الحكم الثانى، ثم لحامد عثمان. وعندما تولاهم العمدة الدرديرى أبو الذهب حوالى عام ١٩١٦ أو ١٩١٧م حدث خلاف بين أهل الخلفية حول موضوع العمدة وانقسم الناس بين العمدة الدرديرى والعمدة جماع، وحسم الأمر بالتصويت، فألت العمودية للعمدة جماع الذى تولاهم حتى وفاته. وكان للشيايقية عمدتهم، وقد بولى المنصب عدد من كبارهم مثل الملك ود محمود والملك يوسف والملك حمد ود العمدة شير على العبدلاب، والملك عى والملك العبيد ود منور على أولاد عسوم، وكان هناك بالإضافة الى موضوع العمودية موضوع الشياخة، وهو أيضاً ذو تاريخ قديم يمتد من العهد التركى. وقد تولى هذا المنصب الشيخ عبدالمحمود ثم عبد الواحد سراج النور من الجعنيين، ثم دفع الله ود عمر ثم بانقا البشير من الهوناب، ثم أحمد الهندى من المغارة، ثم عبدالرحمن ود عبدالمحمود ثم ابنه شيخ عبيد. ويبدو أن شياخة بعضهم كانت قاصرة على مجموعاتهم القبلية خاصة أيلم العبدلاب وأوائل عهد الترك.

وفى أثناء الحكم العسكرى بعد عام ١٩٥٨م حدث أيضاً خلاف حول العمودية والشياخة، وحسم الأمر بالتصويت وفاز الشيخ عبيد على منافسه، وعطلت الشياخة الى أن أعيدت بعد ثورة أكتوبر. وموت العمدة جماع ماتت العمودية بعده، إذ ألغت ثورة مايو الإدارة الأهلية وأحدث محلها المجالس لشعبية ولحبا المختلفة، وكان للحلفاية نصيب من كل ذلك.

ومن الأمور الإدارية التى تذكر فى هذا المقام إتجاه الحكومة ضمن سياستها العامة فى الإستعانة بالقيادات المحلية الى الإستعانة بالقيادة التقليدية للعبدلاب فى حسم النزاعات، فعينت لشيخ محمد جماع المانجل رئيساً لمحكمة الخلفية القروية. والشيخ محمد وأخوه جماع الذى أصبح عمدة كما رأيت من الأسره الحاكمة فى مشيخة العبدلاب. وقد برهننا على قدر كثير من الحكمة والحكمة فى إدارة البشر حين دب الخلاف بين الحسانية والبطاحين فى شرق النيل وقتلتوا، وأستعان المستر سمسيم مفتش مركز الخرطوم بحرى آنذاك بالمانجل والعمدة جماع، فأخذهما معه لمواجهة الموقف. فدخل المانجل وسط صفوف المتخاصمين وصفق بيده وقال: (البلد دا أولى به من يعرفه ويعرف حدوده، وأنا حذى من هنا الى الخلفية لسطاحين، والكلام ينبارك)، فصاح الناس. الراجل دا رئيس من الجد للاب، والكلام القالو صاح وهكذا فك المشكلة والتّم الناس وتصالحو، وأدرك المستر سمسيم قدر المانجل،

وبذلك أصبح رئيساً للمحكمة لفك النزاع بين القائل والأفراد حتى وفاته يرجه
الله (١٥٧).

التعليم المدني

استعادت الخلاوى نشاطها بعد المهدية، فكانت هناك خلوة الفكى شمس الدين، وخلوة الخليفة الحسن الأسد، وخلوة ود ضيف الله، وخلوة الفكى محمد نور الدين، وظل أبناء الحلفاية يتلقون تعليمهم فيها ولم تفتح فيها مدرسة إلا في منتصف العشرينات. ولكن بعض الأسر كانت تبعث بأبنائها إلى مدارس المدينة بالخرطوم، فأرسل العمدة عثمان ابنه محمود إلى الخرطوم كما بعث بابنه إبراهيم حيث درس في المدرسة الوسطى وكذلك ابنه خالد الذى لم يستمر طويلاً. ومن أرسلوا أبناءهم الفكى عثمان ود حسن الذى أرسل ابنه محمد والبدوى إلى المدرسة الوسطى، وأكمل ابنه عبدالرحمن لثانوى، وكان ذلك أقصى مراحل التعليم، وقد أصبح عبدالرحمن محاسباً بالمالية ثم هاجر إلى السعودية حيث توفي هناك وأبنته لا يزالون هناك. وكان الشيخ أحمد السيد قد دخل الكلية وتخرج منها معلماً، وكان هو والشيخ صالح محمد نور الدين من أوائل معلمى الوسطى.

وفي عام ١٩٢٥م أنشأ الشيخ أحمد حسن عثمان مدرسة غير نظامية بالحلفاية، وكان يعمل معلماً بمدرسة أمدردمان الأولية، وفي أثناء الإجازة فكر في أن يجمع عدداً من الأبناء ويفتح بهم مدرسة وتولى التدريس فيها بنفسه، وكان يساعده في ذلك عبدالرحمن الفكى عثمان حسن، وعند نهاية الإجازة سلم الفصل أو المدرسة للشيخ مصطفى الملم الذى واصل المهمة بعده. ولم تصبح المدرسة حكومية إلا عام ١٩٢٦م حين إتصل بعض أهالى الحلفاية على رأسهم الشيخ الهندى والحسن ود وزنة وإبراهيم حاج الصافي بالمستر فيلت مدير المعارف آنذاك ووعدهم بفتح المدرسة الذى تم في يناير ١٩٢٦م في منزل الشيخ محمد الشيخ العوض، وكان يعمل في السكة حديد ومنزله خالئ، ثم انتقلت إلى مكانها الخالى كمدرسة مزدوجة ذات نهريين. وأول من افتتحها الشيخ عبد العال موسى وكان ناظراً لمدرسة شمبات التى فتحت حوالى عام ١٩٢١، ثم تولى نظارتها بعده الشيخ صالح محمد نورالدين ثم الشيخ مهدى دوليب ثم الشيخ أحمد حماد، ثم الشيخ عبد الله إبراهيم ثم الشيخ أوسة محمد أوسة ثم شيخ حسن أحمد ثم الشيخ الريح العبدروس. وكان للشيخ الأمير إبراهيم (الطويل) دور معروف في نشر العلم إذ كان مفتشاً للخلاوى النظامية التى كانت قائمة آنذاك،

(١٥٧) تاريخ العبدلاب من حلال رواياتهم، ص ٩٠.

وكان من بينها خلوة الفكى عثمان حصيم البارود وكانت على مستوى عال. وكان الشيخ الأمير أحمد إبراهيم من أوائل من تخرجوا من قسم المعلمين بالكلية، ومن دفعته الشيخ عمر إسحاق، وتولوا من بعد ذلك التدريس بمدرسة العرفاء والإشراف على التعليم. وكان بشمبات أيضا خلوة الفكى بابكر بن عثمان والتي خلفه عليها صهره الفقيه يس الفكى على إلى عهد قريب، وقد تنقّى فيها القرآن عدد كبير من أبناء الحلفاية وشمبات وغيرهما.

وفي عام ١٩٢٧م تعين الشيخ مصطفى المثلث مدرسا وعيّن في بورتسودان، وكان بظر المدرسة هناك الأستاذ عمر سليمان وداعة الله، ثم نقل إلى أمدرمان الأولية ثم للحلفاية، كما اشتغل لبعض الوقت في الأبيض.

وكان من بين الدفعة الأولى للمدرسة الأولية عام ١٩٢٦ السادة الطيب الهندي، عبد الرحيم محمد الحسن، بشير نجم الدين، الياس محمد نور، مصباح حاج الهادي وآخرون، وكان ممن تخرج والتحق بمدرسة العرفاء التي كانت ملحقة بمدرسة الخرطوم الابتدائية الشيخ عبد الرحيم محمد الحسن عام ١٩٣٢م والشيخ الطيب الهندي الذي تخرج عام ١٩٣٣، وقد تأخر عاما لأنه كان مفروضا أن يلتحق بالمدرسة الابتدائية بأمدرمان ورقض طلبه رغم أنه من أوائل الطلبة المتحنيين بزعم كبر السن. وقد فتحت مدرسة صغرى بالحلفاية في أوائل الأربعينات، وكان مقرها أولا منزل الحاج عمر محمد قرب السوق، وكان ناظرها الشيخ مصطفى المثلث، وهي مايعرف بمدارس تحت الدرجة لمدة ثلاث سنين، واستمرت تعمل إلى الخمسينات ثم رفعت إلى مدرسة أولية مكتملة، وانتقلت من بيت حاج عمر إلى مكان بنى لها إلى شمال المدرسة القديمة، ثم ضمت المدرستان إلى بعض وسميتا المدرسة المزدوجة وهم الآن مدرسة واحدة. وأنشئ في الستينات معهد حلفاية الملوك العلمي الذي تحول إلى مدرسة الحلفاية الوسطى بين رقم إثنين وبالحلفاية الآن ثلاث مدارس: المدرسة الأولية القديمة المزدوجة، ثم المدرسة الجنوبية، ثم مدرسة سيد الطيب العربي. وبها أيضا مدرستان مزدوجتان للبنات، ومدرستان وسطيان للأولاد، ومدرستان وسطيان للبنات هما مدرسة حسن بشير والمدرسة العربية، كما أن فيها مدرسة ثانوية للبنات من ثلاثة أنهر أنشئت عام ١٩٨٤م.

العمران

كان من المقرر أن يكون مقر مركز منطقة الخرطوم بحرى حلفاية الملوك، وقد اتخذت الحكومة الإنجليزية العدة لفتح مركز الحلفاية ولكن أهل الحلفاية، فيما يذكر

الرواة لم يستسيعوا الفكرة خوفاً من تعرض موطنهم الوادع الى المشاكل التي يجربها قيام المركز بالخلفاية، وهكذا عدّلت الخطة وانتقل المركز الى الخرطوم بحرى بدل الخلفاية. ومن مظاهر الحركة ابارزة في أوائل العشرينات إنشاء كرتية الهائم عام ١٩٢١ في أقصى جنوب الخلفاية حيث تقوم المزارع الحالية، وإنشاء محطة فرعية صغيرة للسكة حديد لترحيل لبهائم، وكان ذلك مصدر حركة تجارية كبيرة استعد منها عدد كبير من أهل الخلفاية، ووجد اليها جماعات من خارجها اتصلوا بأهل الخلفاية وأقاموا معهم علاقات راسخة ماتزال باقية حتى اليوم مثل الشيخ محمود السهموري الذي تزوج إحدى كريماته الشيخ محمد السيد، وبقيت الكرتية الى بحرى عام ١٩٢٧ م. وفي الثلاثينات أنشئت الشعحاة التي تطورت الى مركز صحي في السبعينات، وفي الخمسينات أنشئ مكتب البريد وأدخل فيه التلغون اليدوي الذي تطور الآن الى كبنانية الية في أواخر السبعينات. ولكن أكثر تطور شهدته الخلفاية كان في أوائل الستينات، حيث تم ربط الخلفاية بالعاصمة بطريق المعوية الأمريكية المسفلت، وتم تخطيطها وقامت إمتداداتها الجديدة، ومدت بالمياه والكهرباء

الحياة الرياضية والطلابية

بدأت الحركة الرياضية في الخلفاية منذ الثلاثينات، ولكنها إردهرت في الأربعينات، وتبورت في إنشاء نادي حلفاية الملوك الرياضي عام ١٩٤٤ م، وقد ظل هذا النادي العتيد يرعى الرياضة وبالذات كرة القدم، وبشأت من بعده الأندية الرياضية العديدة التي تزخر بها الخلفاية. وكان للنشاط الطلابي أثره على الرياضة خاصة وعلى الحياة الإجتاعية والثقافية عامة في الخلفاية، وقد ظلت الحركة الطلابة تسهم بمواسمها الثقافية وحملاتها المختلفة لتطوير مظاهر الحياة بالخلفاية، وأنشأت في الخمسينات نادي ثقافياً كان يقوم بدور هام في تنشيط الحياة الإجتاعية والثقافية.

الحياة السياسية

كان للحفدية دورها البارز في النصال السياسي من أجل الاستقلال، وقد أسهم كثير من أسائها في كل الحركات الوطنية منذ العشرينات ويروون أن عثمان بشير نصر والشيخ أحمد السيد كانا من أعضاء جمعية اللواء الأبيض السرية. وقد أسهم عثمان بشير نصر وأحمد السيد ومعهم محمد عثمان سوار الذهب في إفتتاح نادي الخريجين

بالخرطوم وقد تابع موطو الخلفاية نشاط مؤتمر الخريجين مد إشانه، وحين تبلورت الحركة الوطنية في قيام الأحزاب في الأربعينات كان لأهل الخلفاية نصيبهم المقدّر في تشييط العمل السياسى، فكان للاتحاديين ولغيرهم دورهم المشهود في كثير من المواقف الوطنية التى مرت بها البلاد، وكانت الليالى اسيسية والمدوات والمؤتمرات تعقد في أندية الخلفاية المختلفة وساحاتها لدعم العمل الوطنى. وقد لاقى بعض أبناء الخلفاية كثيراً من العت لتضالهم ضد المستعمرين. وقد كان لمعظم الأحزاب ممثلين في الخلفاية مثل الحرب الاتحادى الوطنى، وحرب الأشقاء، وحرب الشعب الديمقرضى، وحرب الأمة وغيره. وحين تغيرت الظروف السياسية والتقى الإتحاديون واختمية في حزب واحد التقى المنصون تحت لوائها في الخلفاية في البوثة المشتركة.

الزراعة والتجارة:

والخلفاية منطقة زراعية ويعمل كثير من أهلها بزراعه السيلية في الجرائر والخروف على لبل، وبالزراعة المطرية في (البلدت) الى الشرق ولأهمية السواقى والمراكب للمنطقة إحتدت الخلفاية عدداً كبيراً من أهل الشمال من الدباقة والجعليين والمحس والشايقية لحرثهم الطويلة في هذا المجال، ويذكرون أن أول من أدخل الشادوف أو البرو الشيخ هلاوى جد أولاد هلاوى في أوائل لعهد التركى، وهو جعمرى جاء من صعيد مصر، وقد سحل المزارعون هذا الحدث في أغانيهم.

وكم ذكرنا أنفا فإن الخلفاية كانت مركزاً تجارياً هاماً، وبالتالى فإن كثيراً من أهلها عمل بالتجارة كما رأينا. فكان للمعاربة نصيبهم الكبير في هذا المجال، كما كان للهنوناب والديرية والشايقية وغيرهم. وقد كان أهل الخلفاية قطب الرعى في تجارة المحاصيل بالبل الأبيض، بل إن أسواق القشوشية والخريرة أب وغيرها من مناطق البل الأبيض كان قد أسهم في نشاطها أبناء الخلفاية مثل الشيخ العباس بن عبد الرحمن الذى مال لقبه من عمسه للمراكب بالدرة أى ملته له بين مناطق الإنتاج في اسيل الأبيض وأمدردن. وكانت معظم تجارة كردفان ودارفور في أيدي أبناء الخلفاية ويذكرون أن أسواق الأبيض والنهود وبار. والفاشر وشات وغيرها كانت تقوم في معظمها على جهدهم. ولا يزال الناس يذكرون المناسبة التى حدثت بتجار الخلفاية في منطقة شات دادرور حين أعار بعض العريان أو غيرهم عى ررية هؤلاء التجار وقتلوا منهم م يقرب من مائة شخص وكان من بينهم أفراد أسر بأكملهم مثل أساء نعيم بن سلطان بن الحجاج صحوى بن مكوار، وقد كان أبوسدر الشيقى من كبار التجار

أخلاله وكان له معرك كثيرة بدافوز عنت بها شوارع الشايقية وكب من هؤلاء أولاد
حاج الدبي في كردوان في أيام الأتراك أنهم كانوا يعربون الولاة إذ عصو مثلما حدث
لوالى حرسى قرب بارا وكان يدعى صير يساعده أخوه صير وهم من الدواليب
الحاكمين من قبل الأتراك.

وكان صير هد طاغية لا يسمح لمن يمر بمحكمته أن يركب دبه بل لا بد له من
ن بترحل وكنت حرسى مقر لسكن تحار الخفاية الذين يعملون بالأبيض، ود
يعملون في سوق الأبيض هار ويرجعون الى حرسى قبل لغروب حيث تقيم
عولتهم وتستغرق الرحلة لساعتين، وكعادة أهل الخفاية فيهم أنفو من هذا
إدلال، فجاء أحدهم راكباً أمام الوالى ولم يترحل فأسرع لحشد للقبض عليه وأسرع
هو حتى دخل مرب أولاد الدابي، وكان أحمد الدابي بمصر فحكى القصة للشيوخ
زروق أحم الدابي الأكثر وسر تحار الأبيض، فطرد العساكر وأدخله منزله وذهب
سحاكه بالأبيض وقال له إنه يمكنه أن يعطى الحكومة طلبة در حامد وسودرى التى
يشرف عليها صير وصير لمدة خمسة أعوام ويعزلان، ويقال إن حاكم كد أن يعرفها
أمام هذا تعرض المغرى لولا تدخل أسس ام برير وكان تمت بصلة انقرايه لأساء
لدابي لأن والدته أم معلى جعلية سعدابية وهى بنت عم الياس فهو بمثابة الخال
هيا، وأستطاع الياس بحكمته وحيلته استرضاء الأخ زروق وأهل الخفاية الذين عرفوا
عن الوالى مستبد شريفة أن يعفى كل تحار الخفاية في منطقة خرسى من كل طلبة
وصربية وإدلال وتمت الموافقة على ذلك ولواقع أن أساء الدابي كانوا يديسون الحكومة
لتركية في كردوان بمئات الآلاف من الخبيئات. ويقال أن ثروتهم سمعت في هياه
التركية وبداية المهدية ما يقرب من لإثنى عشر مليوناً من الخبيئات الخاضعة للركاة،
وكانت محارهم ضخمة تصنع مصوغات مصر والخراج، وكانوا يحتكرون صناعة نوع
حاص من الدبال الحيد (ماركة أبو طرمية) يصنع ضم حصيصاً في مصر. ولما جاءت
كسرة الختيم وهو أحم بوس الديكم وأحد قادة المهدية بكردون الذي صادر التجار
وهجر الناس الى أم درمان، كانت حسارة تجار الخفاية وعلى رأسهم أولاد الدابي لا
تقدر شمس، ويقولون أن الناس كانوا يمشون على ريش النعام مابين الأبيض وحرسى
لاكثر من ثلاث ساعات، ولعن ذلك من المبالغات وقد مهبت المحرد وصاغت
طرد، ببصائح المكدمه المقدرة بملايين الخبيئات، وقد شتهر من تجار الشايقية الملك
يوسف بن طه أبو سدر وعبد الحميد بك أبورقية.

وكان لأساء الخفاية دورهم في حركة الرراعه والتجاره بالبيل الأبيض والخريرة
عامة، وقد رأيت من قبل أن ترحيل الذرة والقيام عليه في المششوية والخريرة أبا وغيرهم

كان لأساء الخلفاية جهد مقدر فيه، وقد سمي الحاج العباس الهوباني عباساً نعمسه المرتب بالندرة التي يحملها من الجزيرة أنا لأم درمن، وكانت به صحة مع أسرة الإمام المهدي حين كان الإمام صبياً. وقد امتلئت عدد من أساء الخلفاية المزارع قبل قيام مشروع الحرية، وكان كثير منهم يهاجر في مختلف المدن بل إن تجارة بعض المدن والقرى والأسواق كانت تعتمد عليهم في بداية هذا القرن، مثل وادي شعير والمسلمية التي كان سر تجارها المزارك إدرس شملول، ومثل الخصاص التي جاءها محمد إدرس صاسحي وأنتوه منذ عام ١٩١٧م، وكانت أسواق لربيع وطابت وتعدت وغيرها تقوم في عمومها على جهدهم حتى عهد قريب.

وكان هذا دأب الخلفاية منذ عهد الفوج إذ عرفت حتمية التجار، وكان فيها سوق يدعى سوق لشلاتيت يتعامل فيه لتجار مع كل جهات من شدى وسار ومصر وكردفان ودارفور وغيرها.

صورة مجملة لتطور الخلفاية

كانت آخر صورة رأيناها للخلفاية في أواخر عهد الفونج وأوائل عهد الأتراك حين وصفه بعض الرحالة الأوروبيين داكرب ملاحظه الأساسية كما مرّ بنا. ويندو أن الخلفية كانت منذ فترة مبكرة تتطور من حاشية الشرى واحسوى، فقد كانت يقوم الى شمالها ما كان يعرف بحى أبو حميدة في منطقة للاسلكى الحالية الذى اندمج مع الرمس في قرية لإيرفاب، وكان حتى الصوادة الأول إذ أن مقبرهم كانت الى حشويه، وبرح كثير منهم الى اعيكورة بالحرة. وكان يسكن قرياً به المجموعة أو الحميدية، وكان في هذا المكب شمل سور للاسلكى أثر جامع قديم لعله يخص أهل المكى النور ودام حقين الدين كانت مزارهم كما ذكرنا في أماكن المدارس الحالية شمال السوق، وشرق هذا الجامع مقبرة صغيرة ترجع الى عهد قديم.

وكان لتطور في الطرف الجنوبي يتركز حول ماعرف برويس الخلفاية أو رويس المغاربة شرق مقبرة أبو دقن الحالية، وكان يسكن هذا الجانب الضيفلات والمغارنة وغيرهم، وفي الوسط كان يسكن لهوباب والمشايخ والعمدلات وغيرهم، وكان يشق الخلفية كما ذكرنا فاشر الشيخ عحيب وهو شارع عرضه حوالى المائة والخمسين ذراعاً يمتد من أشخار مقبرة الصوادة الى الرويس، وقد يندثر الآن هذا الفاشر لدى كان يستعمل لاستعراض الحشوش والأحتفالات العامة ولم يبق منه إلا «شارع البص» لدى يستعمله العربات وسط الخلفاية، مع أجراء عرب السوق أصبحت الآن سكناً بموططين وبقي منه جزء سجل ميداناً عام لأهل الخلفاية، وهو الذى يقع شرق نهر

عبد الخير سابقاً مما يعرف بدرب السيل.

وفي الجانب العرسي الشمالى الواقع الان غرب السوق، وفيه يقوم مسجد الشيخ عبد الدافع. يقع فريق شيلة. ولمسجد عبد الدافع ميدان مسيح كانت تقوم فيه الخلاوى الملحقة بالجامع وسكن للحمران، وكان يتصل مباشرة بفأشر عجيب وأمامه السوق، وكانت هذه الساحات مكان تجمع أهل الخلفاية في الأعياد والمناسبات. وكان يسكن في جانبه الجنوبي فرع من قبيلة الجباراب أبناء محمد المستور بن حبارة ليمنى الحصرمى الذى هاجر من اليمن، وقد ذكر بن ضيف الله حبارة هذا مع جار السبي^(١٤٨)، وقال إنها قدما من اليمن ومحبهم حضرموت، ولعل لهم صلة بـ محمد ود زروق الذى جاء أيضاً من حضرموت، وكانت له صحبة مع الشيخ السدارى شرق الخلفاية. وما يزال بعض الجباراب بشمبات، وقد كانت لهم آثار بالخلفاية إنمحت مع الزمن مثل بئر لنحصى الذى كان يقع غرب قبـه الشيخ عبد الدافع بين السوق وفريق اليحياب، وكان هذا الطريق يمر مياه لحريف ويسمى بدرب السيل، وكان يسكن الى غرب القبة أحدهم ويدعى الفقيه إبراهيم ومن بقيه هؤلاء بركات ود سعد، ولا يزال أبنائهم يقيمون في نفس المكان وكانت مقابرهم الى شمال مقابر الشيخ عبد المحمود ومقابر أبى دقن.

أما فريق شيلة الى لغرب فمنسوب الى سيدة تدعى بهذا الاسم أو القلب وهى من نسل الشيخ عبد المحمد ود حمد الأغش استوطنت هذا المكان بإذن من مشايخ العدلاب، ويقال إنها هاجرت من كدباس الى الخلفاية حين اختلفت مع أبناء عمومتهـا في تركة والدها ولأخذهم أكثر من حقهم في العصبه، فتركهم مغضبة وتحتهـا جنوب مع عدد كبير من خدمها وأرقئها وكانت ثيباً فتزوجت للمرة الثانية بالخلفاية وولدت بنتاً تزوجها أحد أبناء عمومتهـا الذى جاء من بربر، ومنها انحدرت أسرة البديرية لدهمشية، نسل الحاج صحوى ود مكوار وأساء أخيه على ود مكوار وأبناء قدورة ابن عمه الدين مايزالون يقطنون في هذا الحى القديم.

والى جنوب هذا الحى يقوم فريق اليحياب أبناء الشيخ يحيى وهو رجل من عرب الاحامدة لمشتشرين في شرق النيل وشرق منطقة الجعليين وهم عرب يسعون بالهائم، وقد انصبوا قديما بالصواردة والحميدانية والصيفلاب، والى جوارهم يقوم حى الصيفلاب. وكانت خلاوى الشيخ ضيف الله بن على ومكان اقامته شرق جامع الصيفلاب الحديد (جامع اولاد الصكى محمد الحسن) ولى شرقه كانت خلاوى الشيخ حمد السيد بن بلة لمغربي، وما توفى الشيخ صيف لله بن على ودفن في الحسيب قام

(١٥٨) الطبقات، ص ١٣٠ وأظفر الجدول رقم ١١٣ الجباراب

بعده ابنه محمد بن صيف الله وواصل التدريس في خلاوي والده وبعد ان كبر ابنه صيف الله بن محمد رأى نقل الخلاوي الى الداخل قليلا فتقلها الى المكان الذي يقوم فيه الان مسجد الضيفلاب القديم ، وكان والده محمد شبحا كبيرا فتولى الشيخ صيف الله بن محمد التدريس ، ولما تولى والده دفنه في المقابر التي امام المسجد المسماة بمقابر الصيفلاب ، وهو اول من دفن فيها ، ثم تتابع اسائه واحماده من بعد ، وهذا هو السبب الذي دفع بالضيفلاب لاختيار مكان حاميهم الجديد بالقرب من خلاوي الشيخ صيف الله بن علي القديمة .

والى جنوب ذلك فريق المعاربة الذين كان يقطن معظمهم في رويس المعربية ، ويبدو ان هذا الرويس كان من اهم مناطق العمران في الحلفاية ، ولعله فيما تذكر بعض الروايات كان مقر العنيج قبل الفونج ، اذ كثيرا ما يعثر الناس في مناطق المختلفة خاصة الجزء الجنوبي منه على قطع فجار وادوات منزلية قديمة . وفي اقصى جنوبه قامت الكرستينة في عشرينات القرن العشرين . وقد ذكرنا كيف ان الشيخ أحمد الداسي ، وهو من كبار أثرياء المغاربة ، تصدى لاتجاه الحكومة في عام ١٩٠٢م لتزج اراضي الرويس وما حولها حتى اطراف شمبات بدفعه مبلغ التعويض وتسجيله لهذه الاراضي باسم اهالي الحلفاية .

وفي وسط الحلفاية يقع فريق العدلاب ، والى شرقه فريق الهنوناب ، والى الشمال الشرقي منه يقع ما يعرف بفريق العلاوي شرق السوق ومعظم ساكنيه المشايخ وفيه يقوم مسجد الخليفة مصطفى ود عمارة الذي جددته اسائه عام ١٩٣٨م . والى شمالهم فريق الشاقيط ابناؤه الشيخ محمد لشقيطي والى شمالهم يقوم فريق الشايقية ، وهو من احدث احياء الحلفاية اذ لم يعرف قبل عهد الاتراك ، فقد جاء الشايقية ايام الاتراك واستقروا في هذا المكان ، فتقلص بذلك فريق الحميدانية الذي فر معظم اهله بعد دخول الاتراك ، ولما رجع من رجع منهم بعد استقرار الاحوال لم يكن امامهم سوى بناء بعض القطاطي لايوائهم ، فقام من ثم ما يعرف بفريق القطاطي .

ومن ابواضح ان منازل الحلفاية قبل الاتراك كانت متواضعة بسيطة ، وكان الاتراك اول من بنى القصور العالية ، فبنوا قصرين احدهما يعرف بقصر فارس اعاء ، وهو بين فريقى العدلاب والهنوناب ، والآخر الى الجنوب شمال مسجد ابناؤه الفكي عبدالقادر الحالى وكان يعرف بقصر قدرعي وقد باعه احماده لندعيتاب ، واميرال هؤلاء الاحفاد برفاقة ، الى جانب ثكنات الجيش والحامية . فقد كانت هناك ثكنتان احدهما جنوب غرب قمة عند الدافع في المكان الذي يقوم فيه مرل الشيخ عبدالرحمن الحسن مركو والاخرى الى الشمال في ما يعرف بشجرة الحاج ، حيث كانت تنزل الاورطة عشرة

بشيوخهم فما يقوون وكان قصر لعائد اتركى وغيره من مائى الاتراك من الس
 وذكرون في هذا المقام كيف اهمهم سحر و اهل المدينة لصرب هذا الطوب الكبير
 حجه وكيف اهم احب و هم حين جاء اخريف وهضت لامطار ان يجربو الطوب في
 صرهم، ويروون في هذا المقام كرامة للفقير محمد نور بن صيف انه تلقى سقى
 وقد مره الاترك سخط كمي من الطوب في مرله فقال هم حددوا الى كمية الطوب
 المطلوبة وتركوه الى، فلما فردوا له طوبه عزم عليه «وحوصه» فكنت «لامطار لا تسقط
 على طوبه، واعجب به الاتراك واكرموه، ولشيع محمد نور هذا كى تذكر عنه في مقام
 آخر، كان من قضاة الاتراك ومفتيهم.

وكانت هناك ابر في الطرق العامة حفرها أهلها طلباً للأجر ولراحة أبناء السيل من
 بينها بئر الحمى التي ذكرناها في فريق شينه على درب لسيل عرب إخلقانه، وشرقه
 بئر عمر محمد لامين شمال شارع مشرع ساحة المتجه من السوق عرب، وفي منتصف
 هذا الشارع تقع بئر حاربت الملك محمد نور وشرقه بئر عبد الحير عبد الله الصدي
 وغيرها من الآبار في الأحياء المختلفة.

الفصل الرابع

الحياة العلمية والثقافية

منطقة الجذب

يشير اسم الخلفاية، هي رحى من معانيه المختلفة، الى حقيقتين لعويتين، أولاهما الأصل العربى لكلمة الخلفاء وهو النيات المعروف، وواضح أنه وإن ورد في السوية. فهو مأخوذ من العربية، لأن الكلمة قديمة في العربية وقد عرفها العرب قبل دخولهم الى السودان، وثانيهما إختلاط هذا الأصل العربى بالمقطع المجهول أهوية (آية) الذى تمتاز به اللهجة العربية السودانية، ويدل في معناه العام على التصغير أو الأفراد أو التكثير أو جميعها، وفي ذلك إشارة الى أن الذين أطلقوا هذا الاسم على هذا المكان عرب تأقلموا في البيئة السودانية وتأثر لسانهم بمخالطة غيرهم من السكان المحليين، وذلك ليس ببعيد على من يقيم في مثل هذا المكان القريب جداً من عاصمة مملكة علوه السوية سوبا. والواقع أن وجود الخلفاية كأقدم وأكبر مكان في المنطقة المجاورة لسوبا وإحتفاظها بمكانتها حتى سقوط دولة الصويج يدل على أن القبائل العربية قد اتخذت منها نقطة إلتقاء وإستقرار بالقرب من العاصمة سوب، وفيها مارسوا حياتهم وشأنهم الإحتياعى والثقفى. ويبدو أن العدلات لم يتخذوها عاصمة لهم منذ البداية وفضلوا عليها قرى رعم ضيق مواردها وصعوبة العيش فيها، لابتعدوا قليلاً عن سوبا عاصمة الدولة المباداة.

ويبدو أن ذلك هو الذى جذب إليها كثيراً من هاجروا في أواخر أيام دولة علوه وبعد سقوطها، ومن ضمن أولئك جد المشايخ الشيخ يعقوب بن عى كما أشرنا الى ذلك. وكان ممن ترب بالخلفاية في مرحلة مبكرة الشيخ البندارى، ثم لم يعجبه الحال فيها لكثرة المفاسد^(١)، مما يدل على عمرانها ورفاه أهلها وبلوغهم من اليسر حدا يسمح باللهو ولعبث. فيصطر الشيخ البندارى الى الاعتعاد عن حياة المدينة بيقم مكتبه أو خلوته شرق الخلفاية حيث قبره الآن في حلة البندارى. وقد كان لمكتب البندارى شأن كبير في تعليم القران، إذ كان يرد اليه الناس من أماكن متفرقة مثلما كان الحال مع الشيخ إدريس بن الأرباب (٩١٣ - ١٠٦٠ هـ) الذى أحذه والده الى الشيخ البندارى حيث بدأ عنده بالمكتب قراءة القرآن^(٢). وكان بين الشيخ البندارى والشيخ حمد ود رروق الذى قدم من حصر موت باليمن وسكن الصبى خوة في امكتب كما يقول ود ضيف الله. فيعد العشاء بفرش الشيخ حمد فروته ويصل ركعتين ركعتين الى أن يصل إليه ثم يرجع

وكان بعض تلاميذ البندارى يدخلون مكتب الشيخ حمد ود رروق بالصباى كما

(١) الفصل، ص ١٠٨

(٢) الطبقات، ص ٥٠

(٣) نفسه، ص ١٤٩.

هو الخال مع الشيخ إدريس ود الأريب أيضاً^{٥٠} وكان ابن شرفهم لشيخ حسن ود حسونة الذي جاء أبوه من الأندلس وتزوج وولد الشيخ حسن بكر كوح، فشب قويم الخلق وسلك طريق الصوم، وبعد مساحه امتدت لاثنتي عشر سنة استمر بحلته المشهورة باسمه، وكانت بينه وبين الشيخ إدريس ود الأريب محبة عظيمة، إلا أنه لم يشهر إلا بعد وفاة شيخ إدريس سنة ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م

البدايات البعيدة

ويبدو أن صلة الخدمية بالصالحين والعلماء أقدم من ذلك بكثير كما يستشف من أخبار الشيخ إدريس بن الأرباب التي مرت بنا، وأخبار الصرير والبقير أبناء عود الله^{٥١} (أو غلام لله)^{٥٢} المدفونين بحقه الصباي^{٥٣} وكانا أهل دين وصلاح. وكان الصرير قضياً عند العجج أي قبل دولة الفونج، وأخاؤهم مقطوعة دمل عليهم الشيخ إدريس بن الأرباب وحث الناس على ريارتهم. وكانت البلد كلها مقتدية بهم ويحتمع للصلاة معهم من الصباي إلى شمبات والحلفاية للصلاة خلفهم والترك بهم ثم أمروا الرروقاب (درية الشيخ حمد ود الأرق بالصباي)^{٥٤} أن يصلوا بالناس في بلدهم لكونهم جبرهم، وأمروا الرروقاب (ولعلمهم الأزيرقاب) الفقراء أولاد (عبد) الدائم أن يصلوا بالناس للحفاية^{٥٥} ويرجح الدكتور عبد العزيز أمين عبد المجيد أن هذين الشيخين أساء غلام الله بن عابد البعني بربيل دنقلا^{٥٦}. وقد عرفت الحلفاية قديماً أحد أساء الشيخ غلام الله هذا، وهو الفقيه قش بن سدر بن عبد السي بن عجيب بن رباط بن غلام الله^{٥٧} وكان مقبياً مع المغارة ولم توفى دفن في مقبرته بالحلفاية.

واستمر أساؤه من بعده، ولكنهم تنقلوا إلى حرية شروق قرب الخوجلاب بعد مشاجرة وقعت بينهم وبين المغاربة فظلمتهم السلطنة، واليهام تسبب قرية أبو حليمة قرب الخوجلاب، وأبو حليمة هو حمد بن حسن بن قش كان يكنى نائنته حليمة ومن

(٤) نفسه، ص ٥٠

(٥) ثقيف، ص ٣٩١.

(٦) الصبغات، ص ٧٢

(٧) عبد العزيز أمين عبد المجيد - التربية في السودان ١ / ٥٩

(٨) طبقات، ص ١٤٩.

(٩) نفسه، ص ٧٢

(١٠) نفسه، ص ٣٥٠.

(١١) نفسه، ص ٣١٣.

أبى قس حسن الذي ولد عبد ربح حليمه، ومن أبائه حفصه عثمان سيد لرواية
ووجهه نديب ولقبه موسى حبص العدم المشهور^{١٢} ويوضح كاتب الشئونة أن
حبه حرية وليس الاررق كان فيها أبى عوبالله أو علام الله هذا وكذا سعة رجال
في مدة الحج وقبورهم بنواحي أبى حليمه ظاهرة^(١٣).

جامع الخلفاية بين اهتونات والجموعية

تقرر الإشارات الأولى لجامع الخلفاية بالشيخ موسى ود هوبة تميم الشيخ دفع
له العركي^{١٤} ١٠٠٣ - ١٠٩٤ هـ الذي كان يحبه ويحله بحيث أسمت أبته ريت
موسى ولده دفع الله بن محمد الكاهلي على شيخ أبيها دفع الله العركي^{١٥}، ويبدو
أن موسى ود هوبة كان يتولى تعليم على أمر مسجد الخلفاية كي يسد من أخبار
بن حميد بن سدى حاء به الشيخ موسى ود هوبة للتدريس فيه، يقول ود صنف الله
عن حمد بن حميدان (قرأ على الشيخ دفع الله العركي، وقيل على الشيخ موسى
الحلي في مسجد الخلفاية، ومقرى أولاده، ويسمى عندهم شيخ العيال، فلما قدم
بده أعطاه لشيخ دفع الله العركي عبد الله وبه والأمن ولد سنة للإقراء (أي
ليدرسه) وأذن له فدخل مسجد الخلفاية ودرس فيه وقر عليه أئمة صالحون .
وبعده ترك التدريس ثم حاه موسى ولد هوبة للقرءة في المسجد ثانياً .
فمكث في مسجد للإقراء إلى أن توفاه الله)^{١٦} ويستفاد من ملاحظات الدكتور
عبدالعزير أمين عند لمجد أن موسى الحلي هذا هو نفس موسى بن هوبة وأنه هو
الذي كان يدرس القرآن أولاً في المسجد، وعلى هذا الفهم يكون حمد بن حميدان من
تلاميذه بجامع الخلفاية، ولما ترك حمد التدريس بجامع حاء موسى ولد هوبة ليواصل
التدريس ثانية^{١٧} ولكن ما أورده صاحب الطبقات عن لفقيه إمام بن موسى الحلي
هذا تجمعها شخصيتين مختلفتين وكلاهما مرتبط بجامع الخلفاية وينصح من رواه
لطبقات أن موسى المعنى هو على الأصل، إذ تذكر لرواية أن عثمان ود حمد اشايهي
أعدا على دار الجموعية وسبي حدماً لفقيه إمام بن لفقيه موسى الحلي فجاء إلى
الفقيه محمد ولد دوليب واقع عليه وقال له: أنا رجل جعل دورك ترد لي فرختي من

(١٢) نفسه، ص ٣١٣

(١٣) عبد العزيز أمين عبد المجيد، ١/ ٥٩.

(١٤) الطبقات، ص ٢١٠.

(١٥) نفسه، ص ٢١٠.

(١٦) نفسه، ص ١٥٣ - ٤.

(١٧) عبد العزيز أمين ١/ ٩٢

عثمان، فذات يوم قام الفجر بيقراء القرآن وكان حسن الصوت ومجوداً فسأل منه فقالوا له: الحموعى سيد الرقيق، فناداه وقال له: إنت تحفظ القرآن؟! قال له: أنا حافظ ومجود وأبوى كدلت، فلامه وقال له: تقوى أن جعلى، والله قال: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وما قل جعليكم، وأرسل الى عثمان فرد عليه جواريه^(١٨).

ومن الروايتين يتضح إسهام الصوب في شخص موسى ود هبوة، وإسهام الحموعية في شخص موسى الجعلى وحمد بن حميدان في القيام على أمر جمع الخلفاية، وقد درس على الشيخ حمد في فترة الأولى عدد كبير من الناس، منهم محمد بن الحاج بور والفقهاء محمد بن صيف الله والفقهاء إدريس ود الإريرق. . ودرس عليه في الفترة الثانية أيضاً أعداد كبيرة

منهم الفقهاء شكر لله العودى والفقهاء عبدالمحمود ولد عبدالحميد والفقهاء دفع الله الكاهلى والفقهاء محمد ولد الخواجة والفقهاء محمد شحاده، والفقهاء إدريس ولد ناصر، والفقهاء حمد ولد نصر الله^(١٩). ومكث الفقهاء حمد للإقراء بالمسجد إلى أن توفاه الله

وجلس في حلقة الشيخ حمد بن حميدان تلميذه الفقهاء شكر الله بن عثمان بن بدوى العودى^(٢٠) المولود بشمبات، والذي حفظ القرآن على الشيخ حمد. وقد استمر الفقهاء شكر الله يدرس في جامع الخلفاية إلى عام ١١٣٤ هـ^(٢١)، ومكث تلك السنة اشترك معه في التدريس تلميذه عبد الدفع لمدة اثنتى عشرة سنة في حياته^(٢٢). ومن حفظ الكتاب على لشيخ شكر الله العودى الفقهاء عبدالدافع القندير وحقية إدريس بن ناصر والفقهاء النور ولد عجيب، ولفقيه عبد الرحمن البرنس والفقهاء مضوى ولد عبد الرحيم والفقهاء مدنى بن الفقهاء محمد ولد بور. وكان الشيخ شكر الله من الصلاح والتقوى على قدر عظيم. وصفه الشيخ حمد ود التراسى حين زاره وتلاميذه بأنهم «ناس القرآن ناس شكر لله أهل الله الخاصة»^(٢٣)، وحين زاره حمد السميح شيخ العبدلاب وجدته يصحح في لوح، فمارفعا رأسه حتى فرع من اللوح ووضع القدم ثم قام وسلم على الشيخ الذى ظل واقفا ينتظره، فحمدته على فعله وأكبر فيه تعظيمه لما هو الله^(٢٤).

(١٨) الطبقات، ص ٣٤٨ - ٩

(١٩) الطبقات، ص ١٥٤

(٢٠) نفسه، ص ٢٣٣

(٢١) نفسه، ص ٢٩٠

(٢٢) نفسه، ص ٢٨٠

(٢٣) نفسه، ص ٢٣٤

(٢٤) نفسه، ص ٢٣٣

ودفن رضى الله عنه شممبات مسقط رأسه وعمره بين الأربعين والخمسين (٢٥).

دفع الله بن محمد الكاهلي

ثم نوى لتدريس بجامع الحلفاية الشيخ دفع الله بن محمد الكاهلي^(٢٦) «١٠٨٠هـ - ١١٢١هـ» ابن ريا بنت موسى ود هتونة. وقد توفي أبوه وأمه وهو صغير وحضنه جده موسى ود هتونة. وحفظ القرآن على الفقيه حمد بن حميدان بالحلفاية، وقرأ مختصر خليل على الفقيه الأزرق بن الشيخ الزين، وصحب في التصوف الشيخ بدوى أبو دليق، ثم جلس في مسجد الحلفاية لتدريس القرآن بعد شيخه حمد بن حميدان لمدة عشرة أعوام «١١١٠ - ١١٢١هـ» وتوفي وهو يدرس ولم يتجاوز عمره الأربعين إلا بسنة أو ستين رحمه الله. وكان رغم قصر مدته في التدريس ورغم موته المبكر، ولم يتجاوز الأربعين إلا بصليل، ذا شخصية أسرة. فقد عرف بالورع والتقوى والسخاء وضيافة الوافدين والإتفاق على طلبة القرآن، وكان من حلمه وتواضعه أنه لم يقهر فقيراً من طلبة القرآن ولا فلقه كعادة المقرئين كما ذكر ود ضيف الله. وقد شهد له بعلو المكانة والفكر صاخو عصره، فقال عنه الشيخ حمد بن أم مريوم (من أراد أن يطر إلى رجل من أهل الحنة فليستظر إلى دفع الله ود ريا)^(٢٧). وقال الشيخ حمد ود الترابي لأهل الحلفاية (يُن أهل الحنة العر لمحمدين نس دفع الله)، عنه بذلك^(٢٨) وقال الفقيه نابري س عبد الهادي^(٢٩) (حضرت عند الفقيه عبد الرحمن ولد حاج^(٣٠) العالم المشهور بديار الشيفية، فقال لى: أين أهيك؟ فقلت له. فى الحلفاية، فقال لى. حلفاية دفع الله؟ فقلت له: وأنا حواراه، فقال. أشهد عليك إنك سعيد)^(٣١).

وكانت لدفع الله الكاهلي صلوات واسعة لعلماء عصره كما يشهد خطاب التوصية الذى بعث به للشيخ عبد الرحمن ود وداد فى شأن أحد الأشخاص الذين تشفعوا بالشيخ دفع الله ليكون الشيخ عبد الرحمن فى عو به أمام قاضى أربجى^(٣٢). وكان من رصلائه فى اسدراسة على الشيخ الأزرق بن الشيخ الزين صغيرون: الفقيه سالم

(٢٥) براهم عبد الدافع: الدليل والتكملة، ص ٧٨.

(٢٦) الطشت، ص ٢١٠

(٢٧) نفسه، ص ٢١١.

(٢٨) نفسه، ص ٢١١.

(٢٩) نفسه، ص ٣٦٧.

(٣٠) نفسه، ص ٢٠٥.

(٣١) نفسه، ص ٢١١.

(٣٢) نفسه، ص ٣٧١.

المأخوذ، والعقبة محمد حنبل، والعقبة علي ود صاحبي، والعقبة محمد ولد دليل من
باس بوتقي، ونعقبة محمد ولد عبدالله العدم صاحب الحاشية، والعقبة مكى بن الشبح
عبي والد العقبة سوسى العدم المشهور وغيرهم^{٣٣} وكان في نخلق أهله حوله حين
وفاته وقوله المشهورة بساء قومه (أشرون ياهونانيب أنا جيلكن يوم قيامه) ذيل على
سمو مكانته وعظيم قدره بين الناس.

وكان من لمكة العدمية بحيث يبعث إليه شيوخ لعبداللات لتفصل في المسائل
المعقدة التي يحد فيها العلماء، مثلما حدث عندما اختلف رحلان عند وى الحفاية
في زمن السميع حول ولاية الشيخ محمد بن سوار الذهب والشيخ يعقوب بن محلي
وأيضا أفضل. وبرايد محمد بن كان عبي حق، ورصبا بحكم العقبة عبد الهادي ولد
دوليب وفتح عوض الكريم فسأفيا ابوالى عن ذلك، فقال العقبة عبد الهادي:
يعقوب ما عرفة. وقد اطلع عوض الكريم: لإثنين أولياء مايفضل أحدا على أحد
ثم أن الشيخ محمد السميع أرسل إلى العقبة دفع لله الكهلى فقال له هذا كلام علماء
فأفرق بين اشهادين فقال لهم: هد ولى وهد ولى، والشيخ محمد حات قراءة
القرآن في الحريرة وعلم التوحيد وسلك وأرشد فهو أكثر ثوانا من الشيخ يعقوب، وكلما
كان أكثر ثواب في لشرع أفضل من غيره، وقد قال تعالى (هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون)^{٣٤}. وفي هذه الفتوى الدقيقة تشهد على عمق فكره وثاقب نظره

عبد الدافع وأبنائه

وأوصى العقبة دفع الله أن يحل محله في التدريس بن أخته العقبة عبد الدافع بن
محمد بن محمد الحديوي^{٣٥} «١١٠١ - ١١٨٠ هـ» محاضرة لأستاذة حمد بن حميدان الذي
أوصى له بالتدريس بعده، فهو يفعل مع ابن أخته ما فعله به أستاذة من قبل، وتولى
عبد الدافع التدريس من عام ١١٢٢ هـ. وقد رأينا من قبل أن عبد الدافع كان يشترك
مع أستاذة شكر الله في التدريس لمدة اثني عشرة سنة حتى وفاة أستاذة شكر الله عام
١١٣٤ هـ، وكان السر وراء هذا الإشتراك وصبة حبه دفع الله الكهلى وقد ولد عبد
الدافع بالحفاية في السنة الأولى من لقرن لثاني عشر الهجرى «١١٠١ هـ - ١٦٨٨
- ٩ هـ» وتوفي سنة ثمان ميه «١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ - ٩ هـ» وتولى لتدريس بإشارة من حله
دفع الله وسنه بذلك اثنتان أو ثلاث وعشرون سنة^{٣٦}، وقد حفظ القرآن وحجّه على

(٣٣) نفسه، ص ٣٥٦

(٣٤) نفسه، ص ٣٧٣ - ٤.

(٣٥) نفسه، ص ٢٨٩

(٣٦) نفسه، ص ٢٨٩

الفقيه شكر الله لعودى، وفراً حبل على الفقيه بلال بن لقيه محمد الأرق بن الشيخ الرئيس، وعلى آسى الحسن بن صالح العودى المتوفى سنة ١١٣٣هـ والذى دخل المسجد لتدريس سنة ١١٠٨هـ. وحج عبد الدافع إلى بيت الله الحرام وحاور فيه، وصار عمره وأشتهر ذكره. وسلك الطريق على الخرج حوجلي بن عبد الرحمن بنوآخر وحدهم خدمه السالكين. وكان يخدم ساءه من بعده. وقد تروح سنة الشيخ هذى بنت الشيخ خوجى وأحب منها الفقيه محمد بن الفقيه إبراهيم عبد الدافع^{٣٩} وقرأ عليه كثير من الناس وشدت إليه لرجل وكان كريم حلي في بقاءة للطلاب، وكان حذراً لأشباحه في حياتهم وفي دراستهم بعد موتهم. شهد له الشيخ حمد السحلاو ود لتراي بالتدريس في صغره وذلك حين زاره مع شيعه الفقيه شكر الله العودى فعرف له يافيه شكر الله تفرى أولاد خلفاية، أتى حتى أبو عيوناً حمر هذا يقرى في مسجده!، فكان الأمر كما قال، إذ ظل الفقيه عبد الدافع يدرس في المسجد مدة اثني عشرة سنة في حدة لفقيه شكر الله كما رأيت. وبلغت سنوات تدريسه بجمع ثمة وحسين سنة، وكان كثير لأسفار في مهنته وفي مصالح المسلمين، ولكن طلته في غيبته وحصوره مستمرين في تلقى لعلم بالمسجد. وكان يزور مع شيعه شكر الله الشيخ حمد ود أم مريوم^{٤٠}. ونفى رحمه الله بسر ثم نقل إلى الخلفاية حيث دفن في قبته القائمة جوار المسجد.

ونظور ما درس الشيخ عبد الدافع بمسجد اخلفاية عرف الجامع فيما بعد بجامع عبد الدافع، ولكن الجامع كما رأيت أقدم من ذلك بكثير، إذ أن بناءه قد حدد عام ١١٠٧هـ (كما تشير إلى ذلك اللوحة المعلقة الآن بالمسجد) وذلك على عهد الشيخ موسى ود هوية وحفيده دفع الله الكهلى (ثم حدد ساءه مرة أخرى على يد الخليفة الحسن ود الأسد عام ١٣٥٢هـ). ولم يقتصر نشاط عبد الدافع على الخلفاية بل إنه ذهب إلى عرب ليل حور حور شملت حيث أهله الجموعية وبني مسجداً وخلوة وحفر بئراً ودرس القرآن لفترة وغايته نشر القرآن شرق الليل وعربه، وكانت له بحور شملت ثلاث سواقي ومساحتها حوالي الثلاثة كيلومترات على لشاطئ أوقتها لمساجده، وقد سجلت هذه الأراضي أيام الحكم التركي والمهدية والإستعمار بأسم الشيخ عبد الدافع، وهي مسجله الآن بأسم الخليفة الحسن حسب الوصية التي جعل تسجيلها لمن يقوم بأمر المسجد والخلوة.

(٣٧) نفسه، ص ٧٧

(٣٨) نفسه، ص ٢٨٩

(٣٩) إبراهيم عبد الدافع. الذيل والتكملة، ص ٢٤.

(٤٠) الطقات ١٧٩

وقد ظل أثناء عبدالدافع يقومون على أمر المسجد ويتولون التدريس فيه وتعهده الطلاب الوافدين . ولم تقف صلاتهم على الخلفاية بل امتدت لتشمل كثيراً من أنحاء البلاد، وقد رأينا لعقبيه عبدالدافع يموت بسنار، وكان قد ذهب الى هناك للتوسط في خلاف بين الناس أستفحل أمره وتشاحر القوم وانتهى الأمر بمقتل الشيخ عبدالدافع عسراً ودفن في مكان مجهول عثر عليه أنه حين جاء يبحث عنه ، ووجد بندقيته مدفونة معه . فحمل الجثمان والسدقية ودفنه في قفته بالخلفاية . ويذكرون أنهم عثروا على البندقية مع الرفاة بعد سنوات طويلة حين دخلت مياه الأمطار القبة وأسقطت التابوت ونفدت الى القبر، وحين أراد الخليفة الحسن إصلاح العطب وحد البندقية التي أخبره به والده عن جده فأخرجت وظلت مع الخليفة الحسن إلى أن أخذتها الحكومة عام ١٩٢٨م . وكذلك كن الحال مع ابنه أبو زيد الذي ينتشر أبناؤه الآن بيني شفقول، وابنه أبو دريس الذي يسمى اليه الحميدانية بالخلفاية وبالجزيرة، وتوفي حفيده عبدالدافع لدرويش المسمى بعبدالدافع الصغير في أبي فروع بالجزيرة ومقامه هناك يزار . ومن أحفاده إبراهيم وعبدالرحمن الضويمر أبناء محمد بن الشيخ بن عبدالدافع .

الشيخ إبراهيم عبدالدافع :

أما الشيخ إبراهيم بن محمد بن الشيخ بن عبدالدافع المعروف بإبراهيم عبدالدافع المفتي ، فقد ولد بحلفاية الملوك عام ١٨٠٠م وحفظ القرآن في مسجد جده الشيخ عبدالدافع . ثم قرأ العلم في مسجد ود عيسى بكترانج ، وتعلمد على الشيخ أحمد بن عيسى الذي توفي عام ١٢٤١هـ ورثاه بقصيدة عصماء .^(٤١) ودرس أيضاً على الشيخ محمد الجبيلي بربيل بكترانج ، كما قرأ على الشيخ السلاوي قاضي قضاة السودان . وكان شاعراً مقلداً تميز شعره بقوة البيان وسلامة الوزن ، قال عنه السلاوي : (ونظمه عذب زلال لاشك أنه السحر الحلال) .^(٤٢) وقد رثى كثير من علماء عصره كالشيخ محمد نور بن ضيف الله صاحب الطبقات المتوفي عام ١٢٢٤هـ .^(٤٣) كما رثى الشيخ أحمد الطيب بن البشير المتوفي عام ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م بقصيدة جيدة .^(٤٤) ورثى مجموعة من العلماء توفوا عام ١٢٤١هـ .^(٤٥) وولى في أيام محو بك القضاء .^(٤٦)

(٤١) كتاب الشوكة، ص ١٠٣

(٤٢) إبراهيم عبدالدافع : الزيل والتكملة، ص ٢٤ .

(٤٣) كتاب الشوكة، ص ٦٧

(٤٤) نفسه ص ٩٥

(٤٥) نفسه، ص ٩٨ .

(٤٦) نفسه، ص ٩٨

ويذكر كاتب الشونة أن الشيخ لساوئ قصص قصة السودان سمع المحكمة الشرعية إلى إفتيهم إبراهيم عبد الدافع والسيد محمد أفندي لمفسى قفاز هـ حير قيام وأصبح بذلك نائباً للقاضي القضاة كم مستدل من صحته خورشيد باشا في زيارته لشنتى عام ١٢٥٠ هـ مع قصص بلاد السودان^{٤٩} وقد ذكر الدكتور مكى شيكه أن هذه نوبته تعدل وصية قصص مركز حالياً^{٥٠} وذكر الشيخ لساوئ (أنه كان نائبا عنده بالمحكمة من ابتداء سنة إثنين وأربعين إلى ابتداء سنة خمس وخمسين ١٨٢٦ - ١٨٣٩ م) ثم صار مفتياً فيها أيضاً وأحواله تدل على استقامته وأنه اعتناء بكتب الحديث كالشفاء والمواهب وصحيح البخارى فضلاً. وبصمه عبد رلان لاشئ أنه السحر الحلال وأبوه كان فقيهاً قارئاً نفوساً وأنه أنصاف بالولى الصالح ادح حوجلى من جهة أن إفتيهم محمد أس ست الشيخ حوجلى^{٥١} وفى سنة ٢٧٠ هـ عين مفتياً. وفى عام ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧ م حين ثار الشكرية على تولية أركيل بك نمرساوى مديراً على الخرطوم استدعى الخديو سعيد باشا رعى الثورة إلى مصر فأرسل له أركيل بك الشيخ أحمد سوس شيخ الشكرية وإفتيهم إبراهيم عبد الدافع فسحبها بالإسكندرية مدة من الزمن، ثم أفرج عنها وأرجعها إلى السودان بعد أن حلف له يمين الطاعة^{٥٢} وذكر شيكه أن الأوامر صدرت عام ١٢٧٣ هـ إلى الحكمدارية برسائل عدد من الفصاة والمفتين محبوسين إلى مصر متهمين بأخذ رشوى أو معتقلين وكان شيخ إبراهيم من ضمنهم وكذلك قصص السودان،^{٥٣} في حين أفرج عن جميع المعتقلين بمسألة حنان طوسون ابن سعيد رش عام ١٢٧٧ هـ^{٥٤} ويسدو أن روايه شقير عن قصة حسن الشيخ إبراهيم هي الأقرب إلى الصواب، إذ لو كان الأمر مجرد اتهام بالرشوة لما استدعى ذلك ترحيل المتهمين إلى مصر وفى أثناء حسمه بالإسكندرية فإن استغاثته المشهورة، ولم يتقدم بعد ذلك بسحب حكومياً، وهى إياه توفى في عهد رءوف باشا قبيل فيم الثورة لمهدية عام ١٨٨٢ م^{٥٥} وكان كفية أسلافه شديد الولاء لأن الشيخ حوجلى حله وولّد حديثه ثم نيه وشيخ حده عبد الدافع وقد برز ذلك لولاءه في حين صورة عام ١٢٤٤ هـ حين قتل الرجل

(٤٧) نفسه، ص ١١٢ - ١١٣

(٤٨) نفسه، ص ١١٣

(٤٩) تاريخ ميوت السودان، المصممة، ١٣، ص. راجع أعلام السودان (دلاحسره)

(٥٠) إبراهيم عبد الدافع، نفسه، ص ٢٤

(٥١) شقير، ص ٥٣٤ - ٥٣٥

(٥٢) تاريخ ملوك السودان، المقدمة، ص ١٤

(٥٣) نفسه، ص ١٤

المشهور بالمصطفى عبد اللطيف في قبة الشيخ حوحي وكانت قاتلته حاريتة، ولكنها موهت الأمر وأحفته وسمع الوكيل بذلك فألقى المصطفى على جميع أولاد الشيخ حوحي وحسبهم بالحديد وصرب البعض منهم ثم سلمهم إلى حسن كاشف حاكم إقليم اخلافية والبحر الأبيض وتوعدهم بالقتل، فأناشد الشيخ إبراهيم نوسلاً استعانت فيه بالشيخ حوحي والصالحين.

قال كتب شيوخه (وقد حصص بركة لجميع، فألقى الله بخاربه وأقرت بصل سيدها وقتلت به، وأنقذ الله درية لشيخ حوحي بركة أبيهم)

ومن الأعمال لجمعية المهامة التي قام بها الشيخ إبراهيم بتفقيح مخطوطة كاتب الشونة الشيخ أحمد بن حجاج أبو عبي في تدريج السلطة السرية ولإدارة المصرية، وكان كاتب الشونة موظف بالدوان بالخرطوم حتى عام ١٢٥٠ هـ وأبهى كتابه قبل ذلك التاريخ بأربع سنوات. ويبدو أن المخطوطة الأصلية كتبت مثل طبقت ود صيف الله بالعامية، وقدم تسيحون الربير ود عبد القادر ود الزين المشهور باسم الربير ود صوة « ١٨٢٦ - ١٨٨٢ » إبراهيم عبد الله دفع بإعادة كتابتها في سنود أقرب إلى الفصحى ويقال إن الشيخ إبراهيم عبد الدافع قام بتفقيح هذه النسخة من ناحية نصيبه واصناف إليها وغيره وبذلك كما يصف الدكتور مكى شيكة سم لشيخ الأمين الضرير كأحد المشاركين في تأليف الكتاب وقد طبع الكتاب في روايتين أحدهما عام ١٩٤٧ عن مطبعة مكرودي بالخرطوم باسم « تاريخ منوك السودان » بتحقيق الدكتور شيكة عندهم فيه على مخطوطة لندن ولثانية باسم « مخطوطة كاتب اشوبه » بتحقيق لشارف بصير اعتمد فيها على مخطوطة القاهرة وصعبها بالقاهرة.

وقد أشار الشيخ السلاوي عن الشيخ إبراهيم عبد الدافع بظم طبقات ود ضيف الله في أحروره كثيرة وقد فعل، وقد لشيخ السلاوي شرح هذا سرجر وقد ضاع بعضه، وقد حقق هذا الكتاب الدكتوران محمد إبراهيم أبو سيم ويوسف فضل حسن وبشراه باسم (طبقات ود ضيف به البديل والتكملة، رحر إبراهيم عبد الدافع وشرح الشيخ أحمد السلاوي)، وهو من منشورات معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية بجامعة الخرطوم لعام ١٩٨٢ م.

وقد تزوج الشيخ إبراهيم ابنة الشيخ السلاوي رضى الله عنه وأرضاه أما أخوه عبد الرحمن الصويمير بن محمد بن الشيخ بن عبد الدافع فهو جد أولاد الخليفة الحسن ود الأسد، ومنه انتقلت إليهم خلافة الشيخ عبد الدافع، وكان من العساء الذين تبنوا منصب القصب، وقد صدرت بتوقيعه كثير من الأحكام والعقود من المحكمة الشرعية

الخلفاية في أواخر العهد التركي . وكان يوقع باسم عبد الرحمن عبد الدافع . وتولى أساقفة وحفده من بعده مهمه لتدريس بالمسجد الذي جدده الخليفة الحسن عام ١٣٥٢ هـ . وقد كان المسجد القديم قد هدم أيام المهديّة التي أمرت بنهديم كل المساجد حول مدرّمان ليكون المسجد الجامع الوحيد الذي ينتمون فيه هو جامع الخليفة بأمدرمان ، وبني المسجد بعد ذلك في غير موضعه القديم الى الجنوب الغربي من موضعه الحالي ، فقامه خليفة الحسن في موضعه الأصلي ، وبناه بالطوب الأحمر بعد أن كان بالطين . وكان يشرف على الحلوة الملحقة بالجامع الشيخ محمد نور إبراهيم من أحفاد شيخ عبد الرحمن الضويمر . وقد كان قد أحترق في أوائل العشرينات صمن شيوخ الخلاوي الذين أدخلوا مدرسه العرفاء بأمدرمان حيث تدربوا على تدريس المواد الحديثه كالسبب والمواد الأخرى إضافة للعلوم الدينيّة والقرن . وقد كانت حلوة شيخ عبد لدافع من هذه الخلاوي المتطورة التي درس فيها كثير من أساء الخفائية . وميرال المسجد يوصل نشاطه وكذلك الحلوة التي يقوم عليها أساء الخليفة الحسن ، عبد الرحمن والأسد وإبراهيم وعثمان وحوانهم . وكان مجلس الجامع مجلس شورى يتألف من أهم الرأي لحل مشاكل الخفائية وماحاورها وقد تدخل في كثير من لنزعات القبلية والأراضى وغيرها .

وقد أسست قبة الشيخ عبد الدافع قديماً ، وقد بناها حفذه الشيخ دفع الله بن الشيخ بن عبد لدافع ، وفيها ثمانية قبور منها في الجزء الأمامي قبور لشيخ عبدالدافع واسه أبو دريس وبه لشيخ ، ومن خلفهم قبور اسى عبد الدافع وأوريد ومحمد نور وقبور أساء به لشيخ بن عبدالدافع : محمد وأحمد ودفع الله . أما لقبران اللدن كان خارج القبة إلى شرقها فأحدهم قبر فارس أغا حاكم الخفاية التركي ، والآخر قبر تركي آخر مع قبور أخرى قديمة .

شيوخ الضيفلاب

أشرف في حديثنا عن المعنيين إلى الشيخ أبو سرور بمصلى الجعبي الذي ولد بالخفاية من أب وأم فضيين وقرأ حليل على الشيخ الزين واعقائد على الفقيه على ولد بركي . وكانت خلاويته في لأطراف الجنوبية للخفاية ، وهجر إلى دافور وحطى عند سلطانها بالتوقيع والإحترام ، ومنها ذهب إلى در صليح عند السلطان عروس « ١٦٨١ - ١٧٠٧م » فأكرمه السلطان لعنه وتوفي هناك بعد أن رصح جواريه رأسه وهو نائم عليه رحمة الله .

(٥٥) الطقات ، ص ٢٩٣ .

صيف الله بن علي

وفي حديثنا عن الضيفلاب أشرنا إلى كبره العتبه صيف الله بن علي ١٠٠٥/١٠١٥ - ١٠٩٥ هـ الذي حفظ القرآن بحامع الحلقاية، وقرأ مختصر خليل وأرسالة عن الشيخ لبيب ود صغيرون بقور اعمه، ولعلت عدد حبه في حليل عشرين حتمه، وقرأ الحو والنوحيد على الفقيه حميد الصاردي^(٥٦)، الذي توفي في نفس عام وفاة تلميذه صيف الله بن علي سنة ١٠٩٥ هـ، ويبدو أن الفقيه الصاردي كان يلقى دروسه في منطقته بالكبر قرب لمسية^(٥٧)، وقرأ أيضا على الفقيه فصل الصفلاوي تلميذ لشيخ عيسى بن سوار نذهب وصحب في التصوف الشيخ دفع الله بن الشيخ أبو إدريس العوكي^(٥٨)، المتوفى عام ١٠٩٤ هـ^(٥٩) وهو أول من درس لفقه بحامع الحلقاية، وكان الشيوخ من قبله يُقرؤون القرآن وحده في يستشف من كلام ود صيف الله في الطبقات مدرس حليل والعقائد بمسجد الحلقاية، ووضع شرحا لمختصر حليل حل فيه مشككه، واعتمد عليه الدارسون بعده. وقد مر به الشيخ حوحي^(٦٠) في ١١٥٥ هـ - ١١٤٢ م في صده وهو في طريقه لطلب العلم في القور فقال «وجدته يدرس العلم في الحلقاية، وله باع طويل في هذا الكتاب»^(٦١) وكان ممن جمع بين العلم والرهدي الدنيا والإقناص عن أهلها، وكان موضع حلوه وتعبه وراء الرويس، وهو معصف في النهر حووب الحلقاية، وكان هذا الرويس خلاء لا مازل فيه، فكان يصلي العشاء ثم يفرش فروته ويصلي ركعتين ركعتين إلى درب حمل الذي هو قريب من شاطئ النيل استريح ثم يرجع ومن شدة عزوفه عن الدنيا أنه مكث في طلب العلم بالقور خمس سنين لم يرد فيه النيل، وكان لا يغتسل في النهر إلا سائر، وكان إذا مر بالسوق لدى كان قد مسحد الحلقاية لا يتخطى ما يفرشه الناس من تروش وحصير، بل يمر بين فحاحها تورعا أنه كما يذكر حفيده ولد صيف^(٦٢) أنه «كان ممن درس عليه مختصر خليل الفقيه عبد الكريم والفقيه عبد خليل أولاد محمد بن عبد الله الشنوبى والفقه السرورة السياقي وغيرهم».

(٥٦) نفسه، ص ١٨٥.

(٥٧) نفسه، ص ١٨٥.

(٥٨) نفسه، ص ٢٥.

(٥٩) نفسه، ص ٢٠٩.

(٦٠) نفسه، ص ٢٤٥.

(٦١) نفسه، ص ٢٤٥.

محمد بن ضيف الله

أما ابنه محمد بن ضيف الله^(٦٢)، فقد حفظ الكتاب على الفقيه حمد بن حميدان بجامع الحنفية وقرأ عليه أحكام القرآن، وقرأ عدم لكلام على الشيخ أرياب الحشن، المسمى بأرباب العقائد^(٦٣) المتوفى عام ١١٠٢هـ، وكان عدد طلبته بريدون على الألف من دار الفونج إلى دار برو، وتلامذته هم شيوخ الاسلام كما يقول عنهم ولد ضيف الله، منهم حجاج خوجلي والفقيه حمد ود مريوم والفقيه حمد حنيك والفقيه هارون بن حصي والشيخ فرح ود تكتوك والقريشي الصليحي، ومنهم الفقيه محمد ابن ضيف الله. وقد أصبح ماهراً في علم الكلام وبرز فيه أفرانه كأنه مؤلفه، وقرأ الرسالة على الشيخ عبد الصادق وولد حسيب الهواري بأم دود ومدة قراءته لها ثنت عشرة حزمة، كما قرأ مختصر جليل على شيخه بالפור وبرع فيه تحقيقاً وقراءة له ثمانى ختمات. وكان ورعاً تقياً مهذباً عند الفونج وأولاد عحيب عند الخاص والعام مقبول الشفاعة. وقام مقام أبيه في الهيبة والوقار، وكان بينه وبين الشيخ خوجلي أحوه وصحة وسعى الناس بينهما بالفتنة فقالوا للشيخ خوجلي: الفقيه محمد ولد ضيف الله منكرو فيك فقال: لا، هذه حوة الخلوة^(٦٤). وكان قاصياً في مجلس الشرع عند العبدلاب، ويرد اسمه في وثيقة النزاع بين المحدثين والدانيات^(٦٥).

ضيف الله بن محمد:

أما الشيخ ضيف الله بن محمد بن ضيف الله بن علي^(٦٦) ١١٠٧ - ١١٨٢هـ فقد أسسه أبوه على حده تعاضلاً له. حفظ الكتاب لكریم بن أبيه وسرع في الفقه على يد الشيخ بلال بن محمد الأرق بن الشيخ الربيع^(٦٧) ونفعه أبو الحسن بن صالح

(٦٢) نفسه، ص ٢٥٤.

(٦٣) نفسه، ص ٩٩.

(٦٤) نفسه، ص ٣٦٣.

(٦٥) أبو سليم: الفونج والأرض ٦٠٩ - ٦١٠.

(٦٦) الطقات، ص ٢٤٦.

(٦٧) حدث بعض لاصطراب في مقدمته الدكتور يوسف فصل حسن لكتاب الطقات عند حديثه عن شيوخه الفقيه ضيف الله بن محمد (ص ١٥ السطر ثلاث من تحت) فقد ذكر من بينهم نفعه بلال بن محمد الأرق بن أبي الحسن بن الفقيه ابن الحسن بن دفع الله بن ضيف الله، في حين لا ودصيف الله ذكر الفقيه بلالاً والفقيه بن الحسن، وأبو الحسن هذا ليس والد الشيخ الربيع (وقد يكون كمنه بن حلت محل وأبو العطف في الصاعقة)، ثم إن أبو الحسن هذا ليس بن دفع الله بن ضيف الله، بل هو أبو الحسن بن صالح العودى (١٠٧٣ - ١١٣٣هـ برحمه ١٦) أما أبو الحسن دفع الله بن ضيف الله متأخر عن الشيخ ضيف الله أو كان صغيراً جداً بابه، لأن وديته كانت سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م (عبد الله حسين تاريخ السودان القديم ٢ /

العودى «١٠٧٣ - ١١٣٣ هـ» أستاذ الفقيه عبد الدافع^(٦٨) وقرأ لتوحيد على الفقيه إدريس بن ملة لكانى تلميذ الفقيه أرباب بن عى الحش، وسلك طريق الصوفية على الشيخ خوجى وكان من أتباعه هو والشيخ عبد الدافع^(٦٩) وانتصب لتدريس الفقه وتصدّر للأحكام والقوى من سنة ١١٣٠ هـ الى وفاته عم ١١٨٢ هـ قال عنه ولده صاحب الصفات: (كان من جمع بين اعدم والعمل والزهد والعبادة، ومن زهده تركه للبيع والشراء والأسعار وطلوع الأسواق، ولا وقف على باب السلطة لغرض دينوى وكانت مجاهدته فى العبادة والتدريس)^(٧٠). وقال عنه أيضاً (كان يهانا عن البيع والشراء ويأمر بالحرابة. واجمعت الأمة على أنه أعلم أهل عصره بالعقود والنسب يقولون بعده: إبراهيم الحجر (أخ الزين بن صفيرون وقد توفى سنة ١٠٩٩ هـ)^(٧١)، وأبو الحسن (ابن صالح العودى ١٠٧٣ - ١١٣٣ هـ)^(٧٢)، وبعد أبو الحسن ضيف الله^(٧٣).

ووصف صاحب الطبقات صفة نشاطه اليومى فقال: (يقوم ثلث الليل الأخير يقرأ مسجيات ابن عطاء الله والمسجيات وأدكار أشياحه وأوراد نبويات حتى يطلع الفجر ويصلى لرعية. ويذكر فيما بينها وبين الصبح جميع أدكار شيوخه الشيخ خوجى، ثم يصلى الصبح ويستمر فى موضع مصلاه للذكر والعبادة وقرء الوطيفة وأحزاب الشادلى وسائر أدكار شيخه حوحتى ثم يصلى الباقلة. فإذا فرغ منها شرع فى التدريس، فإذا فرغ منه شال دلائل الحيرات، فإذا فرغ منها عنده سبعة وأقداح صغيرة واحد فيه حجاراً معدودة وشال سحته يذكر الله ويصلى على الرسول، فإذا تم عدده روى حجراً على القدح الآخر. هذا دأبه حتى يفرغ من عدده. فإذا فرغ من عدده شرع فى لاستقبال لقرء اليوم المستقل ويوم بومة حفيضة واصعد الكتاب على صدره، ثم يصلى الظهر وبعده الباقيات الصالحات ثم يشرح فى الدرس فإذا فرغ منه صلى

(١٤)، أو سنة ١٢٣٠ هـ (س.يح ميوك السودان عمير ٢ شبكة، ص ١٩) وبدوا أيضاً هناك حبس بين محمد لاروق بن صيف الله ومحمد لاروق بن شيخ الرين (ت ١١٨ هـ، ١٦٩٦ م) ومحمد لاروق بن ضيف الله أخ دفع به بن صيف الله الملقب بأبى حسن وكان وكيلاً لمسجد الجفنة [الطبقات، ص

[٢٤٩]

(٦٨) الطبقات، ص ٧٧.

(٦٩) نفسه، ص ١٩٦.

(٧٠) نفسه، ص ٢٤٦.

(٧١) نفسه، ص ٧٦.

(٧٢) وليس المقصود بـ حسن دفع كما يذكر تذكور يوسف فصل مرة أخرى فى هامش ١١ ص ٢٤٧ من الطبقات.

(٧٣) الطبقات، ص ٢٤٧.

العصر واستمر على الذكر والعبادة حتى تغيب الشمس فيصلى المغرب. فيذكر الذكر الوارد بين المغرب والعشاء. فإذا صلى العشاء فقد يذكر ويتنفل إلى أن يمضي الثلث الأول من الليل إلا قليلاً. فإذا مشى فوق الطريق سبحته في يده يصلّي فيها على الرسول ﷺ، هذا دأبه حتى فارق الدنيا^(٧٤).

وكان عمر أحد عليه من لأعين الفقيه إسماعيل شيخ القوز حليقة الشيخ صغيرون^(٧٥)، والشيخ عبد الرحمن بن بان النقا^(٧٦)، ونايري بن عبد اهادي^(٧٧)، والفقيه بشير ابن علامة، والفقيه أحمد بن عيسى^(٧٨) والفقيه عبد الرحمن بن أرباب، والفقيه محمد ابن علي ساطي أرباب^(٧٩) ولديه والفقيه هحيو بن الفقيه سالم الماجدي، وصاحب الطبقات واحتاج دفع الله^(٨٠). وقال عنه انه: (ما أحد درس العلم في الحلقاية إلا هو وحده)^(٨١). وشهد له شيخه خوجلي في الطريق وأشيخته في العلم والدين والصلاح. وقال الفقيه دوليب بن محمد. (رأيت في المنام قاتلاً الفقيه ضيف الله قام مقام الشيخ خوجلي لصلاته على الرسول ﷺ).

وتوفي إلى رحمة مولاه عن خمس وسعين سنة قضى منها اثنتين وخمسين في التدريس^(٨٢). وهو في ذلك شديد الشبه بمعاصره وابن بلدته وتربى به الفقيه عبد الدافع (١١٠١ هـ - ١١٨٠ هـ) لدى درس أيضاً حولي الثمانية والخمسين عاماً. وكان الفقيه ضيف الله عمر توفي نقضاء في مجلس الشرع لمعدلات وحكم في القضية المشهورة بين أبناء الشيخ خوجلي وأبناء مقول حول أراضي كثر النزاع حولها أيام الشيخ عجيب بن الشيخ عبد له (١١٨١ هـ/ ١٧٦٧ م)^(٨٣)، وكان احكم فيها لصالح أبناء الشيخ خوجلي.

أبو الحسن دفع الله

وعمر اشتهر من شيوخ الضيفلاب الفقيه أبو الحسن دفع الله بن ضيف الله^(٨٤)

(٧٤) نفسه، ص ٢٤٦ - ٧.

(٧٥) ابوسليم، الفروج والارض، ص ٩٤.

(٧٦) الطبقات، ص ٢٩.

(٧٧) نفسه، ص ٣٦٧.

(٧٨) ابوسليم: الفروج والارض، ص ٩٤.

(٧٩) نفسه.

(٨٠) الطبقات، ص ٣٦٩.

(٨١) نفسه، ص ٢٤٨.

(٨٢) نفسه.

(٨٣) ابوسليم: الفروج والارض، ص ٩٢ - ٩٥. (٨٤) الطبقات، ص ٦٥.

قرأ لتوحيد ومختصر حليل وعلم الميراث على أبيه فكان ماهراً في علم الفرائض ومختصر حليل، وقرأ القرآن على الشيخ دفع الله وكان تقياً ذكياً ثم احتلوة بعد أبيه وكان قائم سبيل وصائمه النهار يلازم أذكار الله كلها ويتلو صلاة الرسول في كل ليلة أربعين ألف مرة وبالجملة ثمانية عشر ألفاً، كل ما تم مائة ينتقل بعدها، وكان مستقيماً على حاله لا حاجة له بأحد، وكان كاتماً لأسراره لا يتكلم إلا بما يصل إليه من فيض ربه. توفي بالخمسة عشر من ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م^(٨٧) أو عام ١٢٣٠ هـ^(٨٨). كان من كبار قصاة شرع للعدلات بالخلفاية، وحاء سمه في الوثيقة الصادرة عنه في عام ١٢٢٦ هـ التي وجه فيها الشيخ ناصر آخر ملوك العدلات قاصيه دفع الله بالحكم في النزاع الذي كان قائماً بين الدايياف والمحمداب^(٨٩). وقد ورد اسم الفقيه محمد ولد ضيف الله في دفع الله كشهد في قضية الخوخلاب ضد الدايياف والمحمداب التي نظرها الشيخ عبد الله ود عجيب^(٩٠). وكان أخوه محمد الأرق عالماً فاضلاً وقد تولى وكالة مسجد الخلفاية وكان قد أخذ العلم على الشيخ طه بن عمار القرني المولود بحجة كاب الجداد^(٩١).

محمد نور بن ضيف الله

لا حاجة إلى الإشادة بذكر الفقيه لعالم لشيخ محمد نور بن ضيف الله شقيق دفع الله السابق ذكره وصاحب الطبقات (١١٣٩ - ١٢٢٤ هـ / ١٧٢٧ - ١٨٠٩ م) سبيل العلماء ونسل لأتقياء، والده ضيف الله بن محمد لدى مر ذكره. ووالدته ربة بنت موسى بن هبونه، وهو من هذه الناحية قريب الصلة بالفقيه دفع الله ابن محمد الكهلي الذي هو حده وشقيق حده موسى ود ربا، والشيخ عبد الدافع حله، لأب فطمه بنت ربا أم عبد الدافع وموسى ود ربا والد والدته إخوان أشقاء تلقى العلم على والده وغيره من شيوخ عصره ونبغ في الفقه وصار حجة في المذهب المالكي وصفه كاتب الشئونة عند وفاته بأنه (حافظ المذهب والشرعية المحقق المحرر العلم الراسخ شيع لا سلام فريد العصر له تأليف جليلة منها كتاب الصالحين الذي ما سبقه عليه في بلاده أحد من المتقدمين والمتأخرين، وشرح ابن عطاء الله، وله أيضاً سيرة في السيرة) ولم يصلنا من هذه الآثار إلا كتب الطبقات التي يعتبر أهم مصادر الحياة الروحية ولدينية في أيام دولة الفويج، وقد حقق الكتاب الدكتور يوسف فضل

(٨٥) عبد الله حنين: تاريخ ٩٤/٢.

(٨٦) شبكية، تاريخ ملوك السودان، ص ٢٩.

(٨٧) ابوسليم: الفويج والأدب، ص ١٠٨ - ٩.

(٨٨) نفسه، ص ١٢٤.

(٨٩) الطبقات، ص ٢٤٩. (٩٠) كاتب الشئونة، ص ٦٧ - ٨.

تحقيقاً علمياً حيداً وأرفق به مقدمة مسهبة عن الكتاب ومؤلفه وعصره، كما أضاف الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ويوسف فضل جهداً علمياً ينمى الطبقات بتحقيقها أرحورة شيخ إبراهيم عبد الدافع الذى نظم فيها كتب الطفت وقدم بشرحها فصى قضاة السودان الشيخ أحمد السلاوى.

ومثل كى أنوه قاضياً فى مشيخة العبدلاب فقد كان هو أيضاً من قضاة المشيخة فى أيام الشيخ ناصر بن الأمين ود مسبار ود عجيب آخر ملوك العبدلاب. وقد ورد اسمه فى عدة وثائق تحمى حكمه فى ملكية بعض الأراضى فهناك وثيقه يرجع تاريخها الى عام ١٢١٤هـ / ١٨٠٠م تشير الى أن الشيخ عبد الله بن الشيخ عجيب أحصره فى وجهه لحكمه فى نزاع المحمدات وأولاد الشيخ حوجى وقد فعل^(٩١). وثيقه أخرى تاريخها ١٢٢٦هـ / ١٨١١م أن العلماء وافقوا على حكم سبق له وأقروا بصحته (بعد وفاته) عام ١٢٢٤هـ^(٩٢)، كما أن العلماء وصعوا حكمه وأقروه فى قضية أخرى إستأنف صاحبها (لأنه عدل عالم)^(٩٣). وهناك من الروايات ما يشير الى أن الشيخ ناصر بن الأمين عرله من منصبه خلاف فى مسألة فقهية مع بعض عباء عصره، وهى روايات شفهية لم تذكرها المصادر التى كتبت عنه^(٩٤). وتوفى لى رحمة مولاه أيام محمد ود عدلان سنة ١٢٢٤هـ - ١٨١٠م حين انتشرت فى ذلك العام الحمى لصفراء المعروفة عندهم بالكك وأتلفت حلقاً كثيراً من بينهم لشيخ محمد نور ودضيف الله، وقد رثاه لشيخ إبراهيم عبد لدافع بمرثية حليلة فى نحو اثنتى عشر بيتاً^(٩٥) ولا يرد ذكر بعد ذلك للضيفلاب الا فى عام ١٢٤٦هـ فى أيام الحكم التركى حين توفى الفقيه عبد القادر ودضيف الله^(٩٦) الذى اشتهر بالعلم فى التوحيد والعروض. وتذكر رواية الصيفلاب من علمائهم فى أواخر العهد التركى عفيه محمد نور ودالمكى صيف الله الذى تلقى لعلم بالأزهر وذهب الى استانبول وأصبح من قضاة المحكمة بالخرطوم وكان مرله فى مكان مستشفى لشعب القائم الآن بالخرطوم، وتحت إصرار أهله ترك خدمة الدولة وتفرغ للتدريس والقيام على مسجد الصيفلاب بالخلفاية وفى أيامه ازدهر المسجد واكتظ بالدارسين. واستمر المسجد فى نشاطه العلمى الى زمن المهديّة حيث تعطلت المساجد جميعاً بروح أهل الخلفاية الى خور شمبات، وبعد

(٩١) أبو سليم: الفوج والارض.

(٩٢) نفسه

(٩٣) نفسه.

(٩٤) الطبقات، مقدمة، ص. ٢٠.

(٩٥) كاتب الشوبة، ص ٦٧.

(٩٦) نفسه، ص ١١١.

رجوعهم واصل علماء الصيفلاب جهودهم في مسجدهم . ويمكن ترتيب حنفاء الصيفلاب على النحو التالي :

صيف الله بن علي : أسس حنوته برويس الخلفاية . حيث يقوم مسجد الصيفلاب الجديد

محمد صيف الله «ابنه» تولى تدريس القرآن بخلوة أبيه .

صيف الله بن محمد «ابنه» أسس خلاوى أخرى شمال خلاوى حده . حيث يقوم مسجد الصيفلاب القديم .

دفع الله بن صيف الله «ابنه» .

صيف الله بن دفع الله «ابن عمه» .

نورالدين بن محمد نور صيف الله «ابن عمه» .

الحسن نورالدين «ابنه» .

محمد نور بن صيف الله «ابن عمه» .

محمد محمد نور «ابنه» ودامت خلافته نحو خمسة وسبعين سنة تحمل أثناءها

أعباء رسالة المسجد في تقوى وصلاح إلى وفاته عام ١٣٧٢هـ . رضى الله عنهم جميعاً .

واستعادت خيرة القرآن نشاطها بعد المهديّة بمجهود محمد ودالفكي الحسن نورالدين والد الشيخين دفع الله وعبدالقوى وغيره من الصيفلاب ، وبعد فترة جهود في الثلاثينات واصلت الخلوة نشاطها مرة أخرى وكان من أبرز شيوخها الأعلام الفكي نور الدين ود أحمد ود محمد الحسن نورالدين رحمهم الله جميعاً

شيوخ المغاربة

حمد السيد بن بلة

من علماء المعربة المشهورين بحفافية ملوك الفقيه حمد اسيد بن بلة أبو قور^(٩٧) الذي ولد بالحفافية ، وحفظ القرآن على الفقيه عبدالرحمن بن اسيد^(٩٨) بالفحيجة «ت ١١٢٧هـ» كما قرأ عليه وعلى الفقيه محمد بن قوته^(٩٩) بقور ود دياب بالحريّة ، مختصر خليل . وقرأ الرسالة على الشيخ محمد ونبد مدني^(١٠٠) المدفون بالفحيجة ولكثرته

(٩٧) الطبقات ، ص ١٨٧ .

(٩٨) نفسه ، ص ٢٨١ .

(٩٩) نفسه ، ص ٣٦٢ .

(١٠٠) نفسه ، ص ٣٥٢ .

بدرسه برسالة وشتعاه بها اسمه ودصيف الله «حمد السيد صاحب الرسالة»^(١) وأخذها عنه رجال صالحون علم منهم الفقيه عبد الله حسن التكاوي لعالم المشهور، واس عمه الفقيه حسين «في رويته ابن خبيير»، وصالح ود حنير، ومحمد نصر النخو شبي، و «حاج عمارة، وإخا ح زمر» والفقيه محمد بن قسيم الله، والفقيه محمد بن الحاج محمد نور حيفة حاج نخو حلى لموتى سنة ١١٤١ هـ^(٢) وغيرهم. وهو من تلاميذ الخمسة الذين دعا لهم شيخهم عبدالرحمن بن إسيد بالبركة لأنهم زرعوا داره وهم: سعد الكرسي، والفقيه عبدالرحمن ولد حاج، والفقيه عبد الكريم ولد آترو والفقيه حسب النبي ولد حجر إلى جانب الفقيه حمد السيد^(٣) «وكان تقياً عالماً راهداً في الدين محاباً لنسبته، وكان يدرس الفقه في نفس الوقت لدى كان يدرس فيه عبدالدافع القراء والفقيه صيف الله الفقه، ومن أخذ على ثلاثتهم الفقيه محمد بن علي ساطي»^(٤) ومن كرماته أن رجلاً من مغارة الخلفاية اسمه محمد سباحة أصابه مرض غاص فيه كما يقول ودصيف الله فلما أفاق قبل له مشيت في غوصت؟ قل: رأيت ود إسيد والفقيه محمد ولد مدني متنازعين في الفقيه حمد السيد كل منهما ماحد بيده، فحبب انسى يتبعه ولد مدني^(٥) وتوفي عن خمسين وبيع ودفن بمقبرة المغربية بالحفاية وقد سار أبوه وأحفاده على دربه، ومن أولاده الفقيه محمد والفقيه أحمد وعبدالرحمن وقد ورد اسم الفقيه أحمد حمد السيد والفقيه محمد حمد السيد كشهدين على حكم الشيخ صيف الله بن محمد في «رأى الخوجلاب»^(٦) وقد تفقه الفقيه محمد بن الفقيه حمد السيد على الفقيه محمد بن سالم الماجدي^(٧)، وكان حمد السيد بن الفقيه أحمد كحده، وروى عن الفقيه محمد كآبيه في علم والديته^(٨) ولا يزال أبناء حمد السيد يسكنون فريق المعارة بالحفاية للملوك

عبدالخليم بن سلطان

وقد رأيت من قبل أن استقرار المغربي بالحفاية منذ القدم كن حافراً لإخوانهم

(١.١) نفسه، ص ٣٦٢

(١.٢) إبراهيم عبد الدافع، نفسه، ص ١١٩.

(١.٣) الطبقات، ص ٢٨٢.

(١.٤) إبراهيم عبد الدافع، نفسه، ص ١٢٠.

(١.٥) الطبقات، ص ٢٨٤.

(١.٦) ابراهيم: الفونج والأرض، ص ٩٤.

(١.٧) الطبقات، ص ٣٣٩.

(١.٨) نفسه، ص ١٨٧.

سدين هاجرو لاحتياز الخدمات وحجة لهم كما هو الحال مع الفقيه محمد عبد الله الشريف بربل خنفيه المولود بفاس والمتوفى بسبار^(١٠٩) والفقيه محمد بجر المغربي نفاسي الذي حدث عنه من قبل وقد ذكرت أننا أن من أحفاد هذا الشيخ لفقيه عبد الحليم بن سبطان بن عبد الرحمن بن محمد بجر المغربي^(١١٠) وقد ولد عبد الحليم خنفيه من أم شقيقة وحفظ لفران بحامع لخنفيه وقرأ مختصر حنبل عن الشيخ صغير بن ود لربن بنور المطرف في دار الأبواب قرب سدي، ومن عاصره في الدراسة عن الشيخ صغير بن الشيخ دفع الله بن الشيخ أبو إدريس العركي وأولاد بني ستيه على^(١١١) سحاح إبراهيم^(١١٢) وتور بن الكاهل الرقني، وأولاد انتفار الثلاثة الفقيه محمد^(١١٣) ومهودة^(١١٤) ومازري^(١١٥) ومسنى الحجر بن الحاج عمر أخ صغير بن ومحمد ولد الحاج أبو القاسم أحيه^(١١٦) وسلك عبد الحليم الطريق على الشيخ أبو إدريس العركي^(١١٧) ونسبه أبو إدريس مثل أنه الشيخ دفع الله العركي^(١١٨)، ولأن الشيخ لم يقف على باب أمير لشدة عذ أو غيرها^(١١٩) فقد كان يبعث بعد خنفيه مع ولد حمد لحجر العرب ولصويج^(١٢٠) وكان به وبين الشيخ أحوه وطلب لعلم بالثور عبد يشيخ صغير بن. وكثيراً ما كانا يتجدلان حول المسائل العلمية ويمتحنان لها الكتب في صوة المصحح. وكان لصيقاً بشيخه أبو إدريس، إذ حاهه وهوى مرض الموت ففقد به نفاس^(١٢١) ولدت عبد الحليم حاك يعودك، وطلب منه عبد الحليم الوصة فقال وصيكم على لصلوات وانتهى ونصر على نبلاي ونفع المخلوق لأجل الخائف^(١٢٢)

(١٠٩) نفسه، ص ٣١.

(١١٠) نفسه، ص ٢٩٧.

(١١١) نفسه، ص ٢٥.

(١١٢) نفسه، ص ٢٩٣.

(١١٣) نفسه، ص ٩٧.

(١١٤) نفسه، ص ٣٦.

(١١٥) نفسه، ص ١٨٧.

(١١٦) نفسه، ص ٣٦١.

(١١٧) نفسه، ص ٢٣٦.

(١١٨) نفسه، ص ٦٥.

(١١٩) نفسه، ص ٢٠٥.

(١٢٠) نفسه، ص ٦٧.

(١٢١) نفسه، ص ٢٩٧.

(١٢٢) نفسه، ص ٢٩٨.

(١٢٣) نفسه.

وقد نصدر عبد الحليم للحكم والفتوى والقضاء بداريته بمشوى والاحكام. روى الشيخ صيف بن محمد قال. (وقفت في) حلقة كبرى في مشرى (جزيرة جنوب مشى يسكنها العرب والمعلين والشايقيين والخراب) عند اولاد ترى الشيخ على والحاج، والفتية عبد الحليم هذا مفتى فيها، فمن عندها موقفت حلقة بخشية مثلها. فمات عنه بيانه لقضاء من قصة التكميل^(١٢٠) وكانت فتاويه مبدونة في خدمة من كان يلقى الخصوم المتهومين الخجج ليتحصوا به من ورطاتهم القديويه وهو ما شهور عبد الفتاح، الخليل لشرعة، فمن ذلك ما حدث حين جاءه حمد بن عبد خليل متهوم وهو من اهل الخفدية^(١٢١) فقال له ان شيخ المسعوداب وعدى عيشاً وشبهه سمى، حصمه وأخذه منى ثانياً، فقال له عبد خليل ادعى عليه بدعوى قدر ما أخذ منك. وان تشهد لك على ذلك، فادعاء عبد الشيخ عقيب، فقال بطل فوقه ما لا مقداره كذا وكذا، وشهد على ذلك الفتية عبد الحليم، فحاء فقال: يعلم الحق عليه. وبنه الشيخ ابنى اخذ منه. فقال عشر ترك تيمه، فقيموه فوجدوه من قدر الحق لا ردت ولا نقص^(١٢٢) وجده رجل فقال: فلان ادعى عبد القاضى بدعوة رور تشهد على فلان ماعدى اشهاداً بحرحه. قال: أمشى فانتله قبل أداء شهادته فبها شهادته تطل، وقول للقاضى بينى وبينه عداوة^(١٢٣) وسار به الفقه نوار من عبد الحليم المعربى رجل الخفدية على مواله، وقد ورد اسمه شاهداً على أرض مسح السبض ندى من يوم الحجوجلات عام ١١٦٦هـ/١٧٥٢م^(١٢٤).

عبيد وأبناءؤه

وكان لفتية عبد بن سلطان شقيق عبد الحليم الذى تحصن ترب المقاربة اسمه وسبى أخته لعبيد فصح معنى في لثقوى وانصلاح والعم، وقد اشتهر وأبناؤه بكثرة الذكر والاستعراق في التصوف، وقد اشتهرت ابنته كرامة بنت عبيد البى بذكرى ما كانت محبوبة ومحبوبة الراس ربطتها الأساطير بحبة سهاها الناس «كرامة بنت عبيد الحبست لمرير»^(١٢٥) وقد هوى إلى أنها تتصدى لمن يمر بالترب ليلا وعالياً ما

(١٢٤) نفسه.

(١٢٥) نفسه، ص ٢١١.

(١٢٦) نفسه، ص ٢٩٨.

(١٢٧) نفسه، ص ٢٩٨-٩.

(١٢٨) ابوسليم. الفروج والارض، ص ١٠٣.

حدث ذلك معصم الرارعين الدين يدهموم بمحصولهم الى البندر (خرطوم بحرى)
ثم يرجعون احرا النبيل على حيرهم فتتقاهم كرامة وترقصهم حتى الصباح فيما
رعموا ، وقد تكون القصة من حبال بعض الشبب لدين تحيلوه تحت تأثير الحمر
التي كانت متاحة هم في اطراف الخرطوم بحرى . وزعم اخرون أن كرامة كانت بنت
ملك الحد وقد تزوج عبد أمها فكانت سفيرة في نقل الاخبار

وقد سار أبناؤه على مسوئه فكان بنه النور ولد عبيد فقيها تتلمذ على الشيخ خوجلى
ابن عبد الرحمن ومن معاصريه في الدراسة عليه الفقيه عبدالدافع والفقيه ضيف الله
ابن محمد والفقيه موسى أب ري^(٢٩) وكان كاتبا بمحكمة الشرع التابعة للعدلاب
وقد صدرت عنه بعض لوثوث في الفترة ما بين ١١٧٢ و ١١٨٠ هـ / ١٧٥٩ -
١٧٦٧ م^(٣٠) . كما أسس حميده عبدالقادر بن عبدالفتاح حلوة مشهورة قبل التركية
وتوفي في عام العوصة لموافق ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ - ٤م ، وقد رعى أحفاده هذه الحلوة
وكان من أشهرهم في آخر أيام التركية الفقيه عبدالقادر بن أحمد بن محمد بن عبدالقادر
الذى ذكره أنه سافر لاسطنبول وكان يخطط مختصر تحليل والرسالة ، وأسس الحلوة
التي حل محلها مسجد الفقيه عبدالقادر القائم الآن والذي أسس بجهد أحفاده
مؤخرًا . وظل كثير من شيوخ المغاربة كلفكى الحسن أخ عبدالقادر وأبناؤه وأحفادهم
يسرون على نهج نفعهم في نشر العلم والمعرفة وطلبها في الآفاق ، وكان منهم الفقهاء
واعلماء وفراء الفرق في الحلفاية وشمسات وغيرها من الديار التي نشروا فيها ، ومن
شيوخهم الذين أسهموا في التعليم والتدريس والإرشاد عامة الشيخ حسن أحمد عثمان
سماط وأشيخ لطيف أحمد اهذى والشيخ عبد الرحيم محمد الحسن بالحلفاية .
ومن شيوخ المغاربة الفقيه محمد ود نورالدين الذى أخذ على الشيخ محمد نور ود
لعكى صيف الله الفاصى والمفتى في أواخر العهد التركى والذى مرت ذكره ، وقد
كست حلوة هذ الفقيه عمرة بقراء القرآن وكانت تقوم وسط بيوت آل نورالدين في الحى
الشرقى الذى مايزال عدد منهم مقيما به . وقد اندثرت الآن هذه الحلوة التي ظلت
تؤدى وصيتها ورعاها أبناؤه من بعده ، ومنهم فقهاء وعلماء كشيخ صالح محمد
نورالدين ومنه الشيخ عوض الله صالح مفتى الديار وإخوانه

(١٢٩) الطقات ، ص ١٩٧ .

(١٣٠) ابوسليم ، نفسه ، ص ٦٩ .

تحدثنا في استعراضنا لتاريخ المشايخ بالخلفاية عن جدهم الشيخ يعقوب بن مجلي وأبائه من بعده، ورغم أن المعلومات عن هؤلاء الأوائل نادرة إلا أن ماوصلنا منها يدل على جهدهم في نشر الثقافة العربية والاسلامية، وقد رأينا كيف أن الشيخ مجلي بن يعقوب اختاره الجعليون الزيدانيون روجا لكريمتهم لعلمه وكان شرطهم أن يستفيدوا من علمه لوعده لشيخ زيد وأهله في التعمم. وقد ظل المشايخ مزارات للعلم في الخلفاية وغيرها، ومن ارتبط اسمه بالخلفاية وتاريخها الخاج عمارة الذي تتلمذ على الفقيه حمد السيد بن بلة المغربي بحلفاية الملوك^(١٣٢) ويذكر شيوخ الصيقلات أن الاسم قد الشافعي الذي أوردت الطبقات ترجمته^(١٣٣) ويذكر شيوخ الصيقلات أن الاسم قد حدث فيه تصحيح في السخة المطوعة إذ هو عمارة الشافعي أو الشليق وفي رواية أخرى أبو شليق^(١٣٤)، وقد قرأ القرن على الفقيه عبد الدافع، وقرأ علم لكلام على الفقيه حمد لسيد والرسالة عليه، وحج إلى بيت الله الحرام، وقرأ ثانيا في مكة الرسالة وعلم العربية وعلم التوحيد والتفسير ويروي عنه صاحب الطبقات أنه كان جالسا ذات يوم أمام الخلفاية، قل (فرأيت رجلا مثل لفرم فداي وأجلسي بين يديه فلمس على رأيت الأرض مشرقها ومعربها طوها وعربها برها وبحرها وأوديتها وجبالها وسهلها ووعرها تحت رجله. فقلت له: من أنت؟ قال لي: أنا أبو مدين^(١٣٥) قال لي: قل لا إله إلا لله محمد رسول الله في كل يوم مائة مرة. قال: ثم قدمت بيت الله الحرام، فسألت عنه فيل لي هو عوث قطب المتقدمين، فرجعت إلى بلدي فنصبت خلوتي واشتغلت بذلك مدة تسعة سنين ثم يأتي يقول لي: أخدم يا ولد أنا أبو مدين^(١٣٥)).

وقد توفي الخاج عمارة ودفن بالخلفاية وأنجب عددا من الأبناء، وكانت خلاويته في

(١٣١) إبراهيم عبد الدافع، نفسه، ص ١١٩.

(١٣٢) الطبقات، ص ٣٠٩.

(١٣٣) محمد صالح محي الدين، مشيخة، ص ٣١١.

(١٣٤) أبو مدين هو شعيب بن الحسن لاندسي المغربي وهو من مشاهير الصوفية أصله من الاندلس وسكن بحاية، وبها كثر ساعه حتى حقه السلطان، وتوفي سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٨م عن نحو ثمانين سنة [إعلام برككي ٣ - ٢٤٤] في شهر ربيع مدين، مدفون بمصر، ينسب [أنظر طبقات شعري ١ - ١٥٤] ويوسف فصل

حسن تحقيق الطبقات ص ٣٠٩ هامش ١٣.

(١٣٥) الطبقات، ص ٣٠٩.

الساحة التي قام فيها مسجد شمس الدين الآن وهو من أحفاده. وكان أبناء الحاج
عمارة فقهاء عظام، منهم الفقيه محمد بن الحاج عمارة، وكان كاتباً بمحكمة الشرع أيام
العبدلاب. وكان هو لكتاب لأصل الوثيقة الخاصة بفضله أولاد الشيخ حوحي في
براعهم حول الأرض مع المحمداً والدانيات عام ١٢١٤ هـ. ومن الفقهاء الذين
حضرُوا مجلس الشرع لبيب في القضية محمد ولد صيف الله وإسمه دفع الله حوحي
والفقيه محمد بن الحاج عمارة والحاج صحوي بن مكوار وعوض الله ولده ومحمد نور
بن الحاج عبد الرحمن بن إسميد والحاج إدريس بن الحاج محمد أبوالمعالى^(١٣٦). وكان
أخوه إمام ود حاج عمارة وطه ود حاج عمارة لا يقلان عنه قدر ومنزلة في العلم
والعمل، وقد بلغ المشايخ مع الفقيه مصطفى ود طه ود حاج عمارة شيوخاً بعيداً في المدة
والرفعة لدى عامة الناس ولدى دولة الأتراك، فقد كانت حلقة درسه تحتذب الأعداد
الغفيرة من الدارسين من الحنفية وخارجيها. ومن الذين برلوا بحلقته الشيخ السيد
ابن أحمد من آل سراج لذين لجمعين شقيعات وموطنه المنة وكان يتأخر بين المنة
والحنفية والأبيض. وعنى لشيخ مصطفى حفظ كثير من أهل الحنفية القرآن
الكريم. وكان رحمه الله ذا حظوة لدى حكام الأتراك لعلمه وحجته. وقد أوقفوا خلوة
وصوبه الأموال كما رأينا. وكانت صلاته واسعة، فأمنه بت ود صفية بالأبيض، وتزوج
أى حبيب بت عمه بخار بت حاج إمام المسك بت الشريف عبد القادر أخت
أشريف مركات - العيلفون، وقد زوجه إياه السيد الحسن الميرغى. وولد منها أحمد
المشم وشمس بدين. وقد أرسل إسمه المشم وطه للأهر الشريف، أما المشم فلم
يستقر بالحنفية طويلاً بعد رجوعه من مصر بل درس قليلاً ثم ذهب للمصعيد واستقر
في الطقيع مركز اسقل. وحلّ شمس الدين للتدريس في حلوة أمائه، وبدأ تعليمه
للقرآن من حور شمس حيث هجرة أهل الحنفية في عام ١٨٨٥ م وتعلم عليه هناك
كثير من الناس ثم شغل بعد ذلك أى مسجده الخالى بالحنفية مواصلاً جهده وفتح
«نار القرآن» أربعة من تلاميذه هم محمد عبد الرحمن لهروال وأخوه عبد الله
عبد الرحمن، وحوه لأعمامهما عبد العال حاج أحمد وعبد القادر حاج أحمد ولد حسن
عبد القادر. ومن حفظ عليه القرآن أيضاً الفكى إبراهيم فصل السيد، وحاج
عبد الملك أحمد ومحمد مصطفى ود الأمين (ودالست) وأحمد السيد وعنى السيد وعلى
ودالتو وغيرهم من أهل الحنفية ومن سواهم.

وتولى الأمر بعد ذلك الشيخ مصطفى بن المشم الذى درس على أبيه المشم وعلى
عمه شمس الدين، وكان من أوائل إن لم يكن أول معلم في المدارس الحديثة

(١٣٦) أبوسليم، الفوج والأرض، ص ١٢٦ - ٧.

بالخلفاء، فقد تولى عام ١٩٢٦م أمر المدرسة غير النظامية التي أسسها الشيخ حسن أحمد عثري عام ١٩٢٥م، ولم تصبح المدرسة حكومية إلا عام ١٩٢٦م كما سنفصل الأمر فيما يلي. إن شاء الله. ولم يستمر الشيخ مصطفى في بداية أمره بالخلفاء، بل ظل يتنقل بين مدرستين ونورتسودان وغيرها. ثم استقر معني بمدرسة الخلفية الأولى ومشرفاً على جامع أدائه وخيولته إلى أن توفاه الله راضياً مرضياً بإذن الله وتقوم على أمر المسجد الآن أبناء الشيخ شمس الدين ويتولى حقيقه العنه فيه حفيده ابن سته الأستاذ عثمان عبد الرحمن الهروال.

شيوخ الدواليب

نحدث فيما سبق عن المنحة العلمية الرفيعة التي كانت تدوينية، وقد كان مركز إشعاعهم الأساسي في دنيا وموضع الدعة حيث عاش وتوفي محمد ولد دوليب الكبير، وكان كما ذكرنا ورعاً تقياً عادلاً لا يأخذه في حق لومة لائم بحشاه الملوك ويستمتع الناس بشدة عندهم كما رأينا في قصته مع تقيته إمام بن موسى الجعلي وعثمان ودحمد الشافعي الذي هب حواراً هذا لغيه فذهن الحاكم الشافعي صاعراً، ولولا خوفه من شيخ الذي هدده له فعل^١ وانتقل بأواه بعد ذلك إلى حرسى في جبل الخربة قرب دار حيث أقاموا مركزاً للعلم والعبادة، يبيت ستقر جماعه منهم بالخلفية ولولا أنه انتقل بعضهم إلى الكدرو، ولكن الخلفية صلب مركزهم العلمي وأرواحي ففيها قبه الشيخ عذاخادي ولد محمد ولد دوليب، وفيها عاش مع أساته السيد وبهرى ابن عبد هادي وكثير من أهلهم. وكان عبد هادي حجة في لغته ولدراسات القرآنية وقد رأيناه من كبار علماء عصره حين رجع إليه وإلى خلفه في بعض بقضية الخلاف حول ولاية الشيخ يعقوب ولشيخ محمد بن سوار انذهب، وكان معاصر للعقبة دفع الله بن محمد الكاهلي أيام السميع شيخ العبدلاب بقري

وكان أنه محمد سيد وبهرى خير خلف خير سلف. فبقى حبيب لصلاب نواسعه لننى أقامها شيخ محمد السيد مع الفونج والعدلات وبها حترامهم وتقديرهم كان كما وصفته شيخ أحمد سلاوى (من نعلمه يعرفون) ولأحد الموصوفين. ونه شعر ومراثى في الصبحين مائلا إلى كتب التصوف وتولى بالخلفية ودفن مع نائه^٢ وكان السيد هذا من رواة الشيخ محمد نور ولد صيف الله إد أحد عنه

(١٣٧) الطقات، ص ٣٤٩.

(١٣٨) ابراهيم عبد الدافع، نفسه، ص ٧٦.

بعض الرويات عن علماء دمشق، ومنها رواية عن الشيخ محمد بن قشاش وكراماته، وهو الذي نظم المصنوعة في تزيين أصحاب الدائرة في أوّل القرن الحادي عشر الهجري، وله في الشيخ حوجي مراثيه مسهورة وكدّات في التصيّدات. وقد تحدّث في مكان آخر عن الشيخ نذري بن عبد هادي الذي بلغ من التصالح والتقوى حدّاً بولايته ودفع عن حبلوته في المغفرة التي حملت اسمه في أعصى شمال الحنفية. وقد سار سائر عبيد عن مسوئه فكان لعبد هادي ود نذري مكنته أيام الحكم التركي وكذلك لآله محمد من بعده. وقد سار حفيده إبراهيم بن محمد (إبراهيم ود رقية) على سوان آباءه. وقد كان جهده الدواليب في بناء الكدور وتطويرها لا يقل عن جهدهم في الحنفية. فقد نشأوا جامعهم وحلوتهم هناك، وواصل أباء محمد لسيد ولد عبد الهادي شططهم العمى. وكان لمعكي عبد القادر وأسيد وأبائهم من بعده دور بارز في تعميم القرن الكريم وتنقيه الدس أمور دينهم، وإليه ألت خلافة الدواليب، وما يزالون تحت خلافة الفكي أحمد ود عبد القادر يواصلون القيام على مسجد آبائهم ويرعون مع إخوانهم الدواليب جميعاً شئون أسرهم الكبيرة.

شيوخ البديرية

وكان من برل بالحنفية ونوفي فيها ودفع بصيرتها الشيخ محمد بن الفقيه عبد الرحمن ابن الأغش، وكان من كبار شيوخ حركات قور العلم المشهورة. قال ود ضيف الله (أحرى تلميذه لقاضي عبد المعين قل كنا سقراً عبده الميراث في حركات نُموز بلحق سبعين صالاً مكياً معه سبع سنين ماراًياً محجمة رأسه بل دائم متقنع. وقد تفقه على فقيه بلان ولقفيه أبو الحسن وأحد علم التوحيد عن فقيه ساطي وفرح بن الفقيه، والرسالة عند الفقيه عبد الصادق ولد حسيب وأحكام القرن عند أبيه الفقيه عبد الرحمن وتخلّف بعده ودرس القرن وأحكامه. ومن أحد عليه الفقيه حمد ود مدلولون ونفسيه مسكين والشاساني ولقفته مدني أخاه وحسن بعده في حلقاته ودرس بعده حلائق لا تحصى كثيرة وكان نظيره على قدم الورع والتصالح، وكان أطول عمراً من أخيه لفقيه محمد وله من الأولاد الفقيه قمر الدين ولقفيه البار والفقيه الرين، وكان فقيهاً وشاعراً وبه فرسة ونحاسة ودفع عقيرة الخلفاية رحمه الله) ولا بد من متى حضر إلى الحلقة وهل أقام بها إقامة طويلة درس الناس فيها أم لا.

وقد عرفت الحنفية لغش منذ أن سقرت بها فاطمة بنت عبد الله من نسل الشيخ

(١٣٩) الطبقات، ص ٢٧٣.

(١٤٠) نفسه، ص ٣٥٨.

عبدالمالحود حمد البديري الدهشمي نثي هاجرت من كداس على إثر خلاف مع أهلها حول تركه ولدها كذا ذكرنا في مقام آخر. وقد ذكر أن بعض أهلها جاء إلى الخلفاءية وتزوج أحدهم بنتها ومن سبلها الخراج صحوى بن مكوار، وأهله من جهة أمه عوصية من الحوير وقد اشتهرت بخير حلاويها وعلمائها. وكان أهل الخلفاءية كثيراً ما يذهبون إلى ههنا للاستفادة من العلم. وكانت صلة خراج صحوى بأولاد سماحة مغربي ساسا في تهيئة المباح لأنثى سوع درجت قصوى من لعدم مثل الشيخ عوض الله ود صحوى بدى كان فقيهاً مثل أبيه الخراج صحوى وكان كلامهم ممن يجلس مع نقيب الفقهاء في مجلس السراج، وكان ممن عاصرهما وحلّس معهما في مجلس الشرح عند سبورج العبدلات لفقهاء محمد ولد صيف الله ودفع إليه أخوه ولفقيه محمد بن خراج عمارة ومحمد نور بن الخراج عبد الرحمن بن بسد والخراج إدريس بن الخراج محمد تومغار، وذلك حوالي عام ١٢١٤ هـ كما تسجل ذلك إحدى وثائق تملك الأرض التي أصدرها العبدلات لأبناء الشيخ خوجي^(١) وكان لأبناء سماحة الكبير وأبناء أختهم أولاد سماحة الصغر دورهم في نشر العلم والاسلام. فقد كان الفقيه أحمد ود سماحة ود دفع إليه البديري عدداً واسع المعرفة وكذلك الأمر مع حقه لشيخ لريز ود محمد نور قدورد الذي كان يصمم محاسن كبار لغزو وأهل العلم وكانت له صحة مع الشيخ مصطفى ود عمارة ومن ثمارها أن تزوج الخراج الهاشمي لريز من ريس بنت عبد الرحمن محمد ناصر العبدلابه وهي ابنة حالة الشيخ مصطفى ونجب منها الشيخ لريز الهاشمي وكان مجلسه عامراً وكثيراً ما كان يزور الخلفاءية لسيد الحسن الميرعي ويزور على الشيخ مصطفى تلميذه ويلتقى بأهل الخلفاءية. وقد واصل لأبناء ههنا لجهه فكان من أوائل من حفظ نقران على الشيخ شمس الدين الشيخ الربير الهاشمي والشيخ عبد الملك بن أحمد من أبناء البديرية.

علماء آخرون

وقد ضلت خلفاءية مؤثلاً للعلماء من كل حدب وصوب وقد تحدثنا من قبل عن التسريح على ود ثودقر بريل الخلفاءية الذي أقام حلوته قديماً بالقرب من المكان الذي دفن فيه وسبيت المظرة باسمه، وذلك ههنا منطقة تسمى بالرويس، وبدوا أن معظم الخلاوي كانت في ههنا لرويس كما تشهد بذلك أحبار أبي سرور القصي أنثى مرت بها. وكانت حلاوي الشيخ صيف الله بن علي وحلاوي الشيخ حمد السيد بن بلة ههنا أيضاً وقد ذكر رواه الضيفلات أن الشيخ على ههنا رحل شريف جاء من دقلا وماورد

(١٤١) ابوسليم، نفسه، ص ١٢٦ - ٧.

في المسح المطبوعة من أنه سابقى الأم ذكروا أن القرعة الأخرى (سدينى) أو (ساقى) هي لأصبح ، وقد جاء هو وزوجته وتوفيا إلى رحمة ربهم دون أن تحلفا أولادا ، ومضى عاش ماخلفة عديها وتوفى ه احجاج مكى العريب الذى لا يعرف الدس عنه شيئا سوى صرحه القاتم وسطاً اخلفية شرق لشروع رئيسى ومرة ينزك به .

ومن الشيوخ الذين كانوا على صلة كثيرة بالخليفة الشيخ شرف الدين بن عبد الله
العركي بن الشيخ عني تولى المولود بالحزيرة سري، وكان صديقاً للشيخ عبد الله بن
ولقبه صف بن محمد ^(١١١) ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ صالح بن الص
الذي درس على الفقيه عبد الهادي والفقيه ضيف الله بن محمد ^(١١٢) . وقد ذكرنا من
قبل علاقة لشيخ عبد الرحمن ولد طراف المشحى بالخلفاية ومن الذين أثروا في حياة
الخلفاية العلمية والاجتماعية مجموعة الجعليين العوديين الذين نزلوا أولاً شملت فيها
يبدو، وقد رايه لشيخ شكر الله بن عثمان بن مدوي العودي موجود شملت يدرس
مسجد الخلفاية لسنوات طويلة تتلمذ عليه خلالها كثير من الأعلام منهم الفقيه
عبد الدافع، ودفن شملت ^(١١٣) . ومن العودية الذين أسهموا في حياة الخلفاية في هذا
القرن الخليفة عني ود شكر الذي درس القرآن وعرف بالصلاح والنزك وخدمة الناس في
مختلف المجالات.

الرحلة في طلب العلم

صل أهل خلقيته على صلة مستمره بكافة مراكز العلم مشهورة في كل أنحاء السودان . وكانوا يربطون خلاوي دقلا مثلهم فعل الشيخ باري بن عبد افاذي المولود بحماية الملوك والذي قرأ حليل على عمه العقيه صعيرون مثلما درس الفقه أيضاً على العقيه صيف بن علي دحلانية ، والتقى في دقلا سفيقه عبد الرحمن ود حاج فقيه دقلا^{٥٥} ودرس لشيخ حمد السيد بن بلة المغربي الذي تلقى العلم معه في الفحيحة لدى مشيخ عبد الرحمن بن إسيـد^{٥٦} . وكانت الفحيحة من مراكز العلم الأساميـه التي تلقى فيها كثير من علماء الخلعاية علمهم ، ومثلها قوز المطرق أو قوز العلم قرب شدي حيث كان الشيخ صغيرون ود الثرين وأولاده يدرسون القرن لكريم والفقه

(١٤٢) الطبقات، ص ٢٣١-٢٣٠.

(١٤٣) نفسه، ص ٢٩٠

(١٤٤) ص ٢٣٢.

(١٤٥) نفسه، ص ٢١١

(187) 1822

وعن الشيخ صغير بن تلقى الشيخ عبد حليم بن سلطان المغربي مختصر خليل^{١٤٧}
وعن أنه الشيخ الرئيس ود صغير بن تلقى مختصر خليل الشيخ أبو سرور الفضل
، كما تلقى عنه مختصر الرسالة الشيخ صيف الله بن علي^{١٤٨} . وعلى الشيخ
محمد بن الشيخ زين المشهور بالأزرق والمتوفى عام ١١٠٨ هـ تلقى الشيخ دفع الله
الكاهل دروس فقه، وكان من رملاته نفعه سالم بن المجدي وحمد حنيك والفقيه
علي ود صباحي وغيرهم^(١٤٩)

وكانت خوير في دير الجعلين قرب ملتمة مركزاً هاماً من مراكز علماء العوضية
حيث تصدر فيها لندريس الفقيه عبد أرق ود التويم العوضي ، ومن درس عليه
أحكام القرآن الفقيه دفع الله الكاهل^(١٥٠)

وعلى الفقيه علي ود برى درس العقائد أبو سرور لفصلي^{١٥١} . وفي الحرية تلقى
كثير من أهل الحنفية لعلم على فقهائها، ومنهم الشيخ دفع الله العركي الذي تلقى
عليه نعم موسى ود هسوه وحمد بن حميد وموسى الجعي . وعلى الفقيه حميد
المباردي قرب المسمية تتلمذ الفقيه صيف الله بن علي حيث تلقى علوم النعمة
العربية والنحو وسويد . وعلى الفقيه عبد الصديق بن حبيب ولد أبو سليمان الهواري
المولود بأم دوم ، وحفيد الشيخ النذري^(١٥٢) تلقى كثير من أهل الحنفية الرسالة
ومن أخذ عنه الفقيه محمد بن صيف الله^(١٥٣) .

ومن تتلمذ عليه أهل الحنفية الحاج حوخلي بن عبد الرحمن ، وأشهر تلاميذه لفقيه
عبد مدافع و نفعه صيف الله بن محمد و نفعه محمد ولد أس و نفعه عبد الحمود بن
عبد حميد و نفعه موسى أنورية و نفعه النور ولد عبيد و نفعه عمر ولد عبد الحبيب
و نفعه إدريس بن ناصر و نفعه محمد ولد حاج وغيرهم^(١٥٤) . وعلى الشيخ زباب
العقائد أو أرباب حشش وهو أرباب بن علي بن عون بن عامر بن أصبح المتوفى عام
١١٠٢ هـ تتلمذ لفقيه محمد بن صيف الله وغيره من أهل الحنفية ومن تعلموا

(١٤٧) نفسه، ص ٢٩٧ .

(١٤٨) نفسه، ص ٢٤٥ .

(١٤٩) نفسه

(١٥٠) نفسه، ص ٣٥٦

(١٥١) نفسه، ص ٢١٠ .

(١٥٢) نفسه، ص ١٠٥

(١٥٣) الفحل، ص ١٠٨ .

(١٥٤) الطبقات، ص ٢٦٩

(١٥٥) نفسه، ص ١٩٧ - ٨

(١٥٦) نفسه، ص ١٠٠

العمه في مسجد ودعيسى بكتر مع الفقيه إبراهيم عبدالدافع لدى تتلمذ على الفقيه حمد ودعيسى والشيخ خويلد واجتهدت حلاوى الشيخ العبيد بأمر صناد أعداداً كبيرة من أهل الخلفاية، وحفظ كثير من أثنائها القرآن على الشيخ حسب الرسول وحفظته من بعده. ومن فعله ذلك عبد العال حاج أحمد الذى حفظ لقرآن أولاً على شيخه شمس الدين ثم ذهب إلى أم ضبيان ودرس شيئاً في حلوة لشيخ ود بدر وكان بدر شيخه. وحفظ لقرآن بأمر صناد أعداد كبيرة من أساء الخلفاية منهم محمد ود حامد ونور الدين أحمد وابو الحسن وحاج الحسن محمد عدس ومحمد ودفع ليه عبدالملك والخبوي وعمر خويلد الأمدى وغيرهم كثيرون.

وكانت حبرة الفكي الأمين ود أم حقين بالخربرة إسلاخ أيضاً قلة للدارسين. كما كانت حلاوى جعنين شهر عرب مسرمات التي كان يدرس فيها الفكي الحبيب ود خويلد. وكذلك حلوة الفكي هاشمي ود عبدالنور الذي سميت قرية الفكي هاشمي باسمه وكان قد درس على الشيخ الأمين ود أم حقين، ومن درس في حلوته الحسن ود أحمد لاجيمر واشريف أحمد عالب والخليفة الحسن الأسد ومحمد على ود بكر وصالح محمد لداروتى. وقرأ عبدالخير القرآن على الفكي عبدالله الكردى ود الفكي الأمين ود أم حقين.

ومثلما اجتهدت هذه لمركر أساء الخلفاية، فإن حلاوى الخلفاية ومساعدتها قد اجتهدت لصلاب من كل حدب وصوب مثلما رأينا في أيام دفع الله الكاهل وعبدالدافع وشيوخ الصيفلاب وأساء لشيخ عمارة وشيوخ المغاربة والمديرية وغيرهم

فمن درس نرساله على الفقيه عبدالخدي، وخويلد على الفقيه صيف الله بن عى، نفقيه عبدالرحمن بن الشيخ صبح بن نافذ، وكان من كبر عتقاء زمانه (ود ١١٢١هـ/ ١٧١٠م/ وتوفى ١١٧٧هـ، ١٧٦٣م) وكنت له خزائن يحفظ فيها كتبه لثنى يشترى من مصر والنجار^(١٥٨) وقد رأينا كيف أن الشيخ دفع الله العركى بعث به عبدالله وولد إبنه الأمين للاقراء في مسجد الخلفاية على الشيخ حمد بن حميدان^(١٥٩). وكان أولاد الشيخ عبدالرحمن ود طواف الذى سكن مونا يدرسوا في مسجد الخلفاية عند الفقيه مسيد^(١٦٠)، وقد تزوج بعضهم من الخلفاية كما يشهد على ذلك سبب الكريقات وغيرهم من المشايخ. وقد درس الفقيه محمد بن عى بن ساطى بن

(١٥٧) تاريخ ملوك السودان، ص ١٣.

(١٥٨) الطيفات، ص ٢٩٠ - ١.

(١٥٩) نفسه، ص ١٥٣ - ٤.

(١٦٠) نفسه، ص ٢٦٤.

الفقيه أرباب الخشن في الحلفاية فقرأ القرآن على الفقيه عبدالدافع والفقه على الفقيه حمد السيد بن دلة والفقيه ضيف الله بن محمد^(١٦١). وكان ممن حفظ القرآن بالحلفاية على الفقيه دفع الله بن ربا الكاهلي الفقيه داوود بن محمد بن داوود بن الشيخ حمدان المولود بالكترة بالجزيرة والذي عمل بالتجارة بعد دراسته ثم تركها وتصفو ولبس جلود الضان حتى سمي بأبي فراو ولم يخلوته وذكره فكان لا يخرج إلا ساعة يسيرة بعد صلاة العشاء، وكان له شفاعاة وجاء وأعتقدت فيه سلاطين زمانه وخصوصاً شيخ الحمج وريرهم الشيخ محمد أبو لكيك الذي كان يشوره في جميع أموره^(١٦٢). ومن تتلمذ على الشيخ ضيف الله بن محمد الشيخ هحيو بن الفقيه سالم الماجدى وتحنف في مسجد الماجدية بعد وفاة أخيه الفقيه محمد بن سالم الماجدى وبعد وفاته ماتت نار التلميس في ذلك المسجد بموته^(١٦٣).

والواقع أن رحلة لعلم لم تقف عند حدود السودان، فإن عدداً من علماء الحلفاية لم يكتفوا بالمصادر المحلية بل ذهبوا الى خارج لسودان معلمين ومتعلمين، وقد رأينا من قبل رحلة أبى سرور الفضلى الى دارفور وإلى وداى حيث تولى هناك وقد ذهب عدد كبير منهم إلى مصر طلباً للعلم في الأزهر منهم لشيخ محمد على ود بابكر الهنوبابى وعمر ود حاج محمد ود إدريس الهنوبابى الذى قرأ على الشيخ ود البدوى والشيخ إسماعيل الأزهرى بالأبيض، وذهب الى مصر للعلم وتزوج وأنجب ابنة تزوجت فيها بعد.

ومن المشايخ الذين ذهبوا للأزهر المثلث وطه أبناء الشيخ مصطفى ود طه ود عمارة، ومن لدفاعاب الذين تعلموا بالأزهر الفقيه عبدالرحمن محمدنور الأسد. ويروى المغارة أن حدهم الفقيه عبدالقادر بن أحمد بن محمد بن عبدالقادر سافر لاسطنبول في طلب العلم. ولا بد أن هناك كثيرين لم تصلنا أخبارهم قد رحلوا يطلبون العلم في الآفاق.

بعض المبدعين المحدثين

حفلت الحلفاية كما رأينا طوال تاريخها بالعلماء والفقهاء والمؤرخين والشعراء والأدباء وغيرهم من المبدعين، ولا يكتمل الحديث عن الحياة العلمية والثقافية للحلفاية دون إشارة لبعض هؤلاء، ومن المؤسف أن ما حفظ من تراث هؤلاء القوم لا يكاد يذكر،

(١٦١) نفسه، ص ٢٤٧، ابراهيم عبدالدافع، نفسه، ص ١٢٠

(١٦٢) الطبقات، ص ٢١٣ - ٤.

(١٦٣) نفسه، ص ٣٦٩.

ومن هؤلاء الشيخ الزبير ود خليفة حفيد الشيخ الزبير محمد نور وكان عالماً بالفلك والنجوم والأسباب والتاريخ، وقيل إنه كان يسجل قدراً كبيراً من تاريخ الخلافة ولكن أوراقه لسوء الحظ ذهبت مع الزمن ولم نعتز عند أبنائه على شيء من ذلك. ومن كان يهتم بالتاريخ الشيخ أحمد الهندي والشيخ أبو الحسن ود ضيف الله وعكاشة عبد الله، ومن اهتم بالأنساب عدد كبير من أهل الخلافة تخصص كل منهم في نسب أهله مثل الشيخ عثمان الخليفة علي بابكر والشيخ محمد سعيد عبد الله، والشيخ إدريس محمد أحمد، والأمير هنونة وعبد الرحمن الحسن الإحيمر «اللغا» والأستاذ الشيخ حاج الحسين الدعيتابي، والشيخ الربير الهاشمي والشيخ الزبير خليفة والشيخ عبد الملك أحمد واللواء حامد باشا صالح والعوام نمر وطه الملك والشيخ عبد الرحمن الرشيد وغيرهم. ومن الواضح أن شعراً كثيراً من شعر العبدلاب والشايقية في الفروسية والبطلولة قد ضاع بضائع شعرائه وشواعره من أهل الخلافة. ومن الذين اهتموا بجمع الشعر عامة أحمد علي بشير وعبد القادر شيخ إدريس.

وقد ظهر خلال هذا القرن عدد من فحول الشعراء والشواعر خاصة في مجال الشعر الشعبي مثل الشيخ الأمين هنونة والشيخ أحمد موسى النقرابي وفضل الله ود إبراهيم وأحمد ود متونة وحسن الأرباب، ومن الشواعر العازة بت محمد ود دليل وعدد من شواعر الشايقية. ومن الذين كان لهم إبداع في مجال الشعر الصوقي والمدائح النبوية الشيخ مصطفى الملثم الذي ألف عدداً كبيراً من القصائد في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وآل البيت وفي الرثاء والتهاني وغير ذلك، وقد جمع أبناؤه ديوانه وبعثوه للطبع. ومنهم الشريف قاسم أحمد الذي حصص قدراً كبيراً من ديوانه الشعري لمدح آل البيت وبالذات المراجعة. وقد جمع أبناؤه ديوانه لطباعته بإذن الله. ومن الذين تفخر بعقريتهما الخلافة الأستاذان إدريس جماع ومحمد محمد علي، ولكانتها السامية في عالم الإبداع سنقردها الجزء الأخير من هذا الفصل.

والواقع أن الخلافة مليئة بالمدعين والعلماء مد الله في أعمارهم مثل الشيخ عوض الله صالح والشيخ الطيب الهندي والشيخ عثمان محمد عبد الرحمن والشيخ حسن عثمان والشيخ عثمان إبراهيم فضل السيد والأستاذ عبد القادر الشيخ إدريس والأستاذ عبد الرحمن الحسن الأسد والقاضي أحمد مصطفى الملثم والشيخ عبد الرحيم محمد الحسن والأستاذ عبد الوهاب محمد نور والأستاذ أحمد عبد العال أمد الله في أعمارهم، إذ لم نتناول في هذا الكتاب إلا من توفاه الله.

إدريس محمد جماع^(١٦٤)

ولد بحلفاية الملوك عاصمة أجداده ملوك العدلاب عام ١٩٢٢م، والتحق في طفولته بحلوة الفكى محمدنور إبراهيم ثم مدرسة حلفاية الملوك الأولية عام ١٩٣٠م، وفي عام ١٩٣٤م التحق بمدرسة أمدرمان الوسطى، ولكن ضيق ذات اليد حال دونه والمضى في الدراسة إذ عاقته مصر وفات الدراسة فترك المدرسة بعد شهرين، والتحق بكلية المعلمين بسخت الرضا عام ١٩٣٦م وبعد تخرجه عين مدرساً بمدرسة تنقسي الجزيرة عام ١٩٤١م ثم نقل إلى الخرطوم الأولية عام ١٩٤٣م وبعدها إلى حلفاية الملوك الأولية عام ١٩٤٤م. وقد تتلمذ عليه ونحى في السنة لراعاة، وكان طموحه العلمى يجور كل الظروف العسية التى أحاطت به، ومن ثم فلم يتردد في الاستقالة من المعارف السودانية وهاجر إلى مصر على نفقته عام ١٩٤٧م حيث التحق بمعهد المعلمين بالزيتون، وكان من النصح بحيث نقل مباشرة إلى السنة الثانية، وفي نفس العام التحق بكلية در العلوم بعد أن اجتاز مسابقتها، وفي عام ١٩٥١م نال شهادة الليسانس في اللغة العربية ودانها والدراسات الإسلامية، وفي العام التالى التحق بمعهد التربية للمعلمين وبالن شهادة الدبلوم ورجع إلى السودان عام ١٩٥٢م حيث عين بمعهد التربية بشدى. وفي سنة ١٩٥٥م نقل مدرساً بمدرسة الستين بسخت الرضا، وفي العام التالى نقل إلى مدرس الخرطوم الثانوية ثم إلى مدرسة الخرطوم بحرى الوسطى. ويقدر مكن الحزء الأول من حياته جهداً متصلاً في سبيل العلم وفي خدمة الناس. إسهاماً في التعليم ومشاركة في الحياة الفكرية والشعرية، فإن الجزء الأخير من حياته كن نموذجاً حياً لمأساة الفنان حين تصطدم شفافيته ورقة مشاعره بخشونة الحياة وعظمتها فيتمزق بين إنسيته الصادقة المرهفة التى لا تملك إلا الحب والعطاء وبين واقع تتكالب فيه لموس على فتات الدين وتضطرع المصالح والأهواء فيتراجع الخير ويتقدم الشر ولا يظفر أمثال شاعري بغير الحسرة والحرقة، فيطوون على أنفسهم، بعداً عن حياة أخلصوا لها الود، ومنحوه دوب نفوسهم، فصدمت مشاعرهم وأذت إنسانيتهم.

عرفها جماع ونحى في آخر مراحل دراستها الأولية بحلفاية الملوك، وكان هو ورفيق صبه الأستاذ أحمد عبدالعال عبد دافع لوناً فريداً من المدرسين الجدد الذين فتحوا عقولنا العضة على ضروب من انشراط الفكرى والفنى كان لها أبلغ الأثر في حياتنا كان جماع أديساً شاعراً، وكان أحمد أطل له بقاءه فناناً ماهراً، فتعلمنا منها ما لم تسعها به المواد الكثيرة المكرورة التى كنا نوليها بالحفظ والترديد، فأشانا بأشرفها

(١٦٤) أنظر جدول الانساب رقم (٥٣).

أول صحيفة حائطية بالمدرسة كان يكتب فيها من يكتب ويرسم من يرسم . وكان جماع عليه الرحمة ظاهرة إنسانية وفكرية في سماء حيات الصغيرة تلك . سطر ابيه برعجاب وتلقى عنه في حماس وندھش لتواضعه الجلم وحساسيته المفرطة . وعاب بعد ذلك عن حلفديه الملوك وعن السودن سوات لمواصلة الدراسة في مصر ورجع عم ١٩٥٢م لبحرط في مهنة التعليم في مختلف المعاهد والمدارس .

وكان جماع رحمه الله عالمين في شخص لا يدل مظهره على مخبره لم يراه لأول وهلة . فقد كان حبيب بالغ التهذيب فيه انطواء ، ولعل عالمه الداخلي المشحون بالرؤى المرحوم بالصور والأفكار قد استغرق حل نشاطه . فكنت تراه ساهما متأملاً وقد ينصرف أحيانا بكلياته الى هذا العالم الباطني النشط يستوحيه فناً أصيلاً برز في شعره الانساني الرقيق الذي لم يسجل منه إلا قدراً يسيراً ظهر في ديوانه المنشور «لحظات باقية» . وهو بقدر ما كان مصرفاً الى عالمه الداخلي ، كان منفتحاً على عالمه المعاش ، تصويراً للديع صنع الله فيه ، زهراً وشجراً ونهراً وبشراً ، وتعبيراً عن قضاياه ، انتصاراً للخير وهريمة للنشر . وديوانه تعبير أصيل عن شفافيته الفائقة التي رسمت لنا بالكلمات صوراً صادقة جميلة لمظاهر الطبيعة في بلادنا ، وأبرزت بحلاء حسه الوطني الذي كاد يغلب على ديوانه تمجيداً وتغنياً بأجاده وإذكاء لروح الثورة في نفوس بنيه ، ذوداً عن حياضه ، وممازلة لأعدائه من المحتلين والمستعمرين . ولم يكن في نظريته القومية محصوراً في وطنه بل كان دائم الربط بين كفاح أهله في السودان وكفاح أمته الكيرة في العالم العربي . وديوانه فوق ذلك ملء بمأسى الحروب التي تدمر الحياة وتصنع الطعانة وهو أيضاً ملء بحب الحياة وجمالها ، وكان يؤمن بأن الحياة هي الشعر والشعر هو الحياة . وحتى حين يتحدث عن مأساة حياته ، وذلك قليل جداً في ديوانه هذا الذي ظهر في أواخر الخمسينيات ، لا نسي حبه للناس وللإنسانية . وقد عادر ديواننا هذه العابية بعد أن ملأها أملاً وحباً وجمالاً وإنسانية ، وملأته حشوداً وبأساً وضياءً ، وما كان يريد منها الكثير . وهو وإن مات منه الجسد حي في وحدان أمته ، وهو مثل رفيق صباه وذو رحمه وابن خالته صاحب (الحان وأشجان) و(ظلال شاردة) المرحوم محمد محمد علي ، كلاهما حي في حياتنا بما قلما من خير لأمتها وللإنسانية من فيص القلوب وحكمة العقول وذوب المشاعر ، وما أحران أن نرعى آثارهما غير المشورة نجمعهما من مظانها ومن روايتها وفي ذلك خير تكريم لذكراهما عليهما رحمة الله ورضوانه .

ولد محمد محمد علي بحلفاية الملوك عام ١٩٢٢م، وعاش بين رفاة وحلفاية الملوك وتلقى تعليمه الأولي بينهما. وتخرج من معهد أمدردان العلمي عام ١٩٤٥م، وارتحل الى القاهرة حيث حصل على ليسانس دار العلوم من جامعة القاهرة ودبلوم معهد التربية بجامعة ابراهيم، وعمل بالصحافة في السودان بين عامي ٤٥ - ١٩٤٦م، واشتغل بعد رجوعه من القاهرة بالتدريس، فكان أستاذاً للغة العربية بمدرسة وادي سيدنا الثانوية، وقد درسنا الأدب ونحن بالسنة الرابعة عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣م، ثم عمل محاضراً بمعهد المعلمين العالي بأمدردان. وكانت رغبته في مواصلة السير على الطريق الأكاديمي الشائك ملحة وغامرة، فتمكن رغم ظروفه الصحية والعائلية من إحراز درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وكانت رسالته عن «الشعر السوداني في المعارك السياسية ١٨٢١ - ١٩٢٤م» وقد حازت تقدير الامتياز. وكان رحمه الله يعد العدة، قبل أن يدهمه المرض، لانجاز رسالة الدكتوراه متبوع موضوع رسالته السابقة من عام ١٩٢٤م حتى مشارف الاستقلال، ولكن القدر الذي لايرد وضع حداً لكل هذا الطموح الثواب، فأخلد القلب الشاعر في عشية السابع والعشرين من رجب، ليلة الإسرائء والمعراج، الموافق الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠م، الى سكون الأبد، الى جوار رب لا يضيع أجر العاملين.

وكانت حياة شاعرنا سلسلة متصلة من الجهد الذي لايفتر، وهي في ذلك صورة صادقة لحياة بلاده التي أعجزها التخلف والفقر ثم أضاف اليها المستعمر قيدا الى قيد فكان الملايين من خيرة شبابها يذوون تحت وطأة الفاقة والجهل وانعدام الفرص، ويذهبون عن الحياة ولما تتفجر الطاقات الكامنة التي أودعها الله قلوبهم وعقولهم. ومن هذه الملايين قلة لا تستكين لظروف وجودها القاهرة فتتحداه وتخرج عليها، فتفتتح براعمها رغم ظروف الجذب والفصل المحيطة بها، فهي بمثابة ذلك النبت «البروس» الذي ينمو دون إرادة أو رعاية من أحد، والفضل كل الفضل يرجع اليه وحده، وهكذا كان شاعرنا صانع حياته ويأني شخصيته، فهو إذ أبت عليه الحياة الولوج من بابها الكبير: باب الحياة الدينة في الأسرة والفرص في تعليم نظامي حديث يهيء له ارتقاء معارج يتخطاها من دونه وثباً، لم ييهظه الجهد ولم يفت في عزمه رحمه البطيء ودورانه الدائب وراء أسوار الحياة يبحث عن المفذ وقد أبت عليه الأبواب. فأسرته القروية سواء في ضواحي رفاة حيث أهل والدته العبدلاب أو حلفاية الملوك حيث أهل والده الضيفلاب، محدودة الموارد ضيقة الحال، ولعلها نظرتها المحافظة -

وهي أسرة عريقة في التدريس من جانبها - لم تكن ترى في غير التعليم الديني خيراً، وفوق ذلك فتكاليف التعليم المدنى كانت عقبة كأداء في سبيل مثله من أبناء المعدمين.

وقد كانت لشاعرا روح ثائر متفتح على الحياة رغم تقاليد محيطه المحافظة، ولذلك كانت مرحبه در سنه بمعهد أمدرمان العلمى تحرة فدة لا بها أكسته من معرفة علوم اللغة والدين، فذلك رشيد لاينكر في حساب تكوينه العقل، ولكن بما شحذت من فواه الفكرية، وبما أذكت من روح الثورة المتأججة بين حواشيه. فكان رغم إفادته الكبرى بمحيدرس في المعهد ساخط على أسلوب التدريس وحموده، دائم النعي على روح المحافظة والتقليد التي تلف مناهجه بسياحها القوي، وكان دائم التطلع الى خارج أسوار المعهد. الى الحياة الحية في الخارج ينهل من معينها ويحبل في جوانبها لنظر، ويعمل فيها ذهنه الثاقب، ولم يكن يكتفى بما يتلقاه في المعهد، بل كان يجد الإشباع لنهجه العقل في الخارج أيضاً. ويكفى أن ينظر الإنسان في كتابه (من حيل الى حيل ١٩٤٥ - ١٩٤٦م) وهو مجموعة مقالات كتبها في الصحف السودانية خلال هذين العامين، ليحس بالذكاء اللهاج الذي وهه الله محمد محمد على، وليحس بثقافته الغنية، واتصال هذه الثقافة بحياة المجتمع وحياة العصر، وليحس بثورته العميقة وحاسته السديدة الذكية، فهو يتحدث عن مختلف القضايا الدينية والحضارية والثقافية في عمق وإدراك، وفي كتابه (محاولات في النقد) الذي نشره عام ١٩٥٨م ليضم بين دفتيه مجموعة من المقالات نشرها في الصحف السودانية بين عامي ١٩٥٢ و١٩٥٨م يسدو في أبلغ صورة قوة عارضة وعمق ثقافة وإشراق بيان. وقد شغلت مقالاته المشهورة في تلك الأيام جمهرة المثقفين وقراء الصحف، من مثل جدله الذكي مع الدكتور النوبهي حول المرأة الذي لم يصبه هذه المجموعة، وجدله الآخر معه حول قومية الأدب لسوداني وقومية الأدب عامة الذي كاد يستغرق ثلث الكتاب. والكتاب في حملته صورة حية لذكاء مؤلفه وحنه وروحه ومسطقه الذي كان دوماً طوع وإرادته. وما أمتع تلك المناظرات التي كنا نشهدها ونحضرها طلبة بالمدرسة الثانوية والتي كان فقيدينا يضيئ عليها الكثير من ذكائه وسحريته المحببة وعلمة الوفير

وبحن الذين أسعدتنا الظروف بالنلمذة عليه في مرحلة حاسمة من مراحل تعليمه، نكن له الاعجاب والتقدير. فلم يكن الرجل مدرساً للأدب فحسب، بل كان فناناً شاعراً في تدريسه، ذواقة مرهف الحس في تناوله النصوص، فكان درسه متعة للقلب والشعور قبل أن يكون غذاء للعقل والفكر. وكان في فضل عقله المتوقد وقدرته الفائقة على الملاحظة وسرعة بديته، معين لا يصب يرفد حيويته الدافقة ويشد

انتباهك اليه شداً. وكان يعيش الأدب بقلبه وعقله فيطبعك منه على أجل الصور وأعمق المشاعر وأدق المعاني، فحبب الى طلبته قراءة الشعر وتلئى صورته واستبطن معانيه، وهذا أكبر فضل لاستاذ على طالب.

وكانت ثورته الواعية على كثير من مظاهر التراث العربى وطرق تدريسه، مثل منهج النحو والبلاغة فى المدارس وجفاف النصوص وغير ذلك مما تحدث عنه فى نشره وشعره دعوة ملخصة الى تلاميذه لإعمال أذهانهم فى هذا التراث بغرض ربطه بحياة العصر واطراح مالا يقوى على الحياة منه. وكان حياته كلها عدواً للتقليد، داعية للابتكار ثائراً على الجمود والتصبب، فاتحاً قلبه وعقله لدفق الحياة الزاخر فى وعى وبقطة.

وكان هذا أيسر بضاعته. فالرجل قبل هذا وذاك شاعر له فى رياض الشعر أزهى مكان. ولعل مفتاح شخصيته وجماع أمره يكمن فى شاعريته. فكل هذه الصفات التى أسلفنا القول فيها من ذكاء لمّاح ورهافة حس وبديهة حاطر وحاسة نافذة وانفتاح على الحياة وحيوية دافقة وثورة على كل قيد يشل حركة الانسان عن مسيرة التقدم، كل ذلك من أدوات الشاعر الحق الذى وهبه الله ملكة الخلق والابداع فعاش حياته بكل حواسه، وخلف لنا حصيلة تجربته فى ومضات مشرقة ترسم بنبضاتها مشاعر نفس حزينة تصطبرب بين اليأس والرجاء يشرق فى جنباتها الأمل فيغرقه فيضان غامر من الأسى والشجن والاحساس بالشقاء، وهو يسعى جاهداً للتسامى على هذا الشعور الطاغى فيطامن منه بالاغراق فى الإيوان حيناً، وبالتأمل فى جمال الطبيعة فى معظم الأحيان. ولكن ذلك الهاجس الدفين لا يفتأ يهدر فى جروته وطغيانه. وهويرى فى الأسى والشجن قدره، ولذلك فهو لا يتبرم به ولا يسخط عليه، بل يحن اليه أحياناً. هو حزن رقيق يلف وجوده بغلالة رقيقة نسجتها ظروف حياته الغلظة المليئة بضروب من المكدرات لم تحل بيه وبين كثير مما تصبو اليه من إمتاع للجسد والروح. ولذلك فلم يكن سوداوى النظرة بل كان قرير العين يحظه من دكاء القلب وبقطة الشعور. وهو وإن كان كثير الشكوى من ظلم الأيام والناس له، إلا أن ذلك كان دائماً موصول السبب بالظلم الكبير الذى حاق بقومه خلال القرون.

والواقع أن كثيراً من شعره المنشور فى ديوانه الاول (ألحان وأشجان) المطبوع عام ١٩٦٠م والذى ضم قصائد تتراوح بين عامى ١٩٣٦ و١٩٦٠م نشيد شحى يعبر فيه الشاعر أبغ تعبير عن حبه لوطنه ودفاعه عنه، وهو لا يقف بهذا الوطن فى حدود إقليمه الصغير فى السودان، بل يمد آفاقه ليشمل وطنه الكبير فى العالم العربى. وهو أبغ ما يكون حديثاً وأعذب صوت حين يتحدث عن طبيعة بلاده، ويربط مشاعر نفسه

بمظاهرها الأسرية، فهو يرى فيها امتداداً لذاته ويحس في تصويره لها نشوة السعادة الغامرة فكأنه وهو يرسم بالكلمات فعل هذه الطبيعة الجميلة في أعماقه يقيم ميزاناً للتبادل بين نفسه وبين عالمه الخارجى، فيحقق بذلك الانسجام والتلاؤم بين الإنسان والبيئة، وذلك مصدر من مصادر السعادة وتحقيق الذات لا يتيسر إلا لمن أوتى منفيض الاحساس وعمق المشاعر حفظاً عظيماً. وقد قمتُ بجمع بعض شعره الذى لم ينشر من قبل وكان ينوى إصداره فى ديوان سماه (ظلال شاردة) وصدر الديوان عن دار نشر جامعة الخرطوم عام ١٩٧١.

القسم الثاني

حلفاية الملوك: البشر

● قال تعالى :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾
«الحجرات الآية ١٣»

● وقال تعالى :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ .
«النساء الآية ١»

● وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم» .

(١)

الهَوَارَةُ الهَنَوَانُ

محمد هنونا (الهواري الذنراوي)

موسى ود هنونا

(الطبقات من ٩٥١ - ٩٩٠)

زيت

ترويح من الكهف
(الطبقات من ٩٩٠)

موسى

١ الطبقات من ٩٣٥
ترويح من الكهف
بت الشيخ عبد
القادر الحبر
ود الشيخ دوسر
الاسباب

زيت

روحة سيد الله
من محمد
* (٩٤٤)

محمد شور
صاحب الطبقات
١١٢٩ - ١١٩٤ هـ
١٧٤٧ - ١٧٨٠ م
* (٩٧٠)

فالممة

ترويح من محمد

ود محمد

عبد الدافع

* (٨٨٨)

(الطبقات من ٩٨٨)

دفع الله

الضاهلي

(٧٨٠ - ١١٤٠ هـ)

الطبقات من ٩٤٤

ادريس

ترويح من معاهدة المغرب (٧٢)

دفع الله شابوش

ترويح من بيعة بيت الدليل ود الشيخ عبد المغرب (٥٦)

قزارية

هنونا

(٩٨)

شكر الله

* (٤٠)

حنو

* (١١٠)

ادريس

* (٧٠)

حسن

آل بيضا

ود البشير

١٢١

نور الدين

* (١٠٠)

زينب

روحة أحمد ود

المعريف

* (٧١)

دفع الله شابوش

روية أخرى وحدناها في آخر صفحات مصحف طعة يعمن الشيخ

دفع الله شابوش مكتوب فيه مايلي :-

كان مالك هذا الكتاب الحاج دفع الله بن ادريس بن حلو

(ابن عيسى بن هنونة بن عيسى بن محمد الذنراوي النسب

ذنراوي هواري والمذهب مالكي - وهذا الكتاب وقف الشيخ

محمد أبو كليلك اللهم أحسن عاقبة أمره في الدنيا والآخرة

أمين يارب العالمين

أنتظر هذه الوثيقة في ملاحق هذا المصنف -

هذه الأرقام بين القوسين تشير إلى أرقام جداول النسب

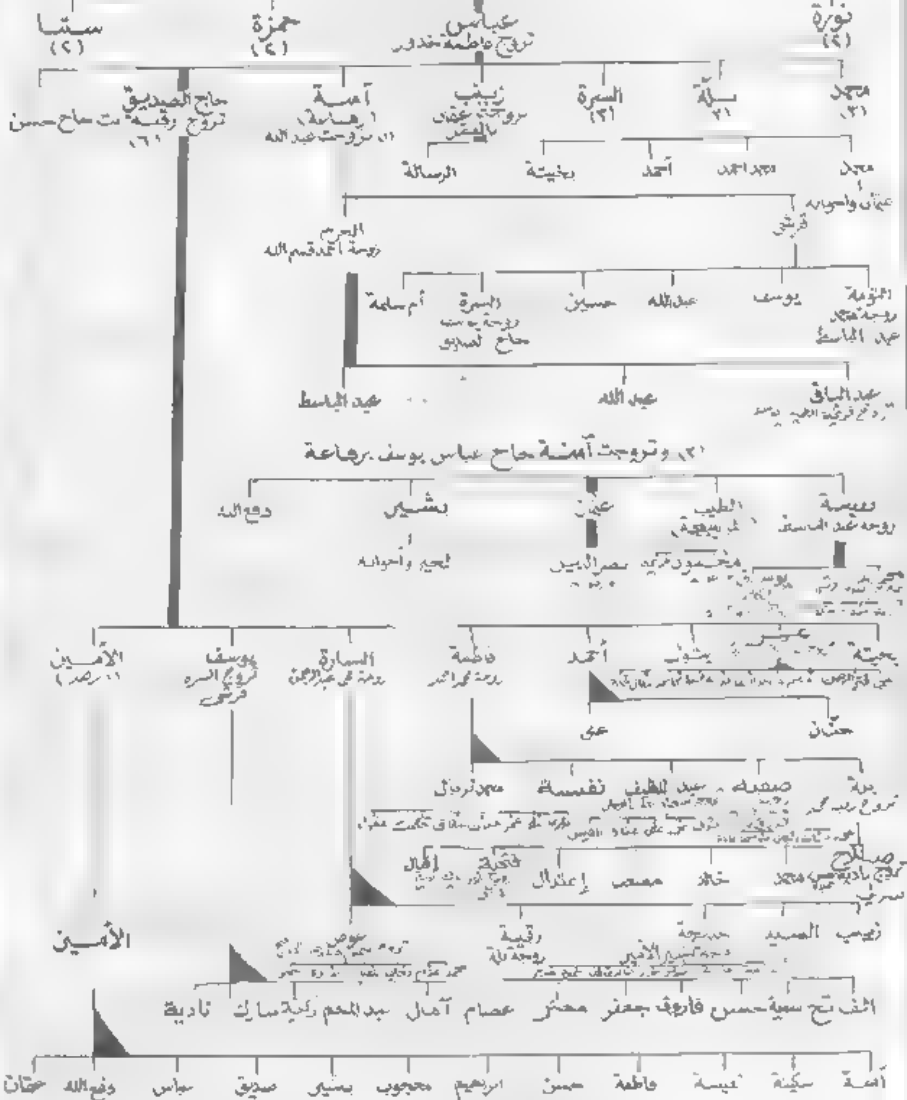
وهي أرقام مستقلة .

(५)

انصاور و د شکر الله



(٤) الهوارة الخوناب أولاد حاج عباس (رفاعة) حاج أحمد



(5)

رقية	شكر الله	فاطمة	حاج أحمد	آمنة
(١٥٣٢) ات	(٤)	(٤)	(٤)	(٤)
(١) شروحت بابكر ووالاهين				
(٦)				
حاج حسن بسانكر				
تزوج فاطمة بنت العارة				
(٦)				
			(١) وتزوجت رقية محمد عبد الحادي ناري (٤٦)	

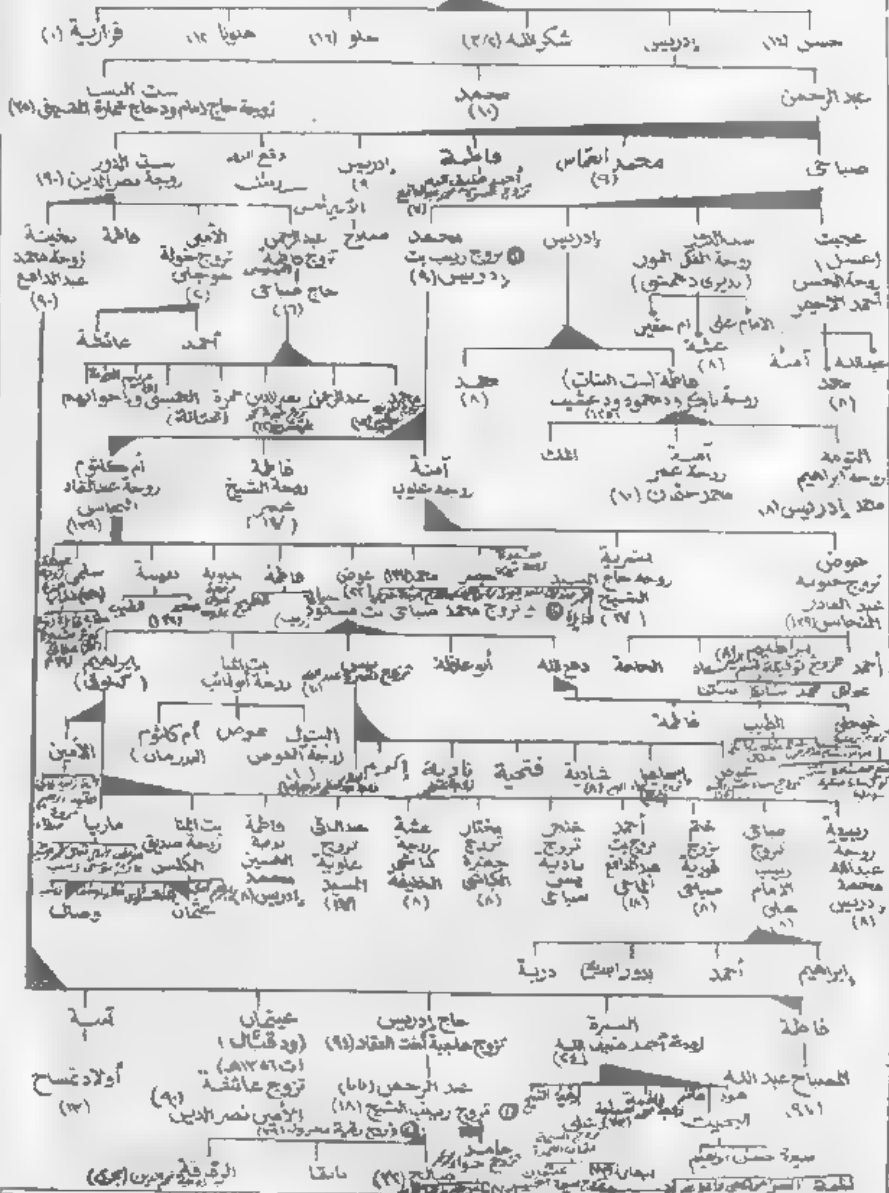
عشمة
روحة صاحب مآثر و ذاد ريس
والد ساحة و طمة ٩١
(الحمد لله)

[illegible][illegible]

109

الْفَوَارَةُ الْمُنُونَاب

دفع الله شره وشر



(A)

حس ۱۶ رد ریزین شکی الله (۱۷) مایو (۱۸) هفت ۱۹ خریبه ۲۰



القبيلة الشونانية

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

ولد من شونان

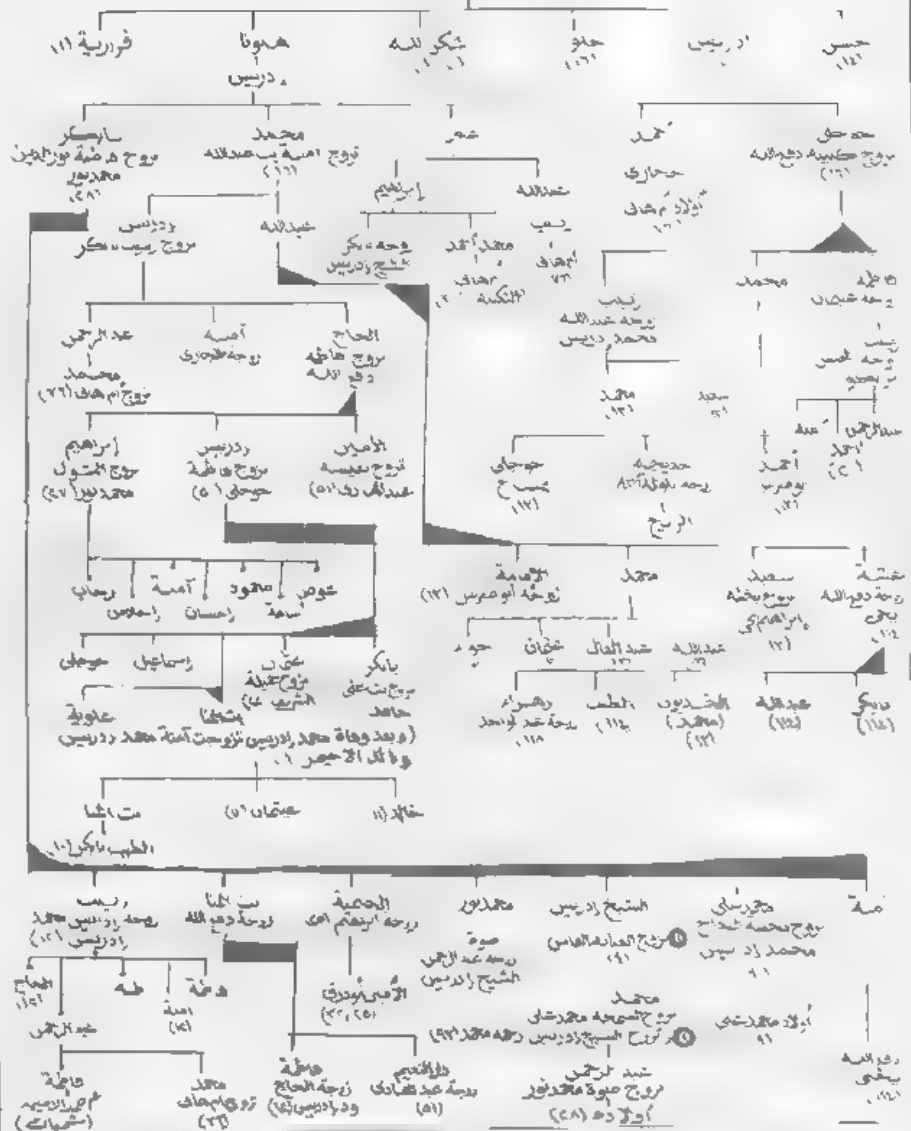
ولد من شونان

ولد من شونان

الْفَوَارَةُ الْهَنُوءَاب

وَأَمَّا زَيْنَبُ فَتَمُوتُ فَتَكُونُ الصَّعْبُ

دفع الله سبحانه وتعالى



(١٣)

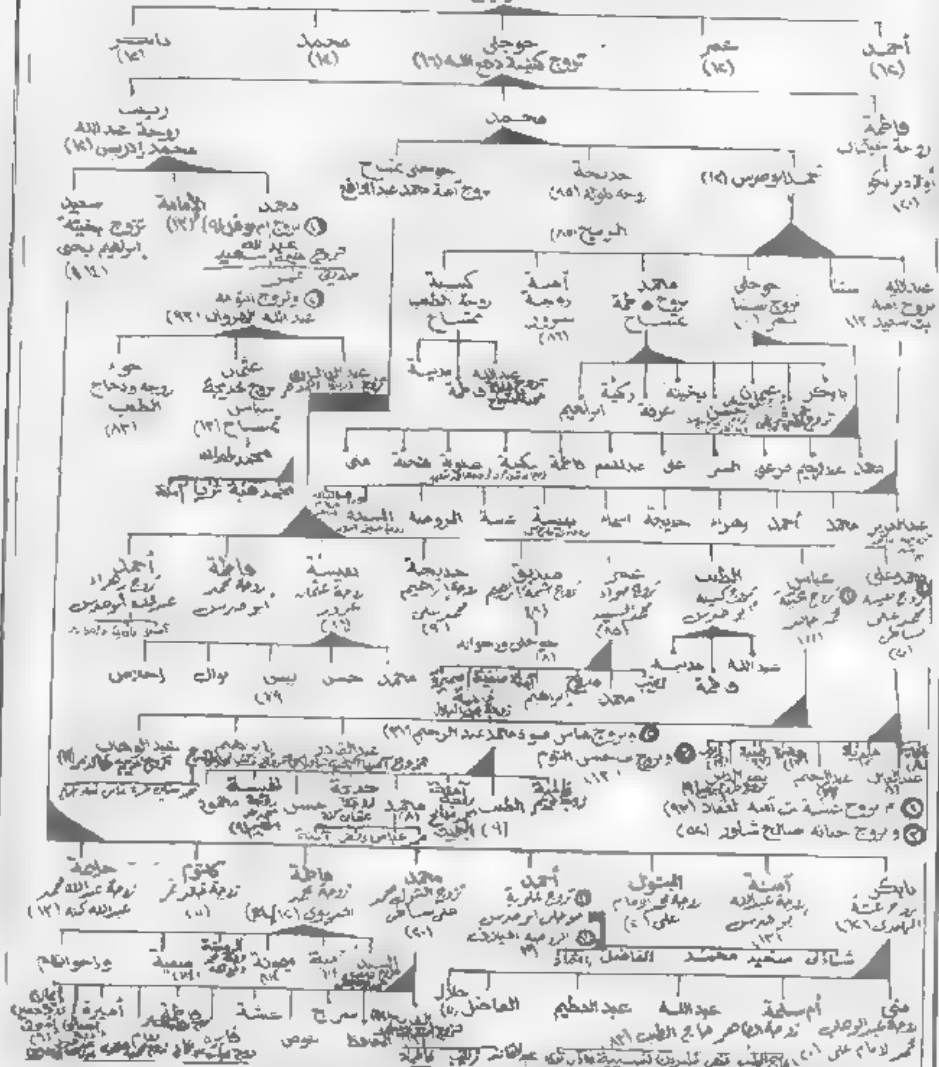
الهجرة النبوية

اولاد سعيد و يونس و عساح

دع الله شاوش

حنونا الصمد

أدرين



(١٤)

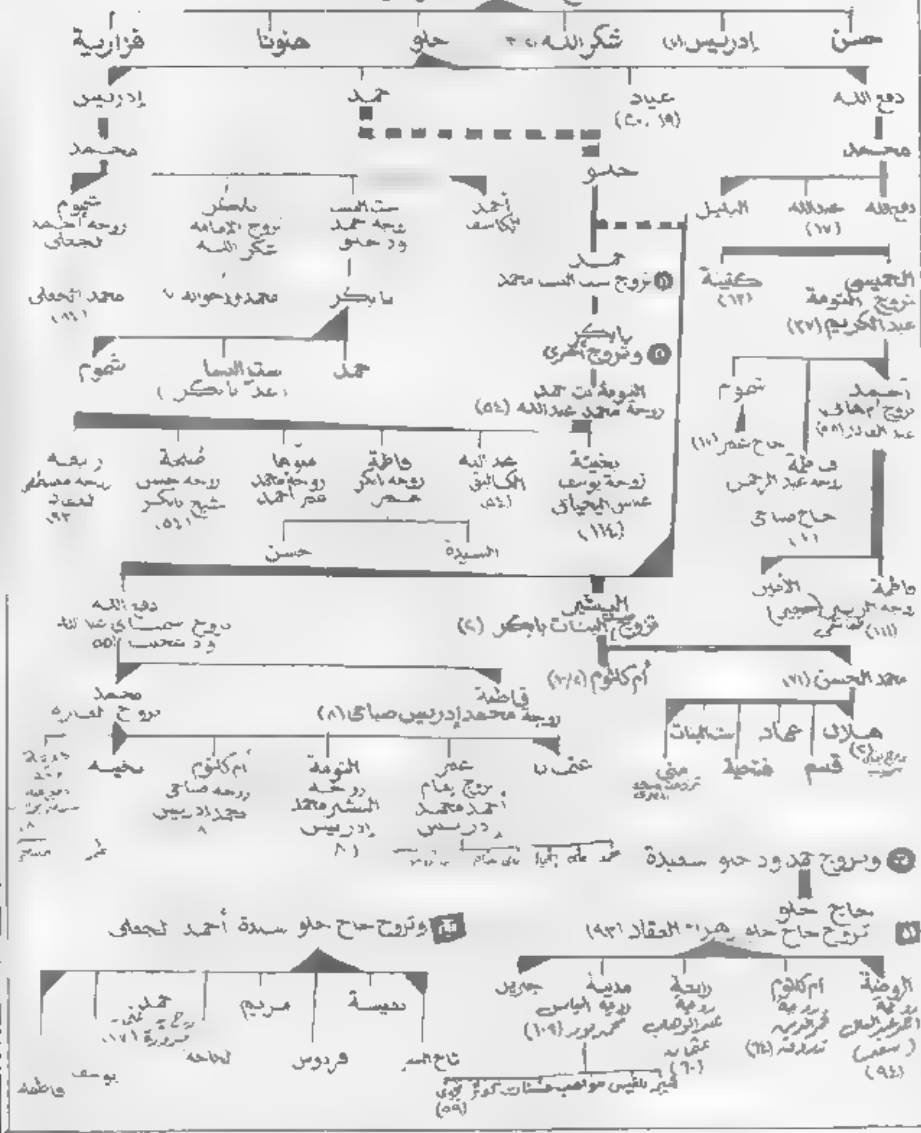
المَوَارَة الهَنَوَان

أولاد بَانَقَا
دفع الله شابوش



(17)

أولاد حلو
دفع الله شابوش



العقوبات

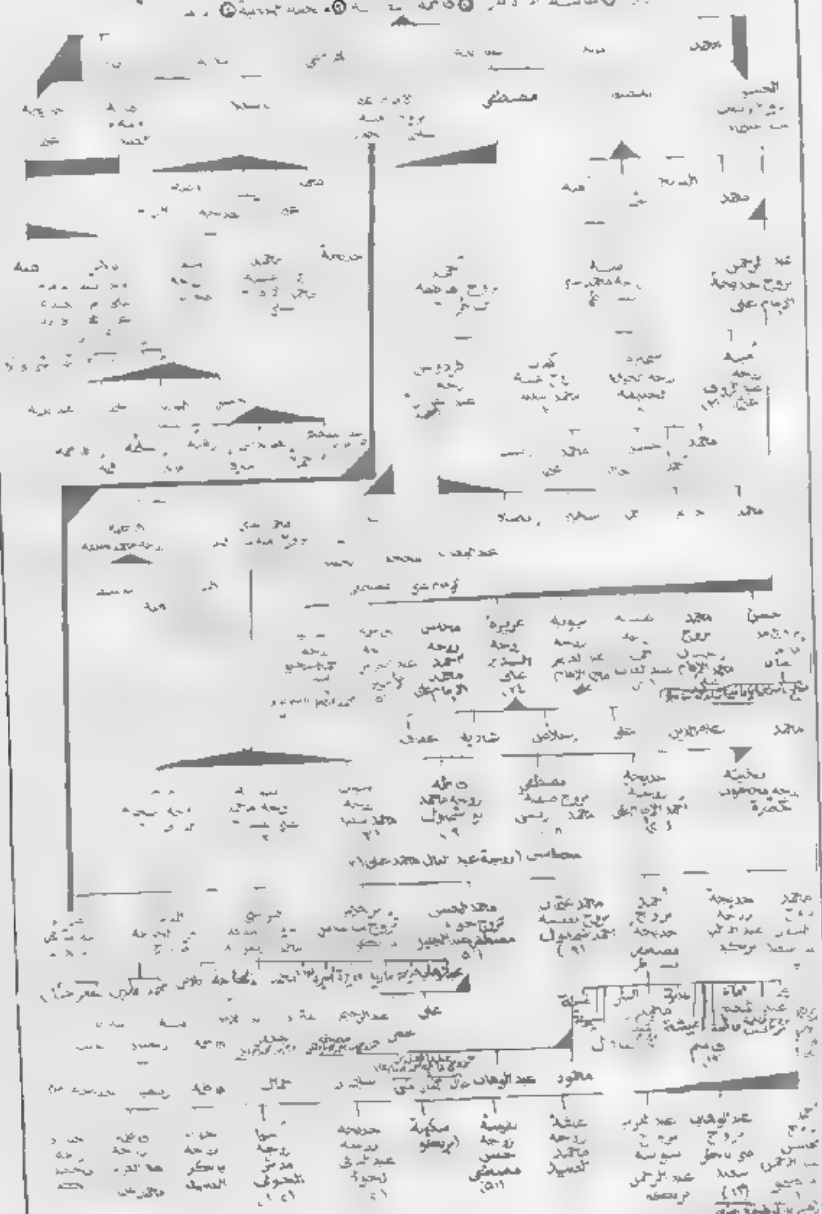
أولاد عبيد

بأسف

خوجو

سبئي

مقدنور



نسب الشريف قاسم أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد هذا نسب السيد قاسم أحمد بن أحمد بن أبوبكر بن أحمد بن سعيد ابن ناصر بن محمد بن صالح بن أحمد بن القاسم ابن عبد الرحمن بن إسحاق بن سفيان بن إبراهيم ابن هاشم بن علوي بن منصور بن محمد تاج الدين ابن أحمد بن عبد الله بن محمد الملقب بالهادي ابن السيد الجليل قطب الله الرباعي السيد عبد القادر الجيلاني بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهر بن محمد بن داود بن موسى ابن عبد الله بن ذكوان بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه بن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت الشفيع المظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم .

أهـ

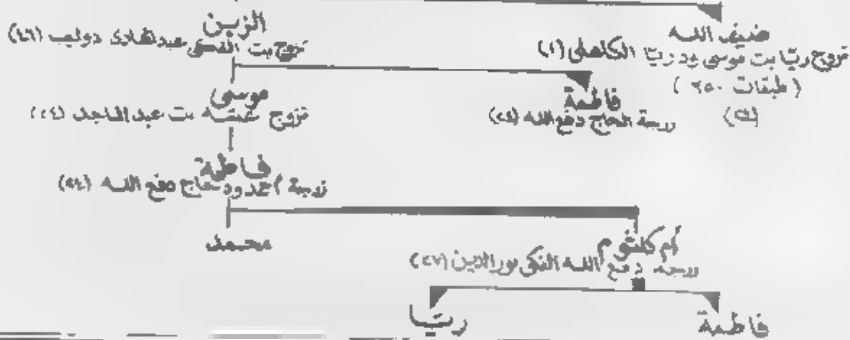


الضَّيفَلَاب نسب الضيفلاب

(٢٣)

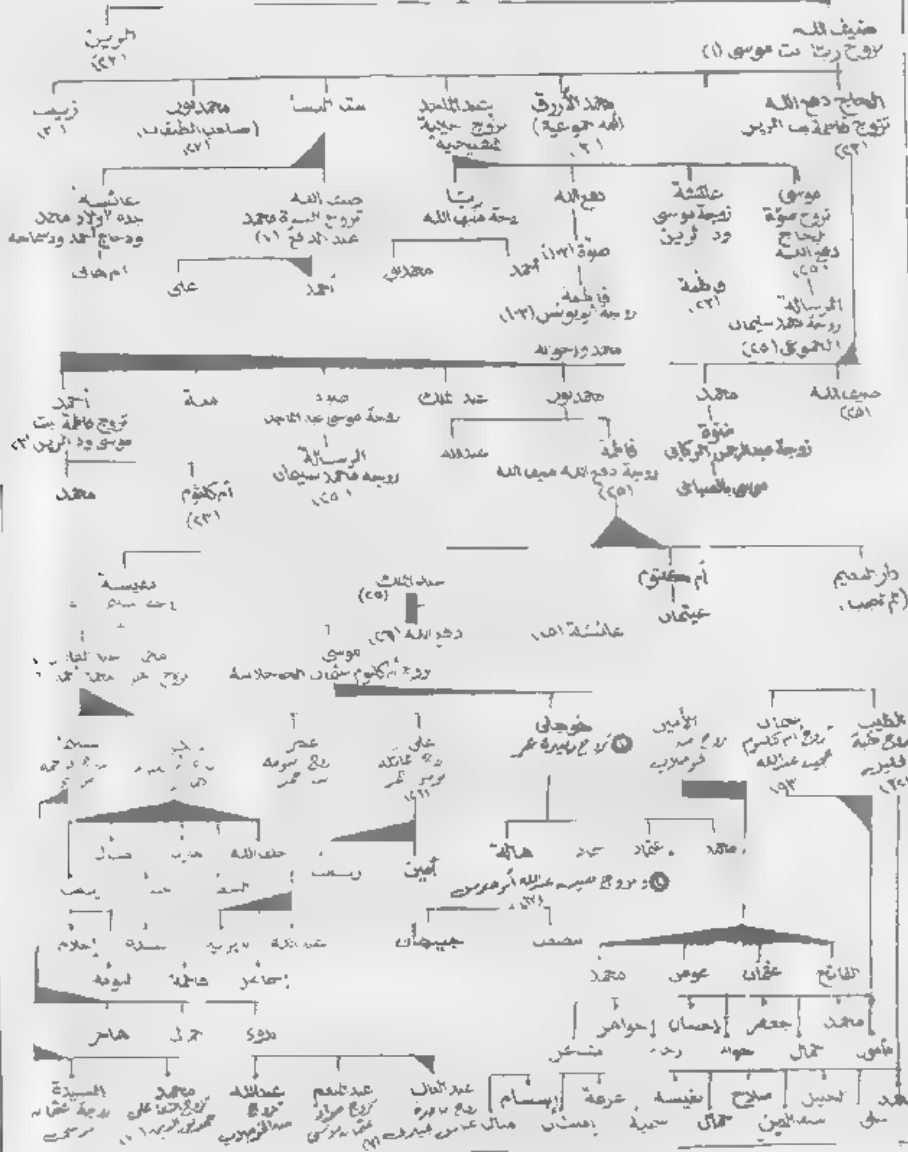
- | | | |
|-------------------------|---------------------|---------------------|
| (١١) ضيف الله | (٤٤) بن محمد | (٢١) بن ضيف الله |
| (١٢) ابن علي | (٥١) بن عبد الغني | (٦١) بن إبراهيم |
| (١٣) ابن الحاج نصر الله | (٨١) بن إبراهيم | (٩١) بن محمد |
| (١٤) ابن عبد الكريم | (١١١) بن الأسود | (١٢١) بن سمير |
| (١٥) ابن سالم | (١٣١) بن محمد | (١٤١) بن الفضل |
| (١٦) ابن قحطان | (١٥١) بن سعد الفريد | (١٦١) بن مسمار |
| (١٧) ابن سرار | (١٧١) بن كردم | (١٨١) بن أبي الديس |
| (١٨) ابن قضاة | (١٩١) بن عبد الله | (٢٠١) بن شروق |
| (١٩) ابن محمد | (٢١١) بن تيع اليمنى | (٢٢١) بن الجمعي |
| (٢٠) ابن علي | (٢٣١) بن الفضل | (٢٤١) بن عبد الله |
| (٢١) حبر الأئمة | (٢٥١) بن العباس | (٢٦١) بن عبد المطلب |
- (٢٢٢) ابن هاشم .

محمد و ضيف الله بن علي
تزوج بنت الملك حامد ملك الحموية



(55)

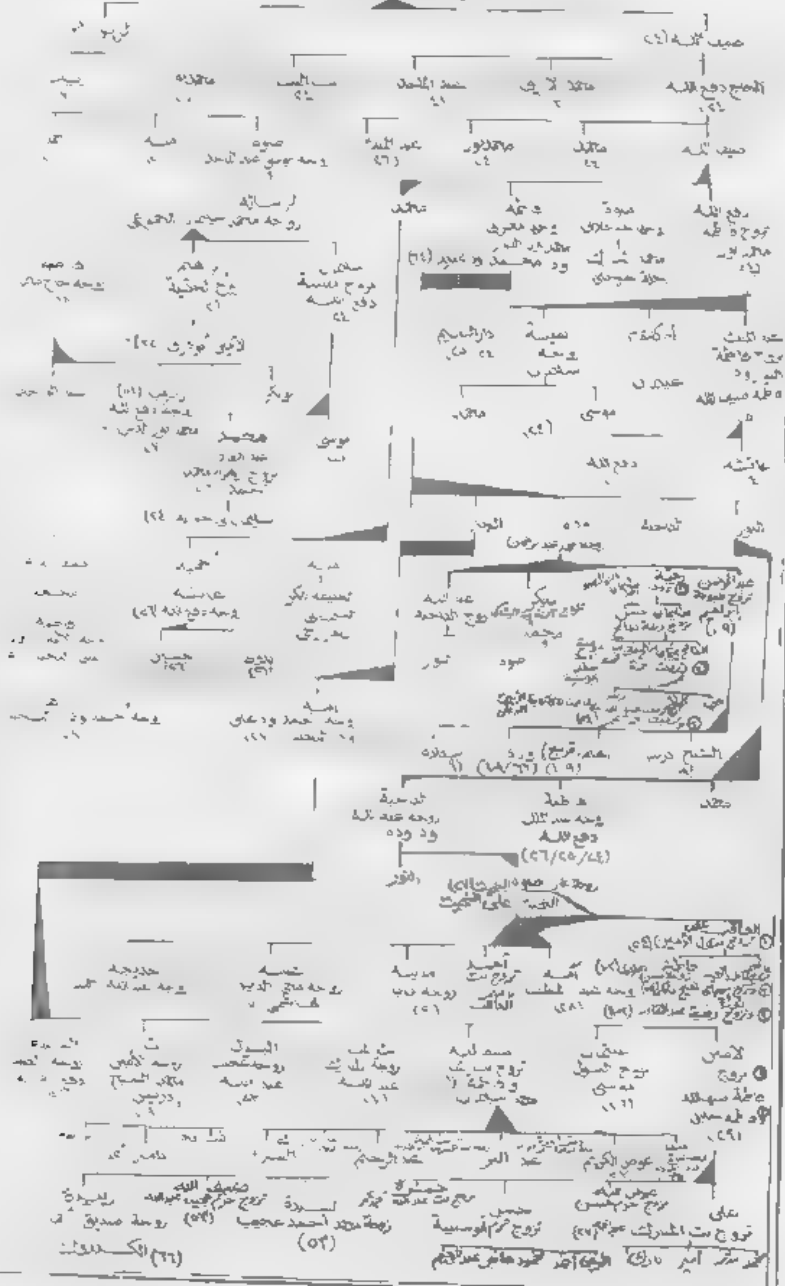
محمد ود ضيف الله بن شای



الصفى لاب

صفى له الخرج دفع الله

محمود بن صفى الله بن على

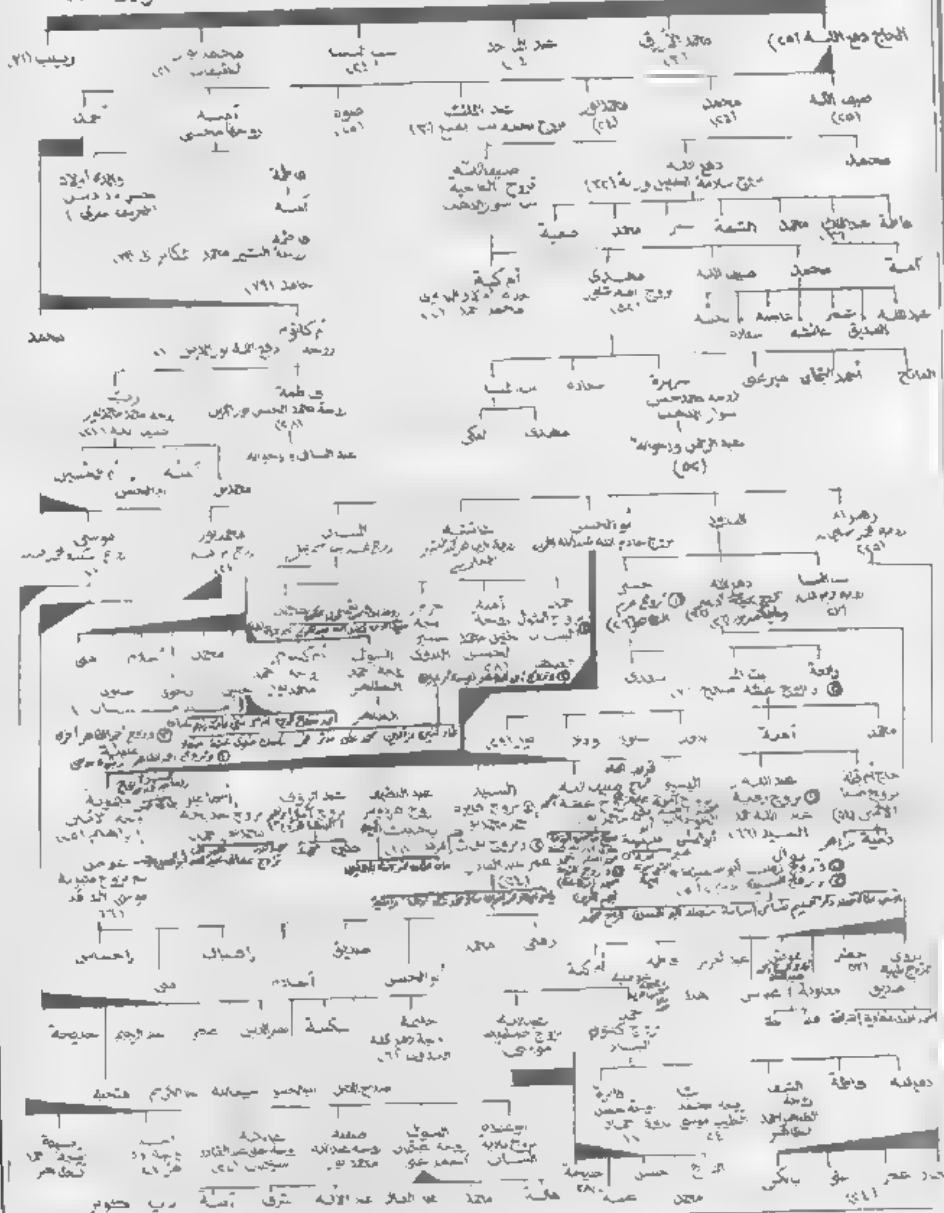


الضَّيَال

أولاد الحاج دمع بنه صيف الله
محمد ود صيف الله بن خفي

صندوق (٤١ - ٤٥)

الزین (۷۳)



(5A)

صبيح الله (ص) رانيا (ص) عبد الطيف نور الدين (ص) خاتمة (ص)



الضَّيْفَاءُ

أولاد محمد الحسن نور الدين محمد نور
محمد نور صيف الله (صاحب الطبقات)



(१०)

صديق الله (٤٩) (٥٥)

الزيب (٥٣)

الحاج دفع الله (٥٨) (٥٩)

محمد الأزرق (له مجموعة)

عبد المجيد (٦٤)

سعد النسا (٥٩)

عبدنور (٥٧)

زيب (٦١)

بقية

زوجة المني محمد الشهابي المسمى

بغية (٢١)
٢٠٠٠ سنة ستمت الملك الحجاج
دوق الأسد

المسحوق

1

2270

المسحوق

بیت الما
درجه محمد ۱۳۹

50



المجلة

ت. محمد رشاد النکعی

النور
حد محمد
ويس و يوسف
والجبال

۱
کوهن

الضيف لاب
زيب بت ضيف الله
محمود ضيف الله بن علي



(٣٣)

المشايخ

نصب الشيخ حمد ودام مريموم
مجلد
(من أسماء عبد الرحمن بن أبي بكر)

يعقوب

محمد زامر

محمد
قاضي بندي

موسى

عطا الله

محمد مجلى

أحمد أبو الجود

محمد الجويد

محمد أبو الجويد

سراج المنور
(٤٤)

زارة مع الجموعية

الشيخ ماضي

عمر

على

محمد

أحمد

حمد ودام مريموم

الفكي المنور

أحمد

الكامل

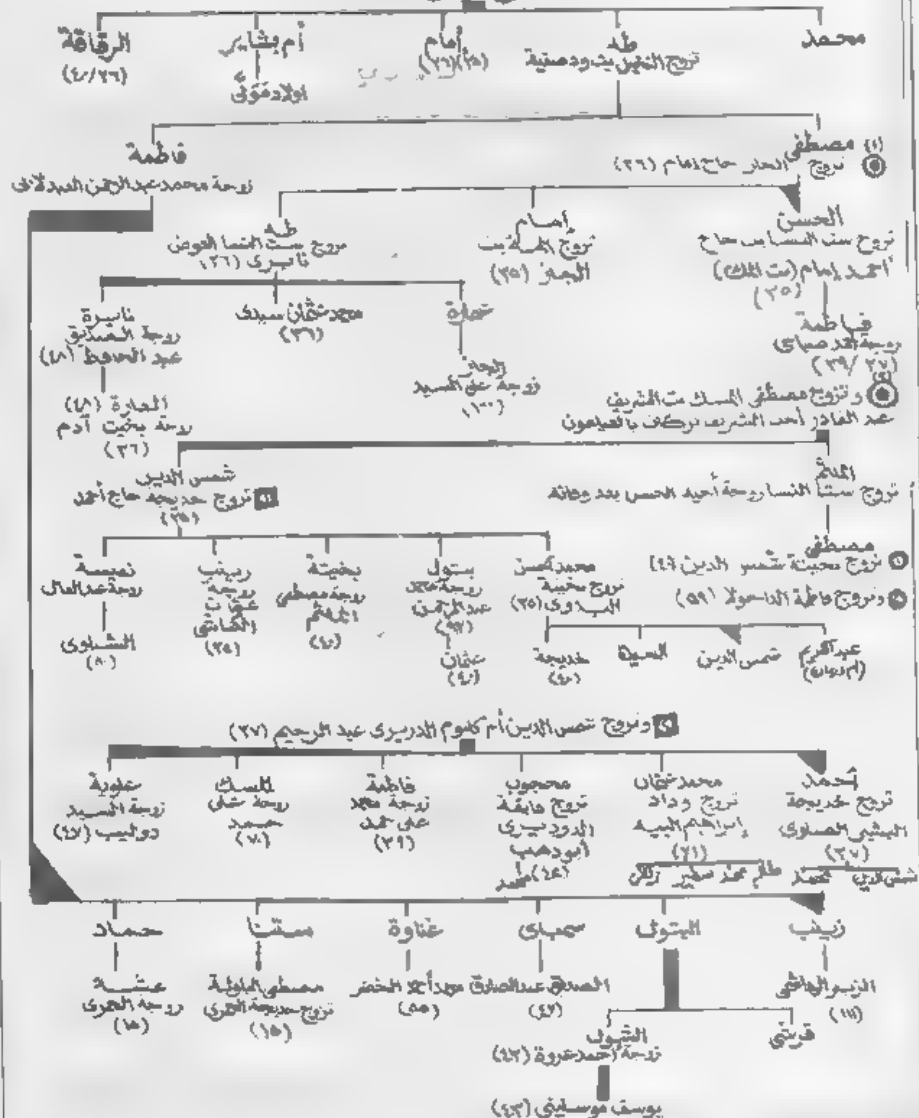
محمد

الصادق (رواية الفحل ماضي ٦٠٥)

(رواية ماكهايكال ٩٤-٩٢)

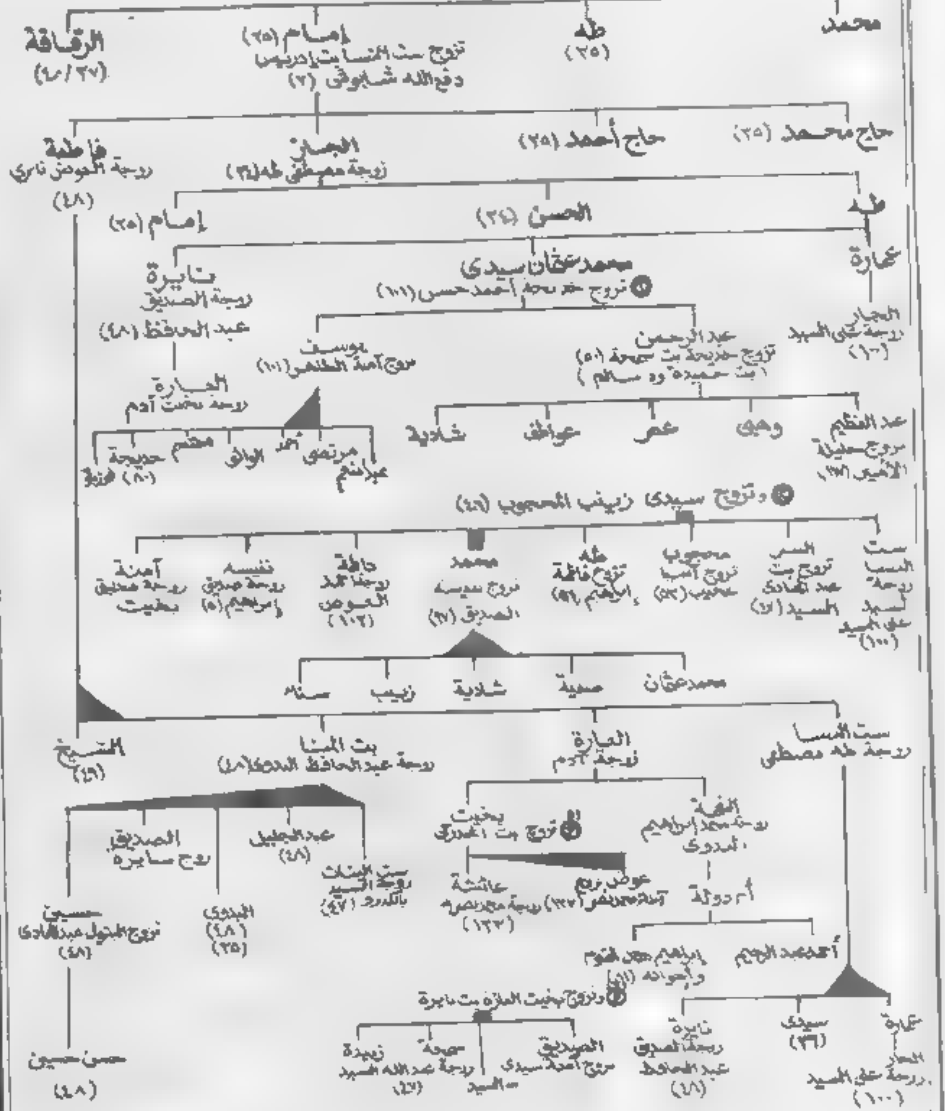


المشايخة أولاد شمس الدين الحاج عجارة

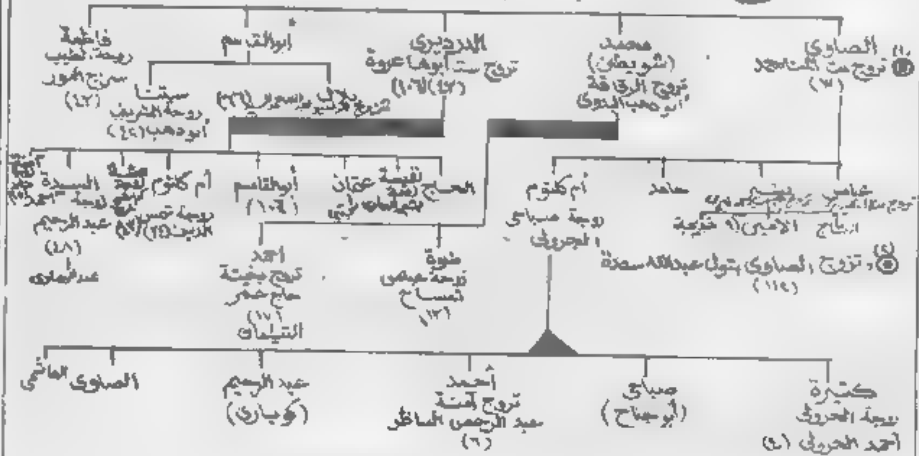


(٣٦)

المشايخة

أولاد سيدى ويثيت و آدم
الحاج سخارة

المشايخة
أولاد عبد الرحيم وشرفية
العلاج عمارة



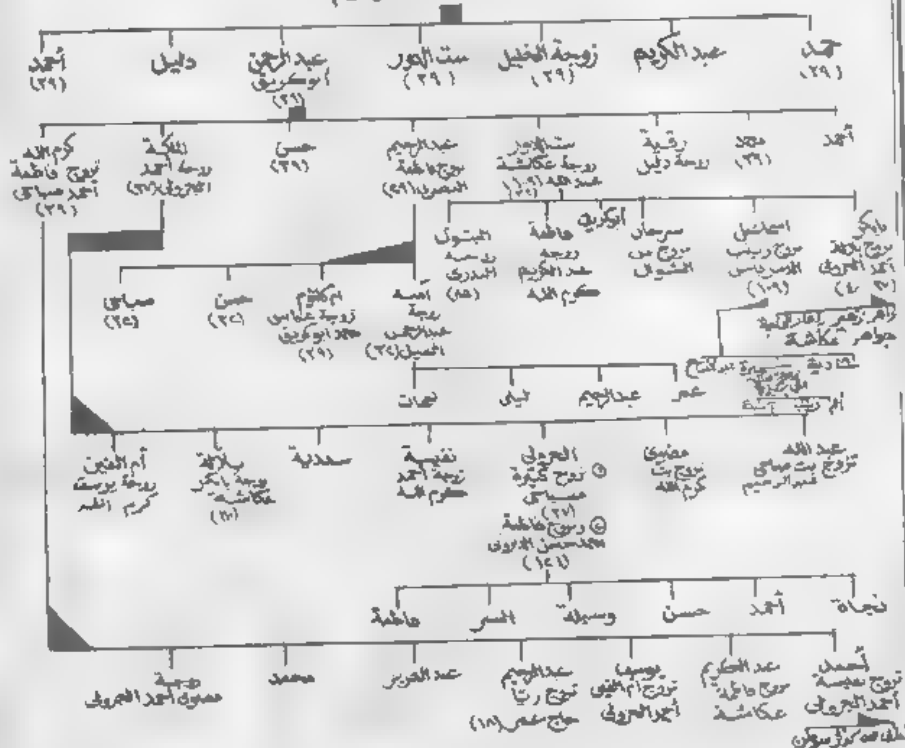
(५१)

أولاد مسيحي عبد الرحيم (١)
الحياح عمارة



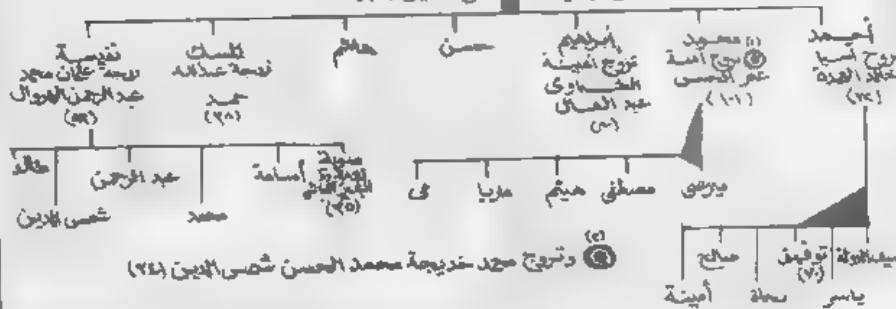
(5.)

أولاد صبيح عبد الرحيم (٤)



أولاد الشيخ مصطفى الحاتم (٢٩)

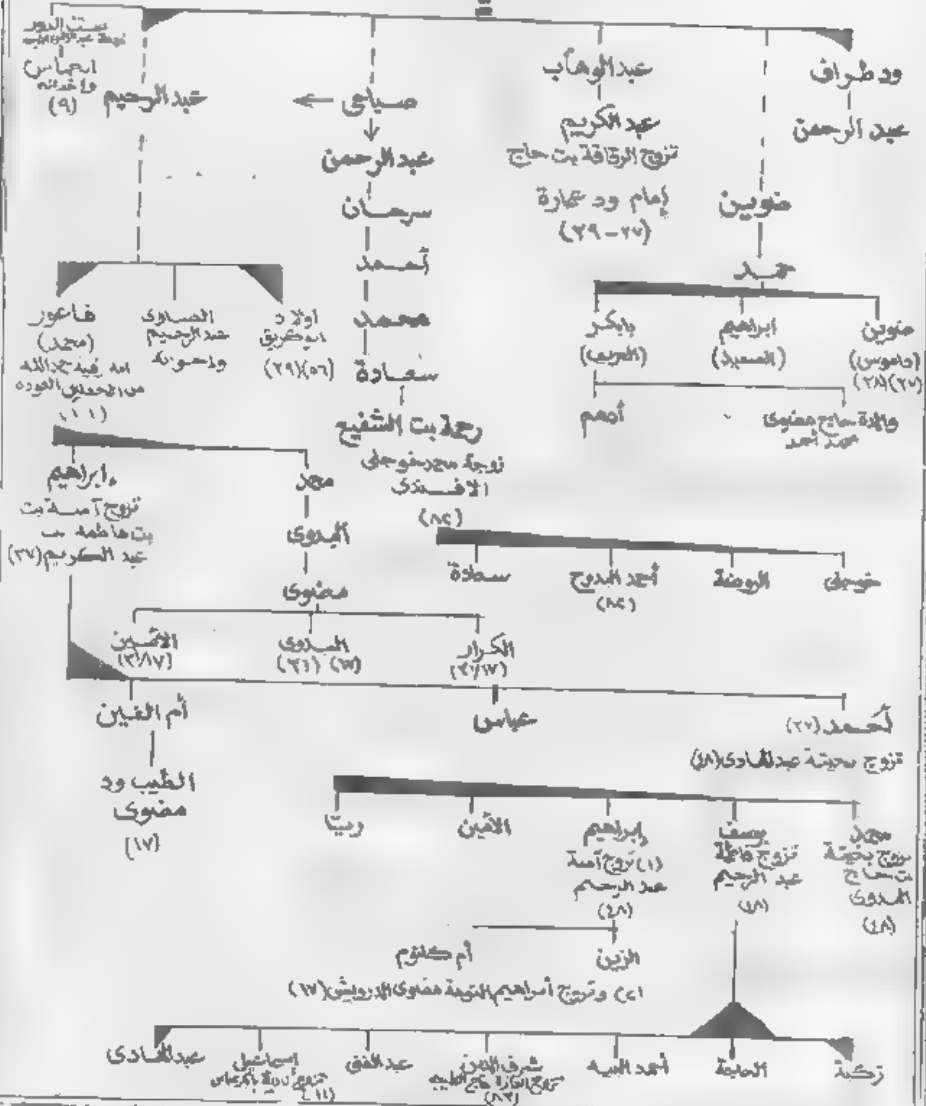
روح بخیتہ شمس الملائین (۲۶)



(٤١)

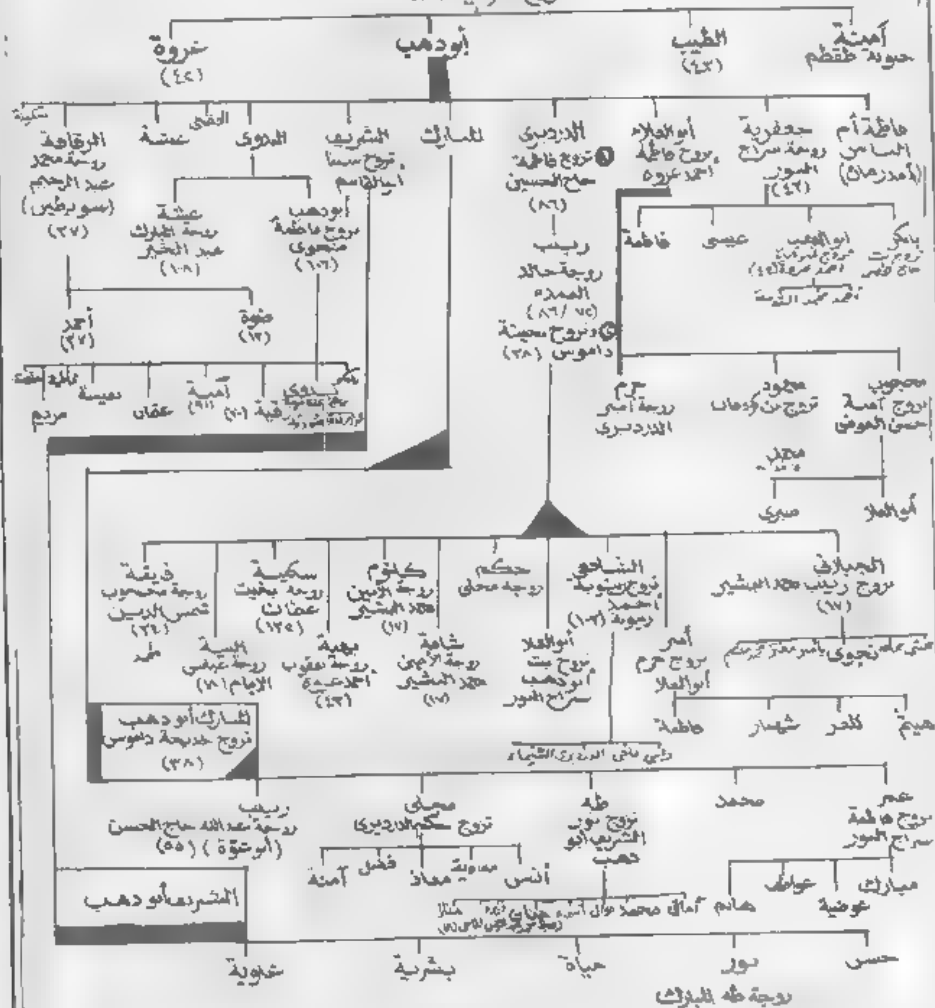
الشـاـيـخـة

أولاد الحادق وأولاد طراف
عبد الرحمن الحادق (ود قزاق) (البرني)



(45)

محمّد
فروج شرفیہ (۶۶)



الدَّوَالِيبُ

نسبة الركائبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد فهذه نسخة متضمنة لنسبة الركائبة فسل الشيخ غلام الله ، فإن أولاد غلام الله فهما اثنتين ركاب ورباط ، أما ركاب نسله خمسة أولاد ذكور فهم : عبدالله وعبد النبي وحبيب وعجيب وزيد الفرييد . أما رباط نسله ستة أولاد ذكور من ابنه سليم وهم : رزين ودهمش ومحمد عون وعبد الرزاق وهذلول ومصباح . وأما أولاد رزين فهم : حبيب نسي وأولاد دهمش الفكي على ود منوفل بالعفاط ومحمد عون أولاده : أولاد جابر الأربعة والكبيش وعبد الرزاق أولاده الشيخ حسن ود بيلر بالكنار وأهل أبو نجر ، وهذلول أولاده بالحرارة وهم : الدفاقة والبقرة والمطرة ، ومصباح أولاده مع الكبابيش وهم الشيخ على ولد كبير . وأما أولاد ركاب فهم خمسة : عبدالله وعبد النبي سبطين ، وحبيب وعجيب سبطين . وزيد الفرييد معناه ليس له سبط وأما عبدالله فهم : حاج وحجاج ، فأما حاج ولد الدواليب وأولاد الشيخ على ود عشيب جد العشيبات وناس الشيخ أكحل فزفة مع الكواهلة بتقلى والجنان والجنانة والسامراب وفروع كثيرة تفرقت بالشكرية . وعبد النبي أولاده اثنتين : معشر وشكارة ، فأما معشر أولاده ، المصادق ناس الشيخ ولد عبد الصادق وشكارة جد العبيدات . وحبيب أولاده ناس المصباح ، وزيد الفرييد أولاده الشاراب والعكازاب والتماراب والبهاجب أولاد حاج ماجد و حاج

ماجد ولد زيد . وعجيب أولاده ناس الشيخ أبو حليمه (٤٥) جد الحجاب .

فهذه النسبة نقلت من السابقين . محضرة الشيخ عيسى
ولد سوار الذهب والشيخ إدريس ولد لأرباب والشيخ
عبد الرحيم بايع المطر ، هذا ما وجد في الكتب والتاريخ
القديمه . لتحقيقه بالآخبار المتواترة من غير شك ولا افتراء والله أعلم .



نسب الشيخ إبراهيم محمد عبد الهادي

أنا إبراهيم بن الفكي محمد بن الفكي عبد الهادي بن الشيخ
محمد النبري بن الشيخ عبد الهادي بن الشيخ محمد بن الشيخ
محمد دوليب بن الشيخ محمد كزي بن الشيخ تركي بن الشيخ
عربي بن الشيخ حماد بن الشيخ حاج بن الشيخ عبد الله بن
الشيخ ركاب بن الشيخ غلام الله بن السيد عايد بن السيد
عبد المصور بن السيد المقتول بن السيد أحمد بن السيد عمر
الزيلي بن السيد محمود بن السيد هاشم بن السيد الإمام
زامل بن السيد مختار بن السيد علي بن السيد سراج بن
السيد محمد بن السيد أبو القاسم بن السيد الإمام زامل
ابن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن
السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن
سيدى الحسين بن سيدى فاطمة الزهراء بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه وأولاده وأرواحه
وذريته وأهل بيته أجمعين وأمته وسائر من تبعه إلى
يوم الدين "

قرر هذا في يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٤٣ هـ

ببر إبراهيم محمد عبد الهادي

(47)

2.

(٥٧)

المفسرية أولاد الفكي عبد القادر

محمد بن المذري

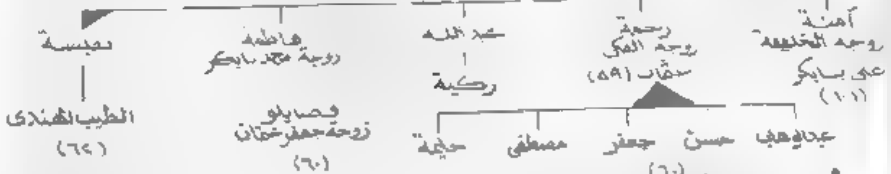
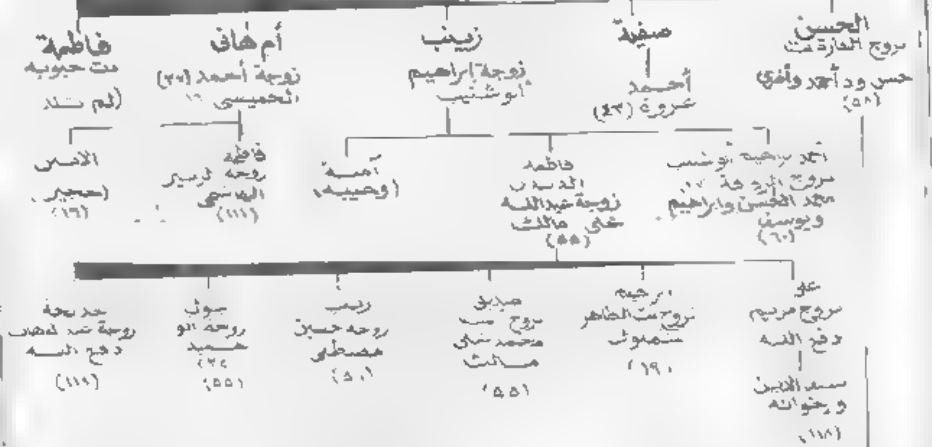
عبد الرحمن

سلطان



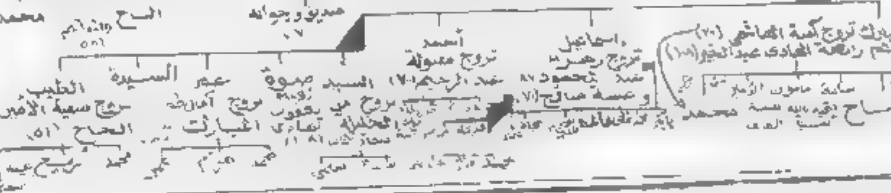
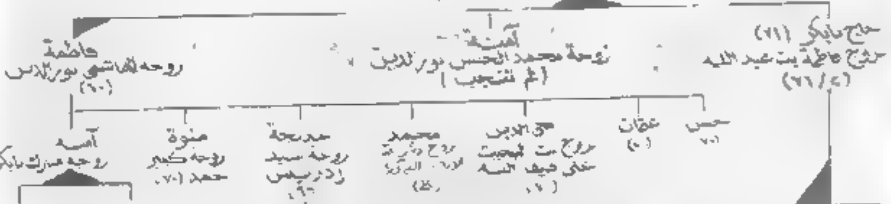
الفارسية

أولاد الفكي عبد القادر
ثم تزوج الفكي عبد القادر بنت أبوها بنت البشير
ود عبد الصادق (من ود المساجدي)



ثم تزوج الفكي عبد القادر ربيب من شيوخ الحكيم عمة سيد إدريس (١٦٦)

ثم تزوج محمد باكر (٧١)

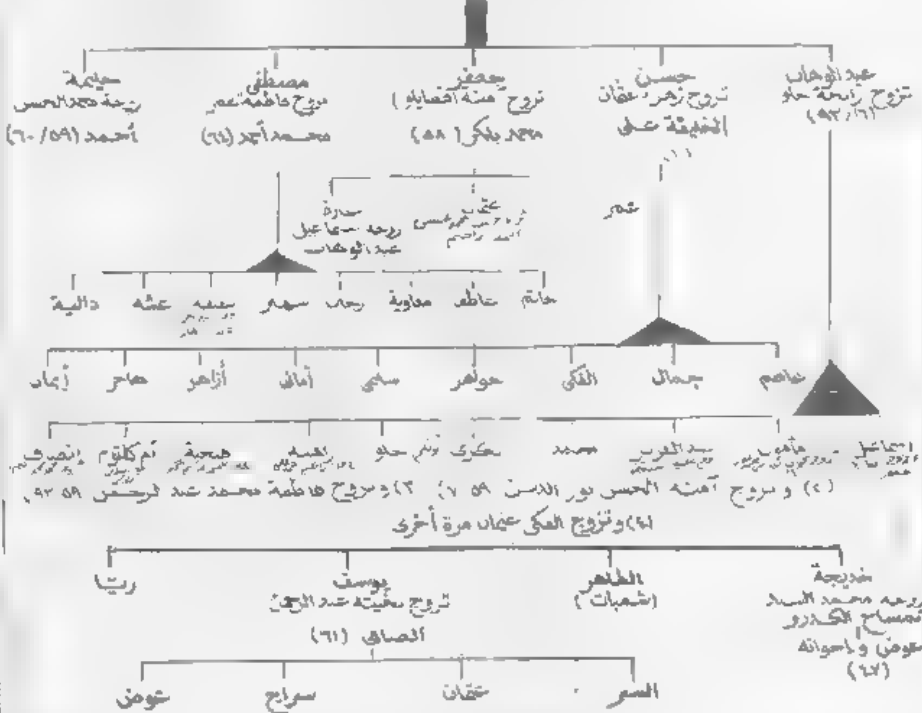


المفارقة

أولاد الفكي سليمان و محمد حسن

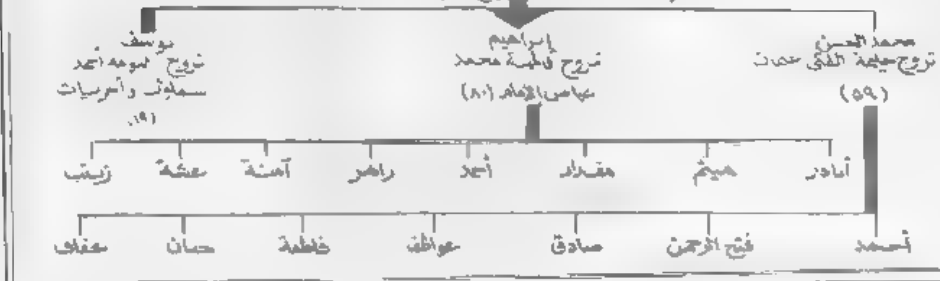
المنكى سخات (۵۹)

(۱) ترویج رسمہ بیت المحسن (۵۸)



أولاد أحمد إبراهيم أوشنيب (٥٤/٥٨)

أحمد إبراهيم أبو شبيب تزوج الرقادة حمدة خليل ١٣١٥ هـ



المفاربة

أولاد حاج الصافي

عبد الفتاح ودعبيد

منصور

أحمد

عبد القادر

تزوج بخيتة بنت محمد الأمين الجباليه

(١٣/ ٥٩)

حاج الصافي كُتِبَ

تزوج زريق بنت زمان بن عبد الرحمن ودسحلة (١٤)

عاجية (أحد لاه)

١٥٩١ م. بن علي حسن

ود أحمد

تزوجها المورخري

(١١٩)

آمنة

روحة إبراهيم حاج

لصافي

لصافي

إسماعيل

زوجة عتمة بنت

أحمد عوض (الكرنم) (١١٩)

زوجة حسن وداود

تزوج بشعاع لصافي

زوجة فديلة

(١١٩) (١١٩)

زوجة نور فديلة

نور فديلة

(١١٩)

تزوج أمينة بنت محمد (أحد لاه) (١١٩) (١١٩)

وتزوج أمينة بنت بلال (شعبات)

عبد القادر حسن زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

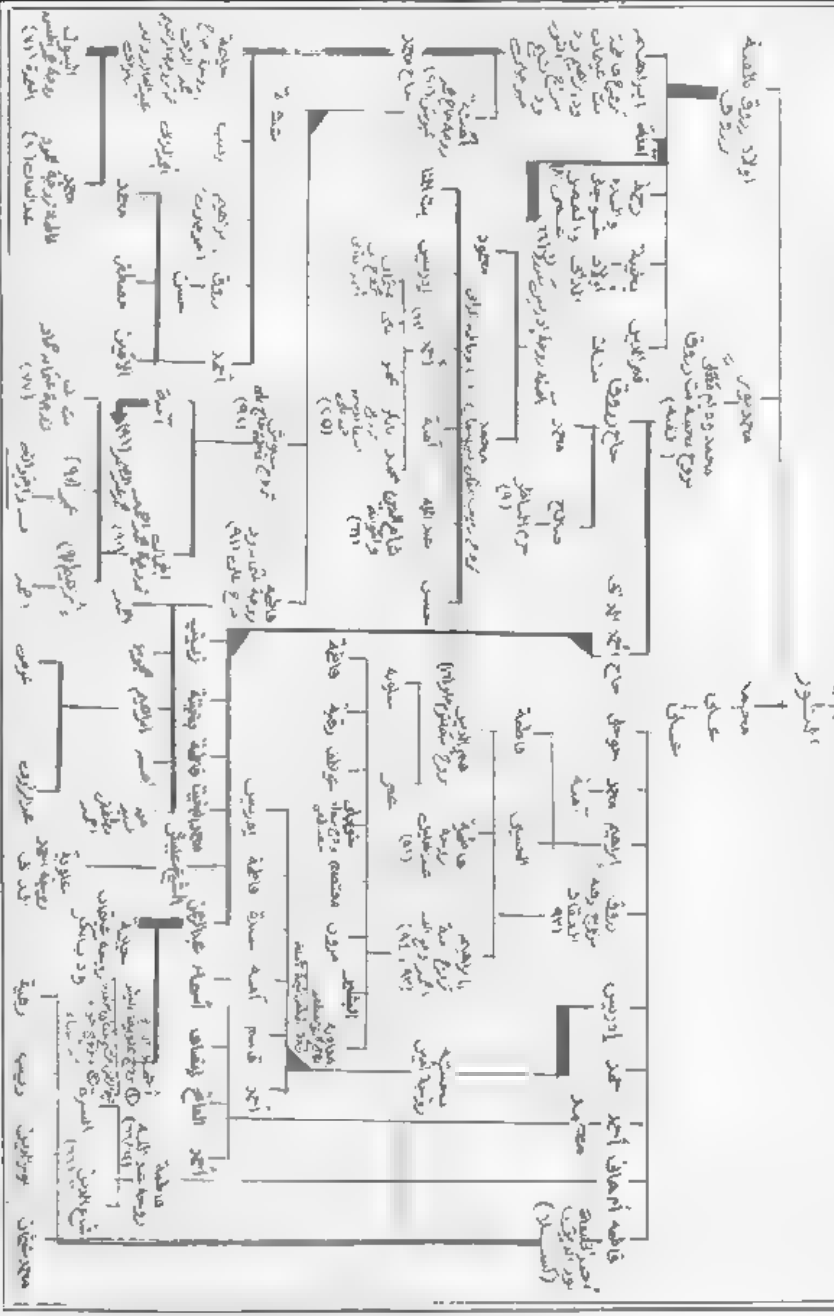
زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

زوجة فديلة (١١٩) (١١٩)

(٣٤)

المغیرا ربیة اولاد انور و سعید سلمان بن عبد الرحمن بن محمد بن



(٦٥)

المفارقة أولاد عبد العال ود عبيد

سلطان

عبد الحليم

عبد

عبد العال

عبد الرحمن

روحة عبد المحمود

روحة حاج
إدريس

ود أحمد
(٩٢)

من السيد

تزوجها عوض
الكريم العوضي

عشوش (٩٢/٩١)

روح فاطمة بنت الفكي

محمد الشهابي وامها

بقيع بنت ود ضيف الله

الفخري شهاب

(٩٢/٩١)

رحمته

قروحة عبد الله ود النور
الحاج علي المحمداني

محمد

المدرى (٧٧)

سروج الرسالة

بنت عشوش (٩٢/٩١)

أولاد حماد وأولاد

حمري

(٧٧)

حاج محمد

أولاد حجير

(٩٢ ٩٤)

محمد

سراج النور

بنت أبوها

(٨٤/٨٣)

عبد الواحد

(٨٤/٨٣)

عبد المحمود

(٨٤/٨٣)

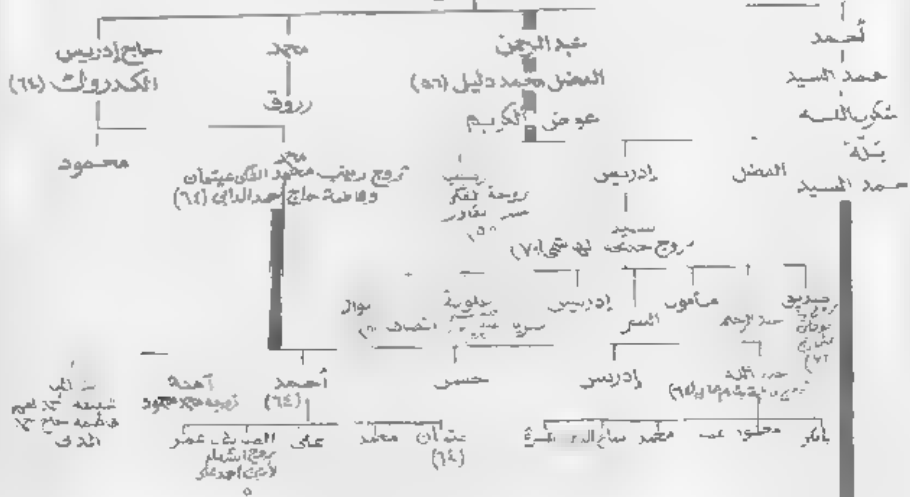
المفارقة

(77)

أولاد حمد السيد بلة
(مركزهم ودسعد الله ريفي المناقل)

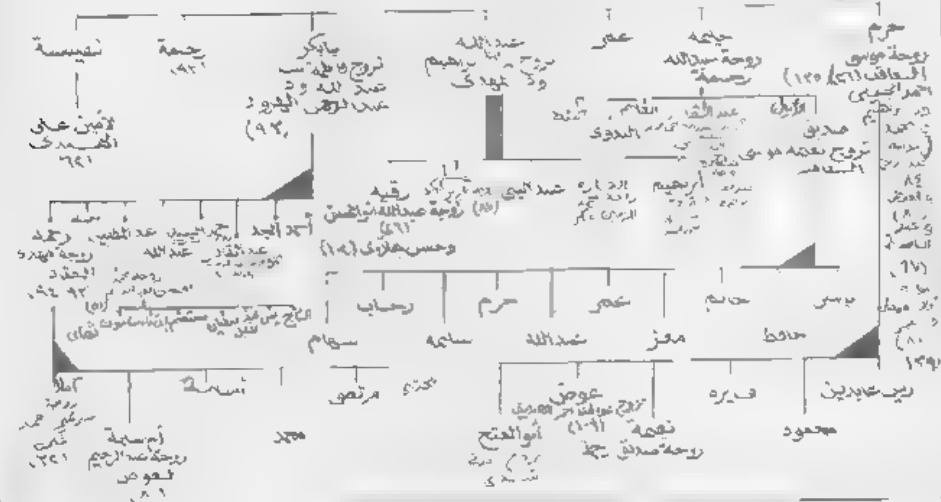
فـ

محمد المصطفى



أحمد

مروج فاطمة بنت الست (٢٩) (٩١)



المغاربة

نسب الجدياب

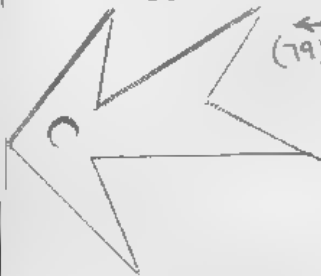
بسمان تنسب المغاربة الساكنين بحفافية الملوك

فرج الجدياب

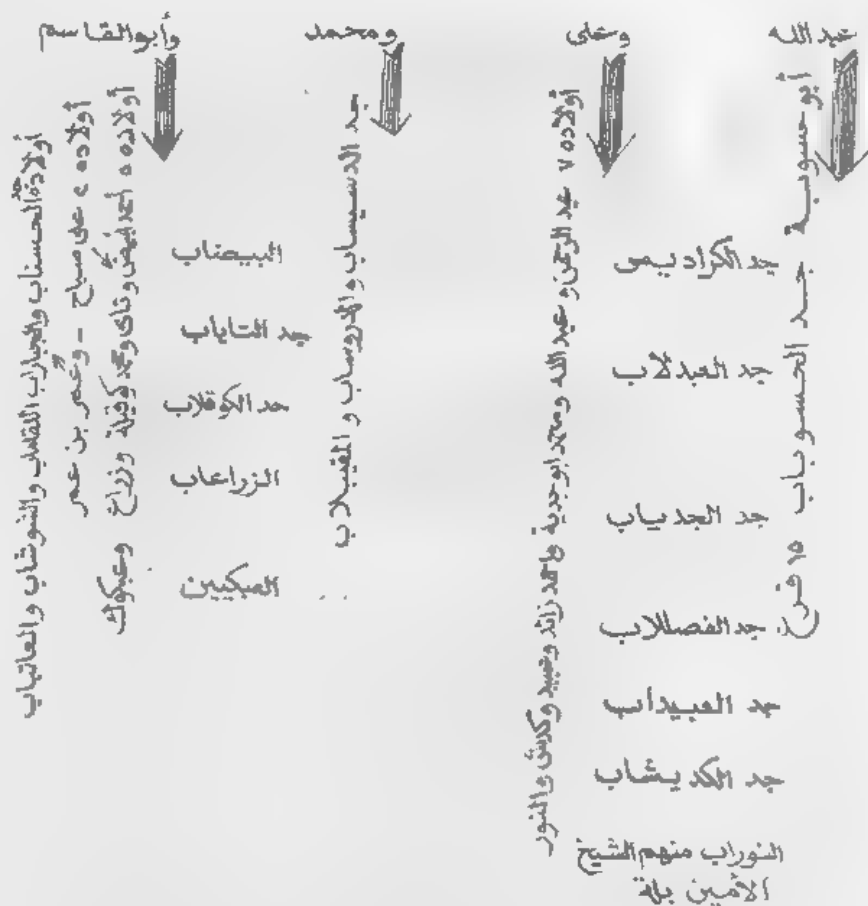
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له الوجود و لقدم . والصلاة والسلام على من هو أفضل
 من آدم . العجيب الشميع لكاه الامم . سيدنا ومولانا محمد صلى
 الله عليه وسلم و آله وصحبه والتابعين أجمعين . اما بعد - فاعلموا
 أيها الإخوان أن حفظ الأنساب أهم شئ عند المتقدمين والإهمال
 فيه نقص وعيب للمجتهدين فنقول وقد قال الله تعالى " يا أيها
 الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
 لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " وقد قال الإمام عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه نعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم
 ونقول وبالله التوفيق. هذا نسب مغاربة السودان المنتسبين
 إلى السيد أحمد زروق المعري دون مغاربة مصر . و
 لفظ معري ليس بنسب إنما هي بلادهم المعرب وأقول
 هذا نسب لعقبه محمد بن الفقيه نور الدين بن
 بيشكر بن محمد بن محمد بن بشير الصغير بن محمد
 بشير الكبير بن عبد الله بن علي بن إبراهيم بن
 محمد المكّي بأبي جدية بن علي بن السيد عبد الرحمن
 ابن السيد عبد الواحد بن السيد عبد الخالق بن السيد
 يحيى بن السيد عبد الصمد بن السيد أحمد زروق
 المعري ليس هو الشيخ أحمد زروق

(٦٩)



صاحب الرسالة والمختصر ، فهذا ابن أخيه ابن السيد عبد الله بن إسماعيل بن
 السيد محمد بن السيد صالح بن السيد إسماعيل بن السيد علي الرضوي بن
 السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد
 زين العابدين بن السيد الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ،
 وأعلم أن جميع مغاربة بلاد السودان المنتسبين إلى السيد أحمد زروق المغمري
 يجتمعون في السيد عبد الرحمن كونة ، أولاده أربعة دخلوا بلاد السودان فهم :-



(V+)

مجلس

پیش رو

قاتله
 روضة بس
 العوض
 مهمل
 (١٤١)
 مهمل
 روضة حاج عبد الرحمن
 السيد وأخواته (١٨)
 الحاج
 الحاج
 مهمل
 روضة بن
 العوض
 مهمل
 (١٤١)

[illegible]

(١) طهوف البر عاتلة بكون
 (٢) والسرور ماله
 (٣) ودرج المثلث من الدير (٤)
 (٥) ودرج مبالغ في الدين فقيمة (٦)

[illegible]

Handwritten notes at the bottom of the page:

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

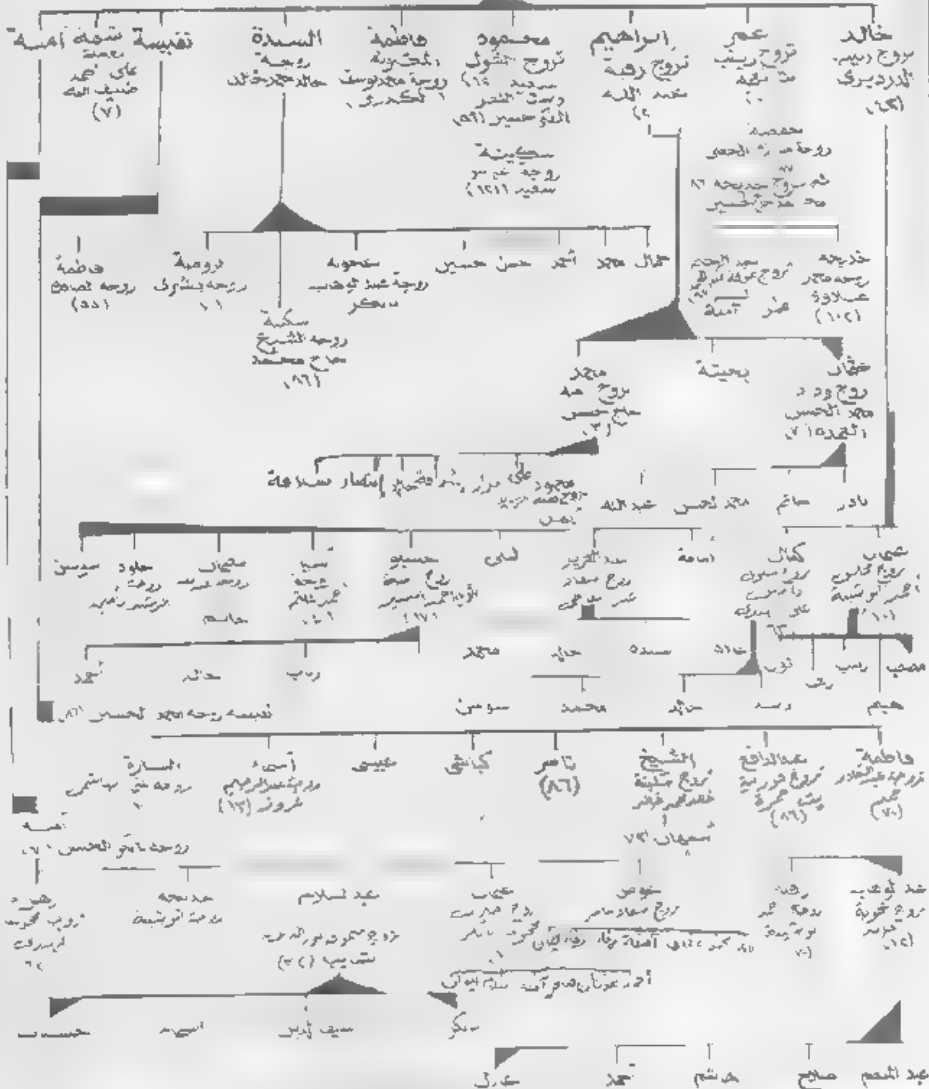
[illegible]

تمت في شهر ربيع الثاني سنة ١٤٢٠ هـ

المسماوية أولاد المسماوية عثمان

(٧٢)

① تزوج أمه "حنونة" من محمد بن زيد (١٠)



(۷۳)

أولاد سَمَاحَة
محمد بحر المخرق

عبد الرحمن

سـِـطـَـان

تقديم

سيد الحارث

ساحه المخرج
صاحب المخرج

مجلس

ترویج عسکری محمدی (۱۳۵۱/۱۰) س ۱۰/۱۰

محتوی

من أولاد بنته دفع الله

و

سیدنا محمد

مشاورش (۱) (۴)

روحیه قدوسه شادمانی
ص ۱۵۱

مصنوع

۱۹

1
2
3

۱
خواجه

—

سید علی

٢٢

أَمْ عَظَائِفُ

ہر مہینہ ہر مہینہ
ہر مہینہ ہر مہینہ

مؤید

تاریخ ۱۳۰۲/۱۲/۱۵

اسرہبہ ائمہ تحریر و

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

روح القدس بالحسن في الناس

مجلس

٧ أم حاتم بن عيسى
وإليه مات محمد بن أحمد
بن محمد بن أحمد بن محمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
(٧٠)

٦ أحمد بن محمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
(٧٠)

٥ محمد بن أحمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
(٧٠)

٤ أحمد بن محمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
(٧٠)

٣ أحمد بن محمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
(٧٠)

٢ أحمد بن محمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
(٧٠)

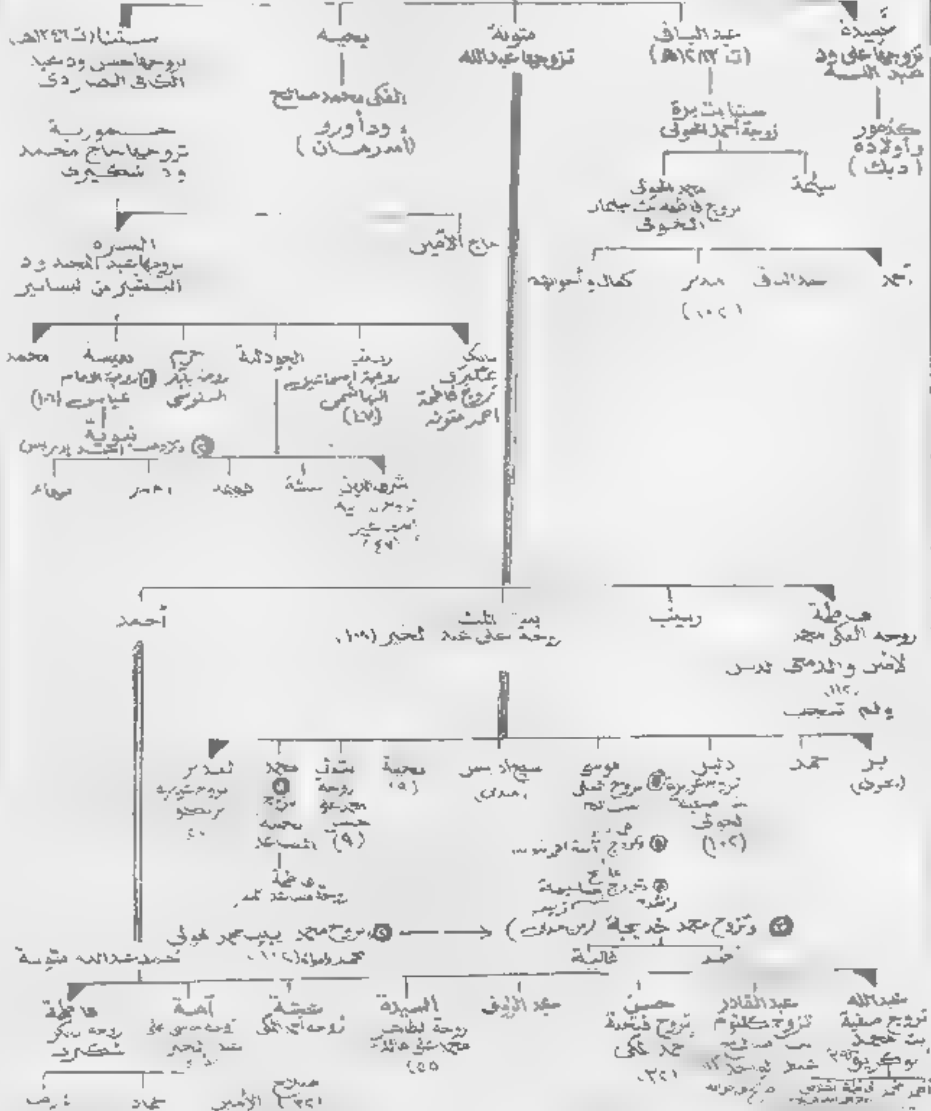
١ أحمد بن محمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
بن أحمد بن أحمد بن أحمد
(٧٠)

(c) وروج محمد صاحب
 احمدی
 حضانہ علیہ
 روزگار علیہ
 احمدی علیہ
 احمدی علیہ

أولاد تاجوري

ود أحمد ود دفع الله ود حسوبة المفرف (انظر الشفقات ص ١١٩ ترجمه تاجوري المتخلص)

تزوج أمينة المهنابية



(٧٥)

الجبليون

الغفراب
الشيخ حامد أبو عصا

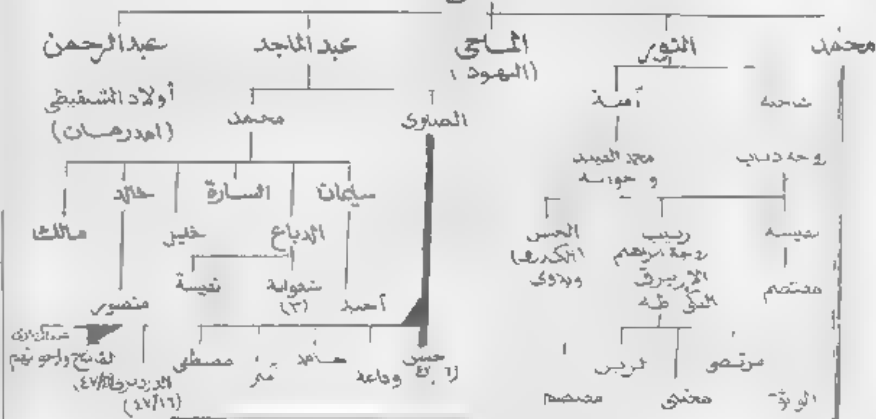
بلال

عمر

علي

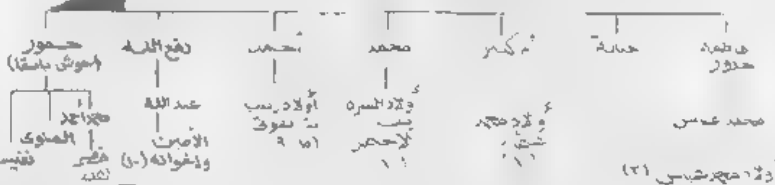
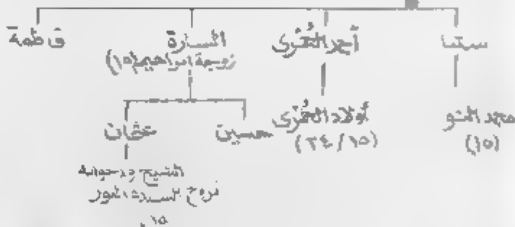
مكي

العجاج



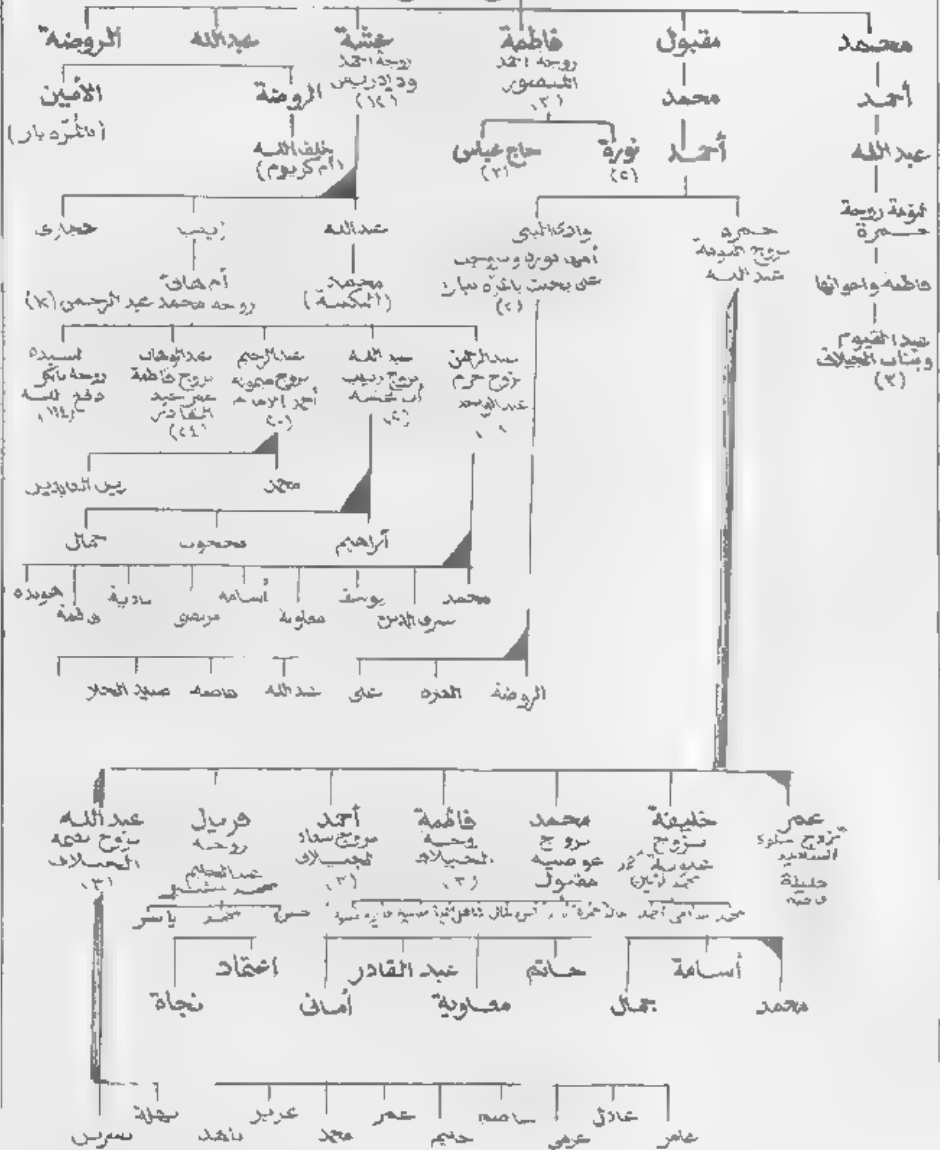
أم سحيمين (١٥ / ٢٤)
تزوجها أدريس الشكور

أم كنين (١٥ / ٢٤)
تزوجها الشيخ ودحسن



الجيلون المحمدآب خلف الله ود علي

(٧٦)



الجمعيون
المحمداب
أولاد حماد وحفري
الفكي شيخ الحمادي
(من أم الطيور بالحقنة)

بسم الله

وفي رواية عبد الرحمن بن عبد العال ودعبيد (٦٥)

محمّد

المسند

تزوج البشارة بنت عبيد ش ١٩١١



(VN)

مکابر و دعرمان

یوسف

محمود

محمد

علي

مفتی محمد

سیمیماں



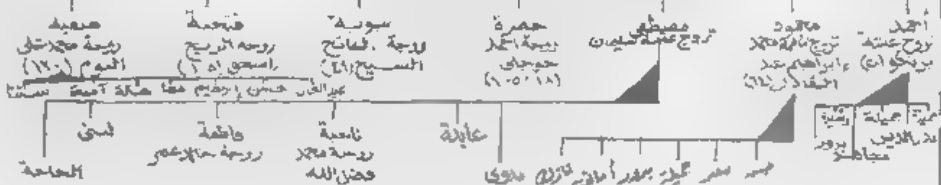
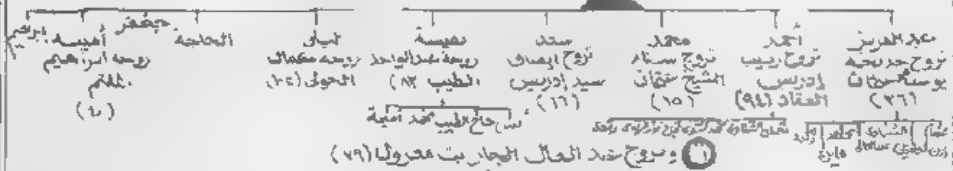
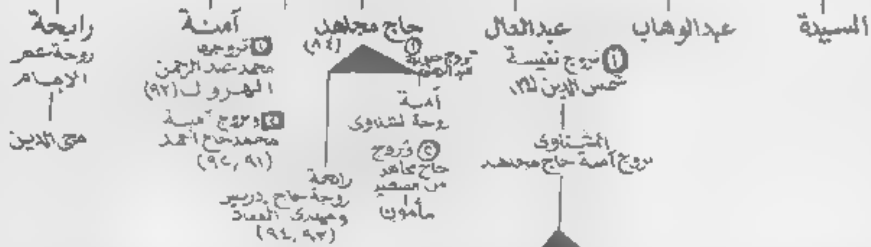
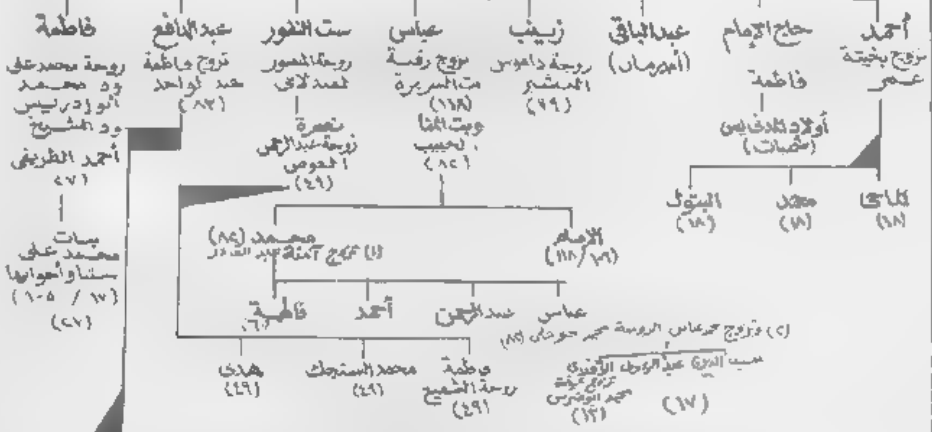
الجبيلون

أولاد حاج الإمام (زياب)

حاج الإمام

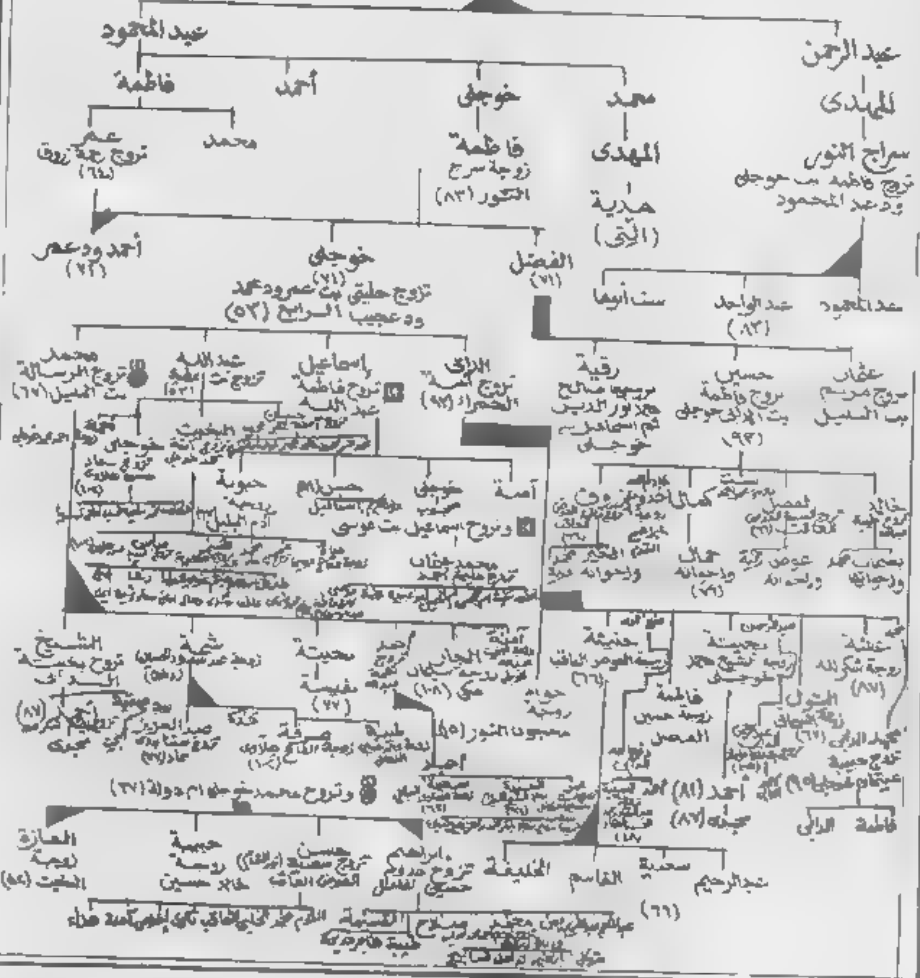
محمد

تزوج عشة بنت عبد الله (١٧)



الجبليون
الموضوية (المسيكتاب)
أولاد عبد الحميد

حسين
أبراهيم
عبد الرحيم
عبد الحميد

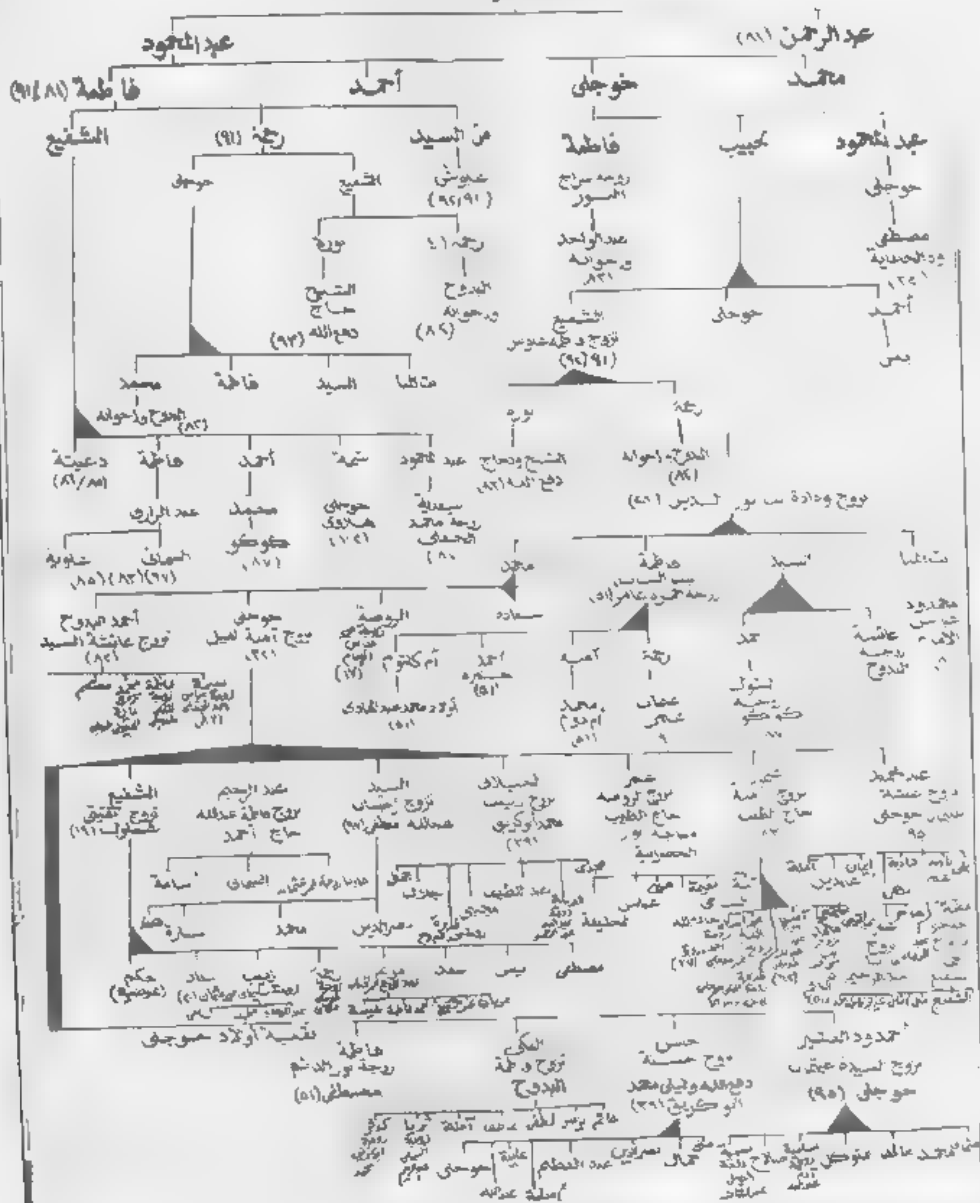


الحَقِيقَاتُ

الموضوية (المسيكتاب)

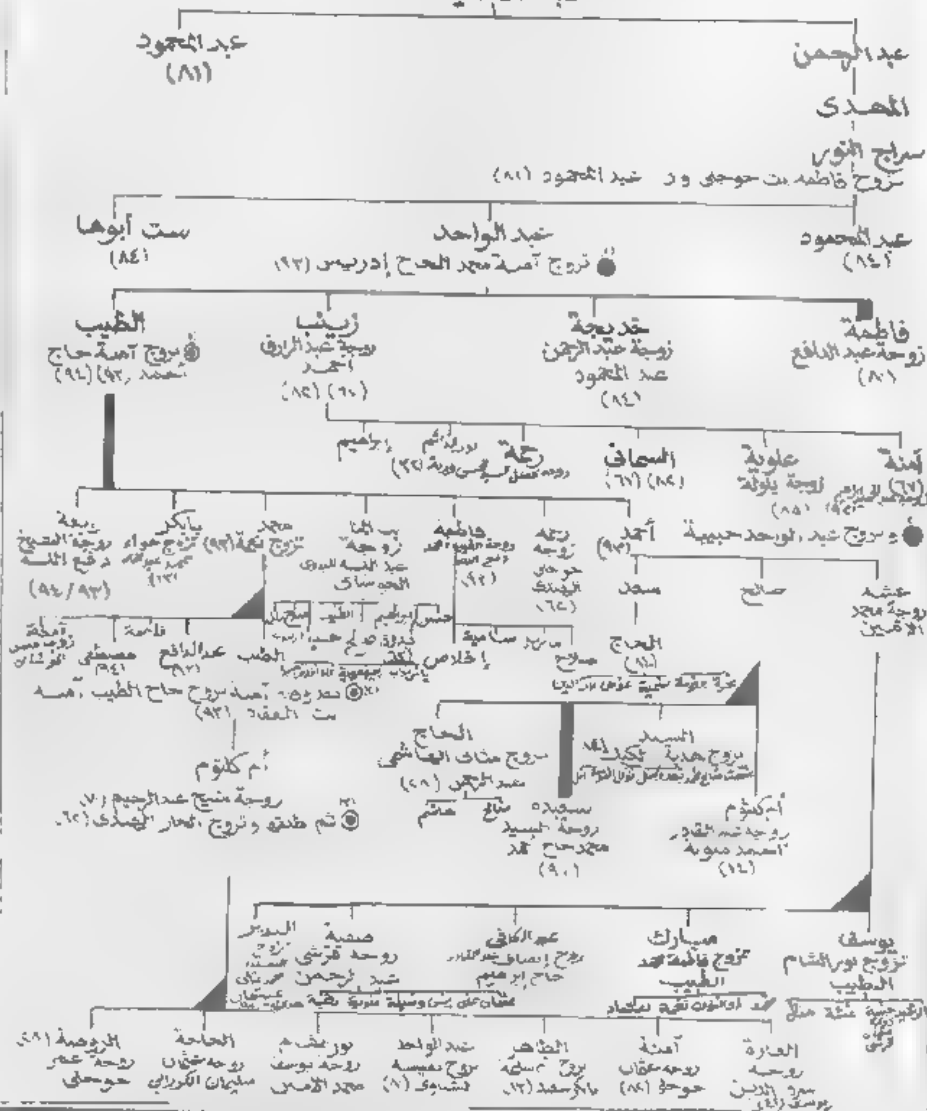
أولاد المحيبي في حوجي

عبد الحليم



الجهليون
الموضنية للسيكتاب
اولاد عبد الواحد

عبد الحميد

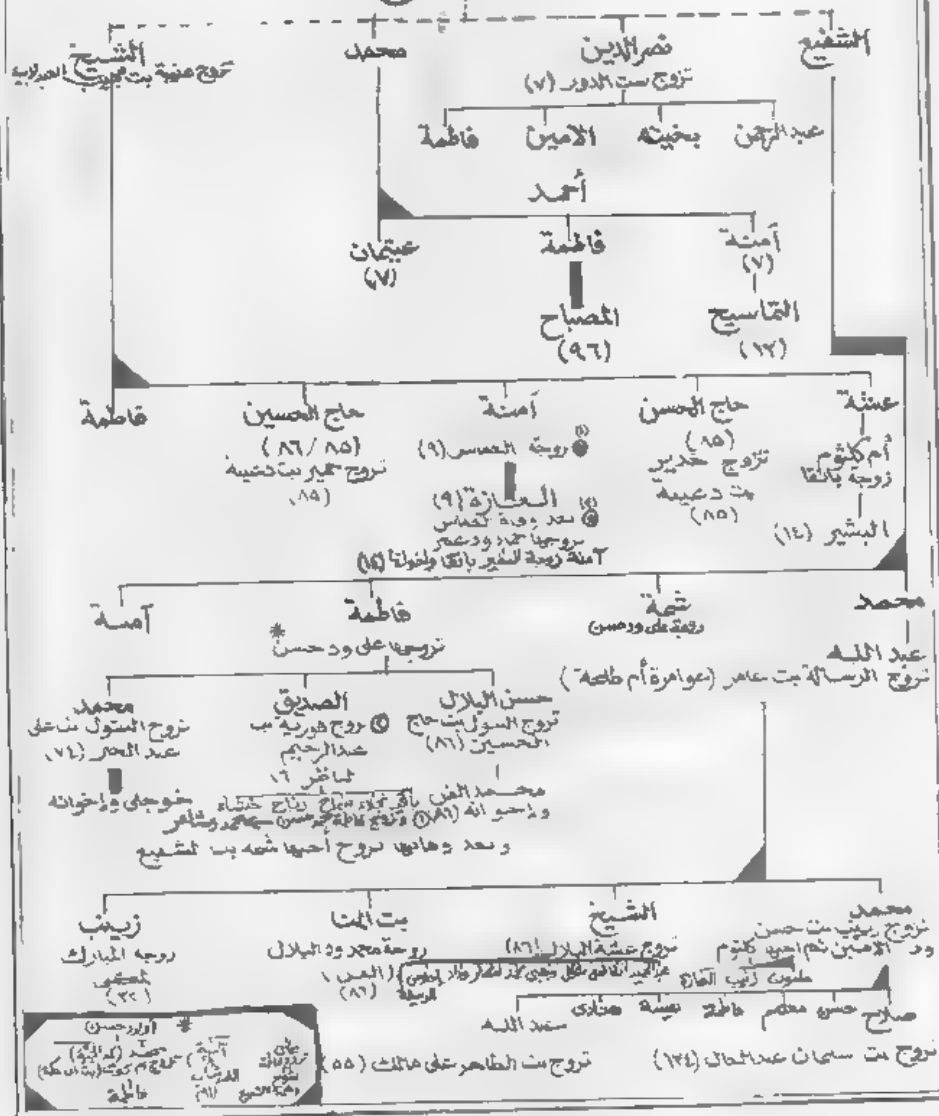


(A7)



(A.4)

عبد الباق



(٩١)

الجيليون

القبو شباب

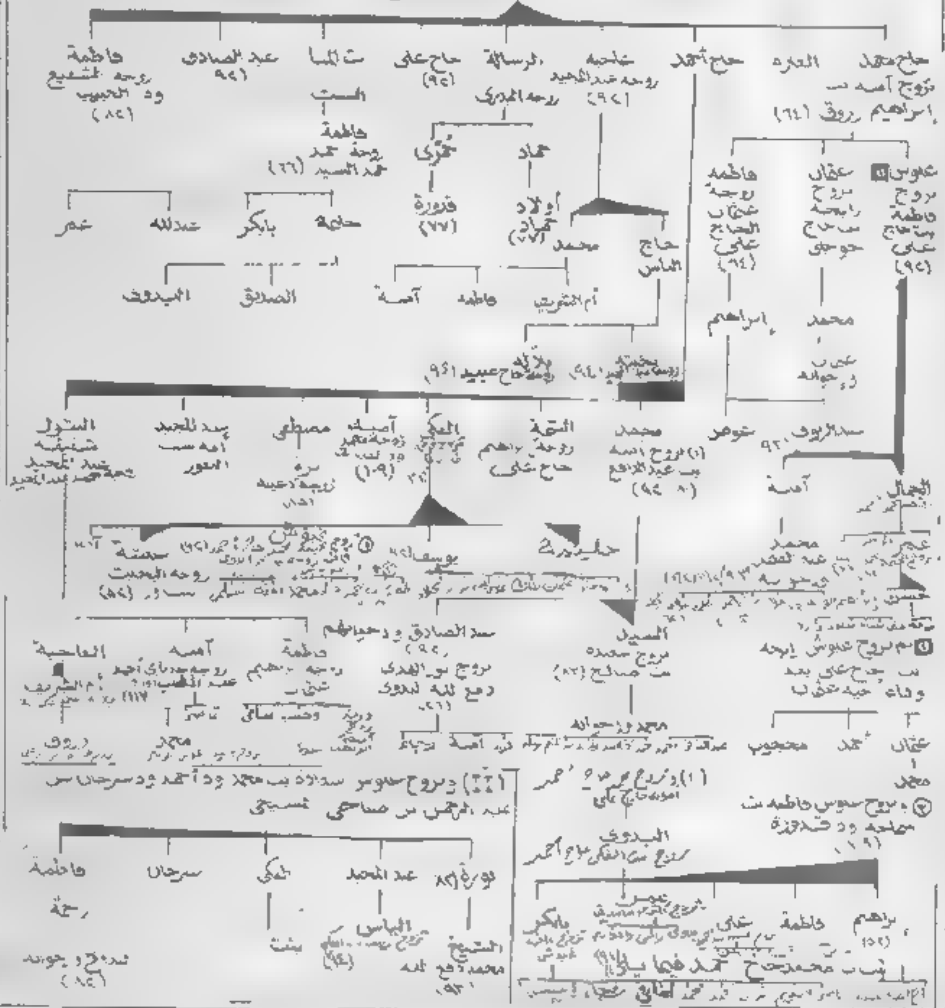
عوض الكرم (العوض)

تزوج من السيد بن عبد الرحمن ود عبد العال و عبيد (٦٥)

وفي رواية ود علي و در عبيد (٦٧)

عقبوش

(I) روح فاطمة بنت المكي محمد، شقيق وامها بفتح ت ود صيف الله (٢)



(40)



(A १)

آولاد احمدر

جہاز ادریس و احمد

تزوجت عبد السلام وود حميد (٦٥)

محکمہ



(٩٤)

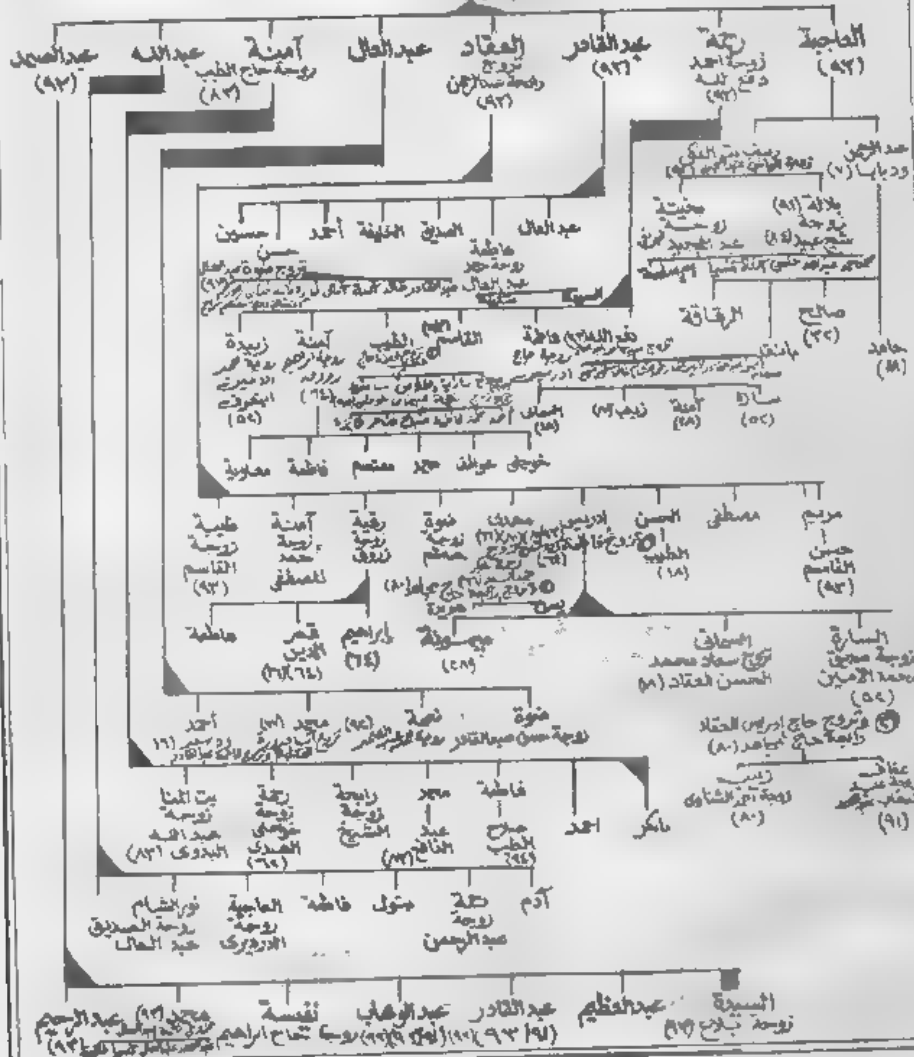
الجفيليون

أولاد إبحر

فاطمة بنت واثق الحاج

نوجة حاج أحمد مخرج

(درينس ٩٢)



(40)



(A 7)

10

روح البازيت مَحْوِي (١٠٨)

(۱) الوزير محمد نفوس (۸-۶)



(1-5)



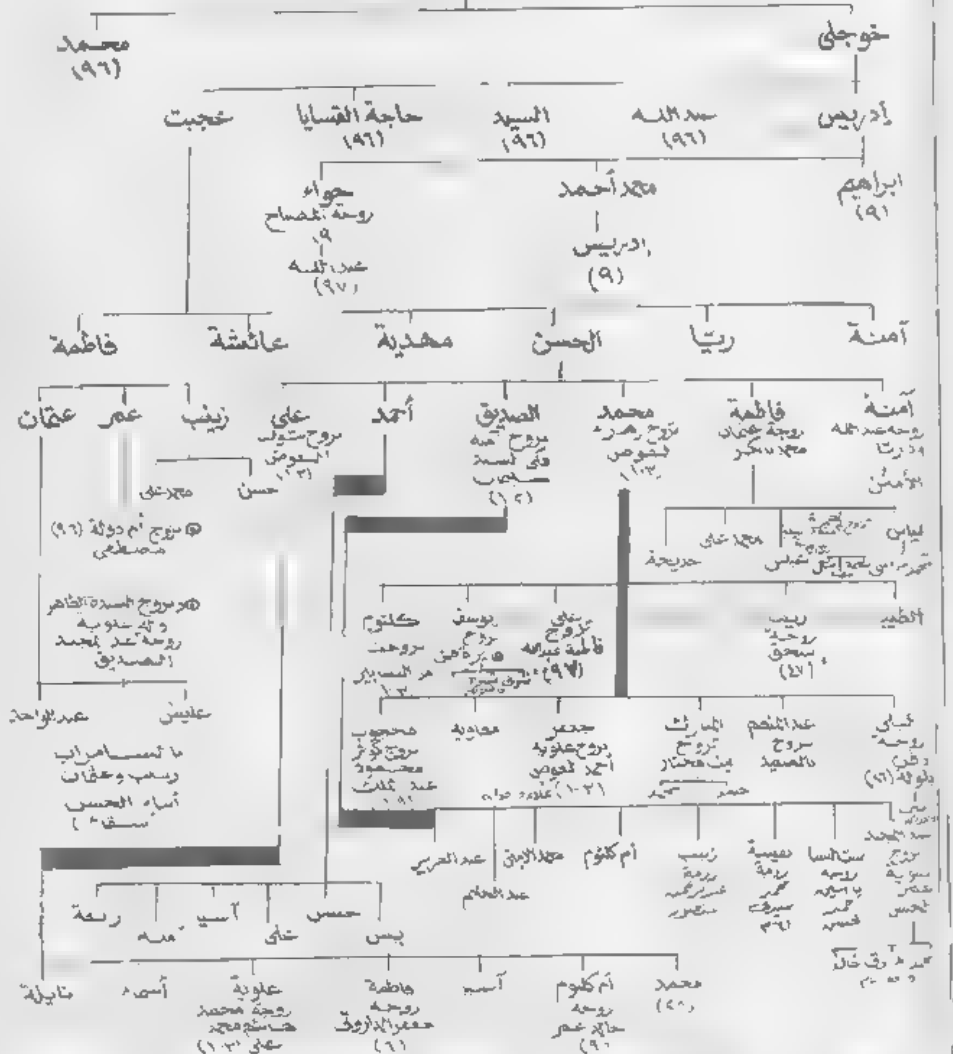
الجفسيون

(٩٨)

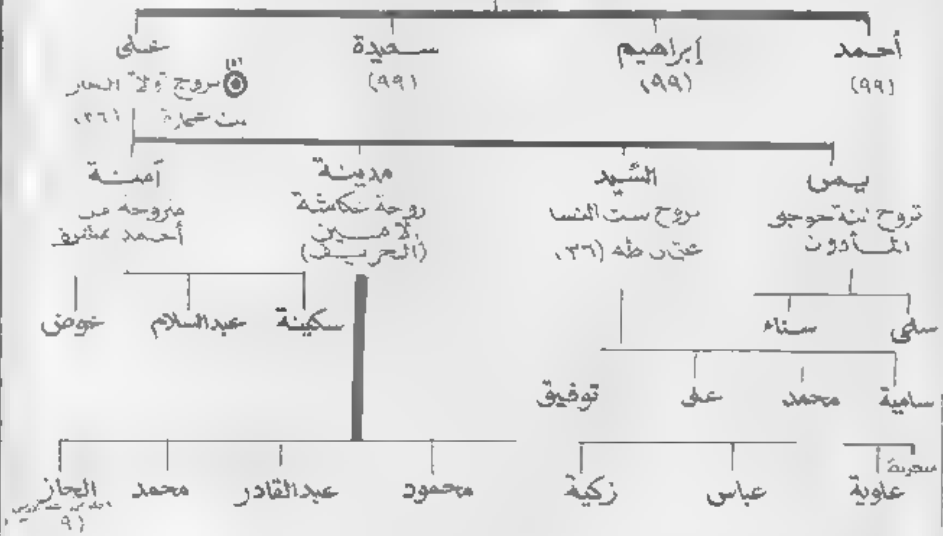
أولاد الوزير محمد نور (٢)

أولاد الحسن الشنقيطي

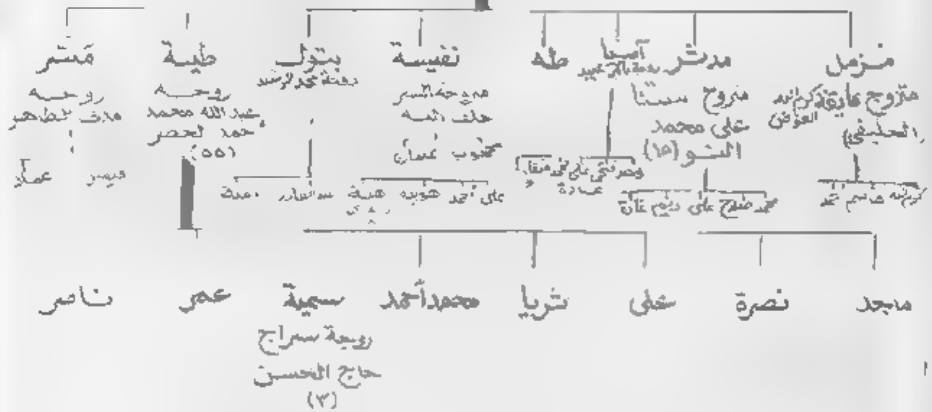
الوزير محمد نور



(١٠٠) **الجبليون**
أولاد السيد (٩)

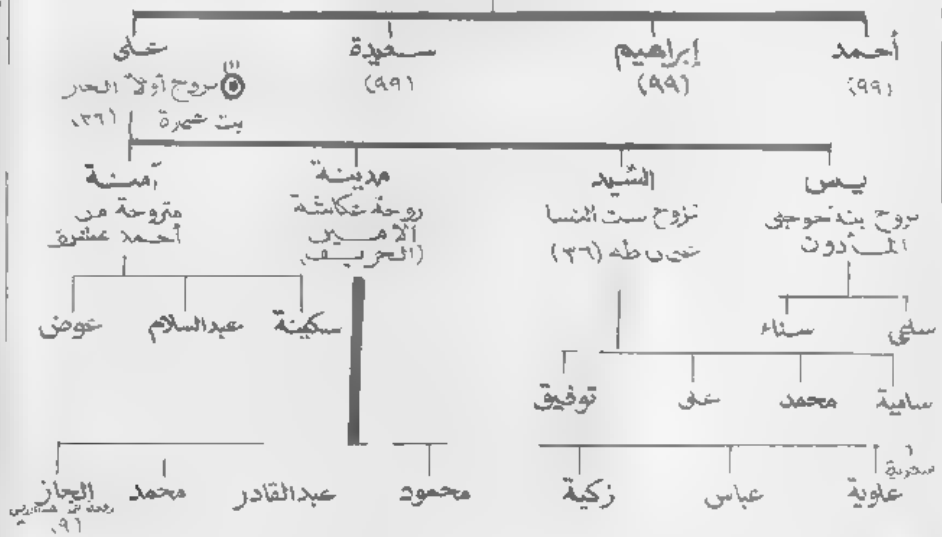


❶ وتزوج علي السيد أم كلثوم بنت أحمد الجويسر (٩٦)

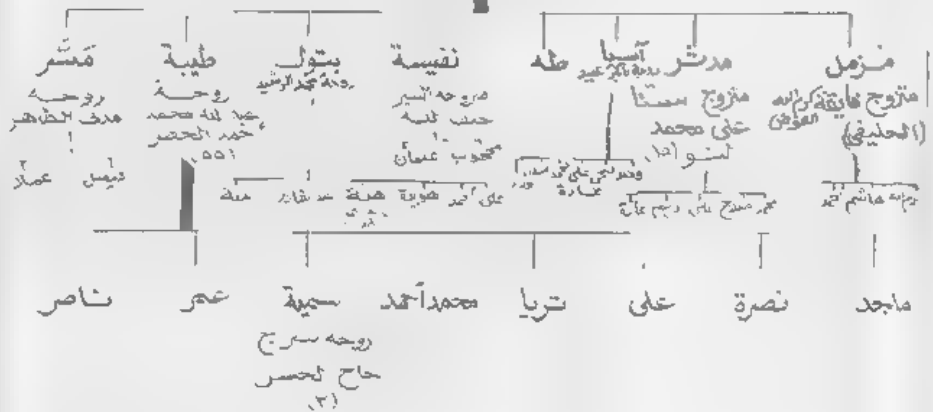


الجبليون أولاد السيد (٩١)

(١٠٠)



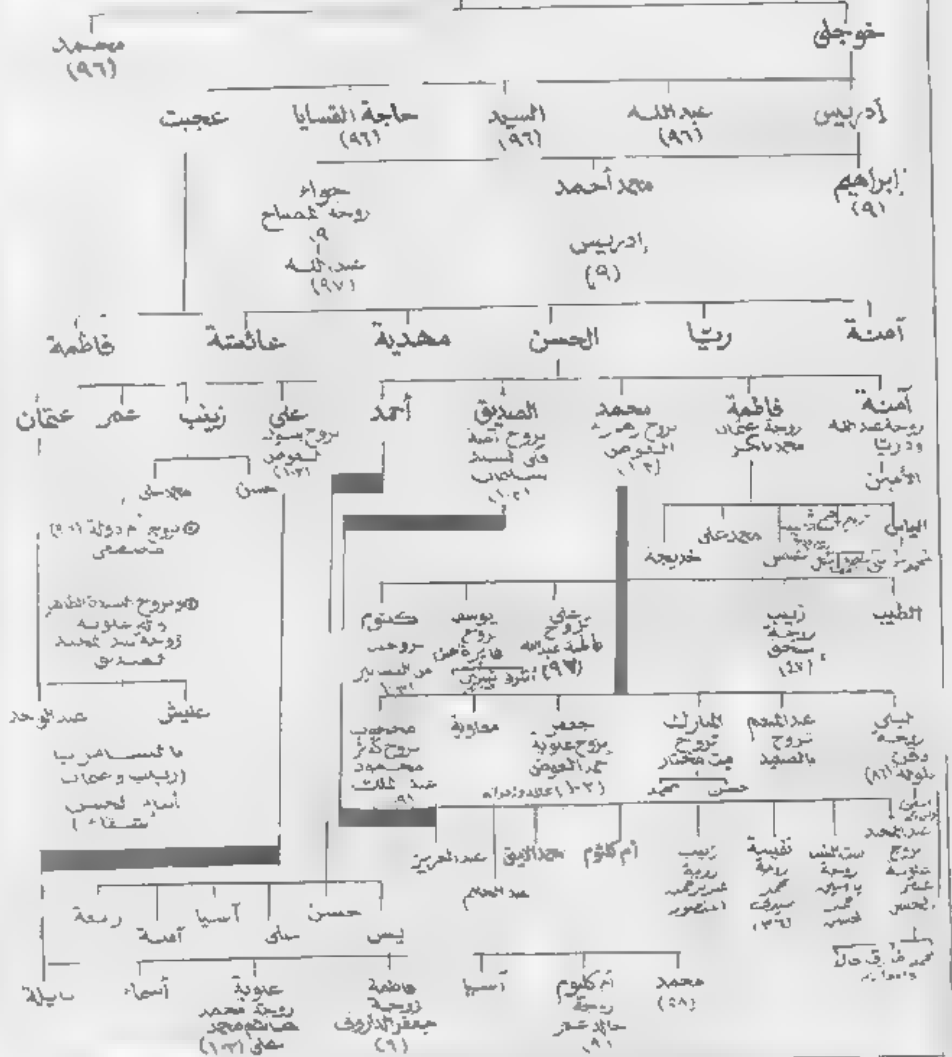
وتزوج علي السيد أم كلثوم بنت أحمد الجويسر (٩٦)



(4N)

أولاد الحسن الشنقيطي

الوزير محمد قوس



(105)



(1-2)

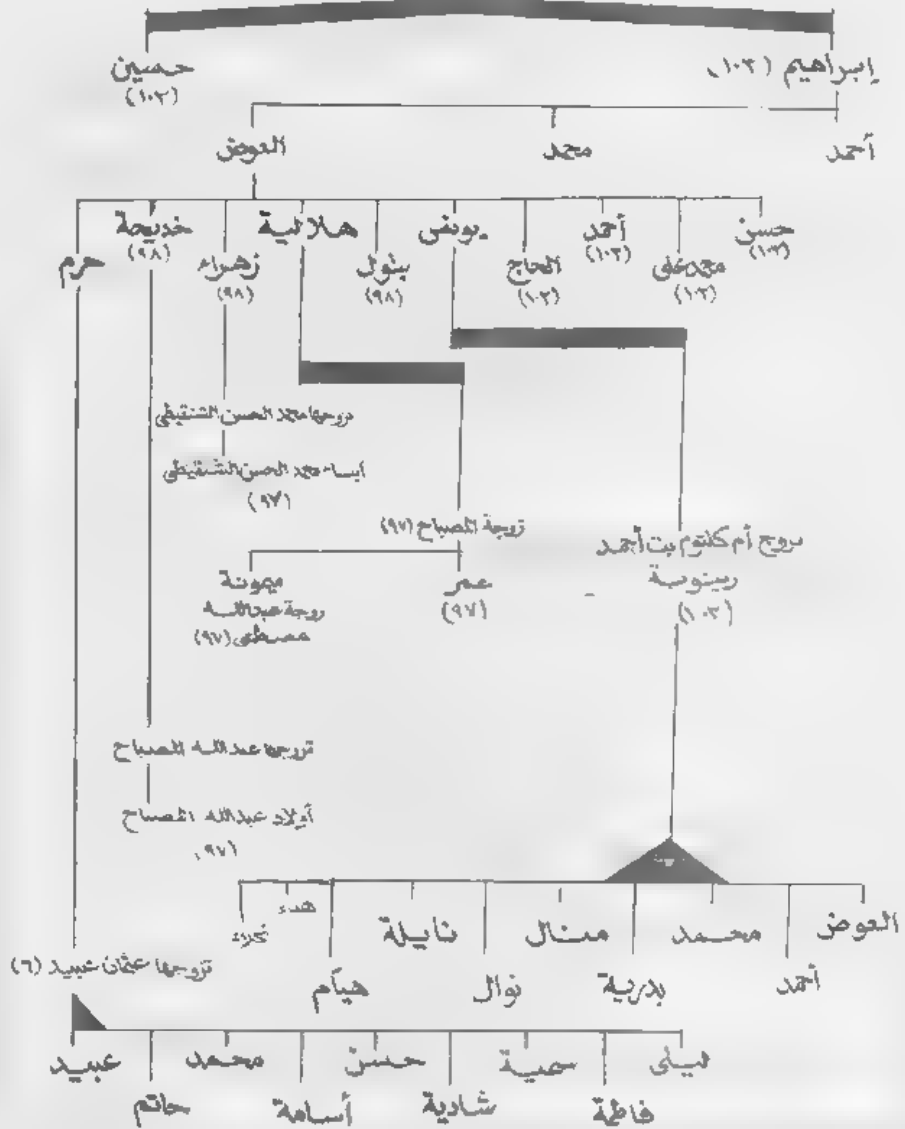
آبو یونس

تزوج هلاكية بنت سواض

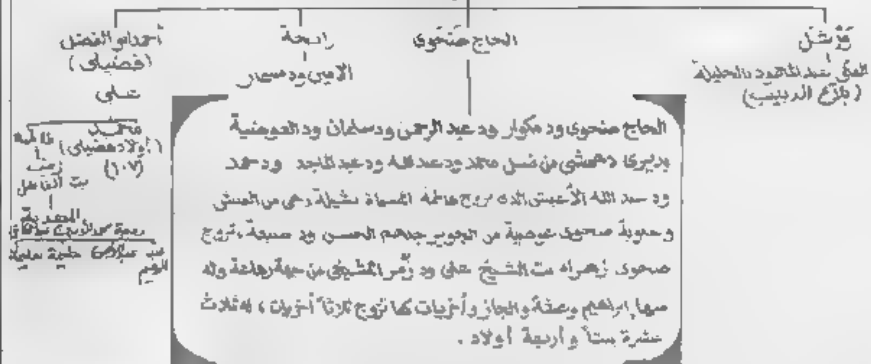


(١٠٤)

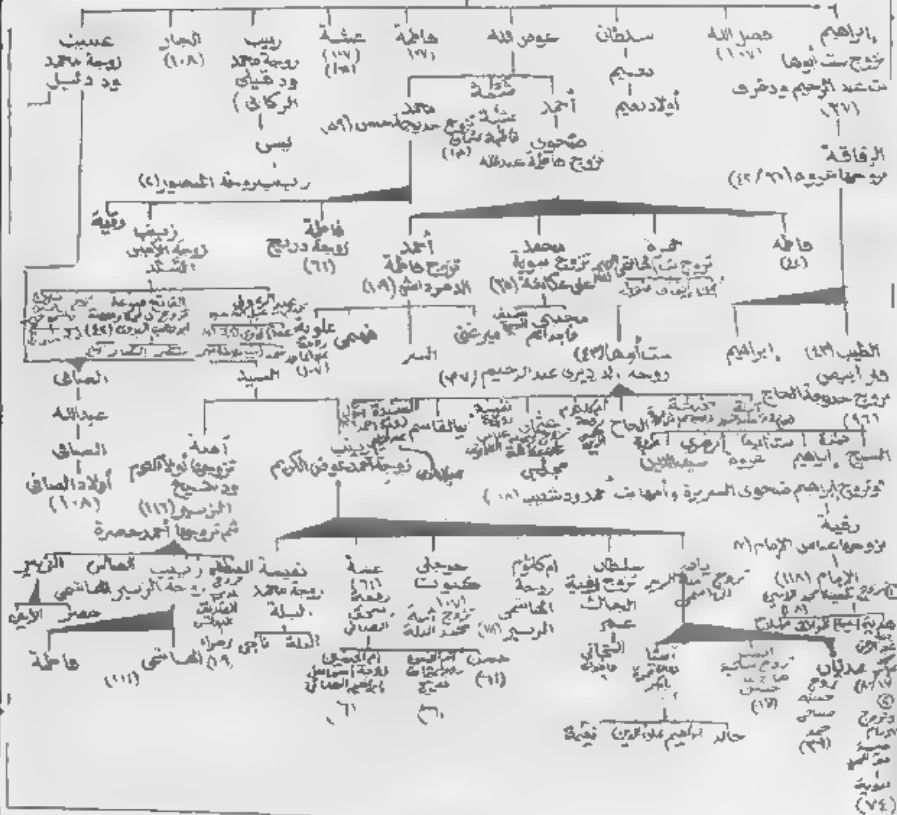
الجعافرة أولاد أبو يونس (٤) أبو يونس



(1.7)

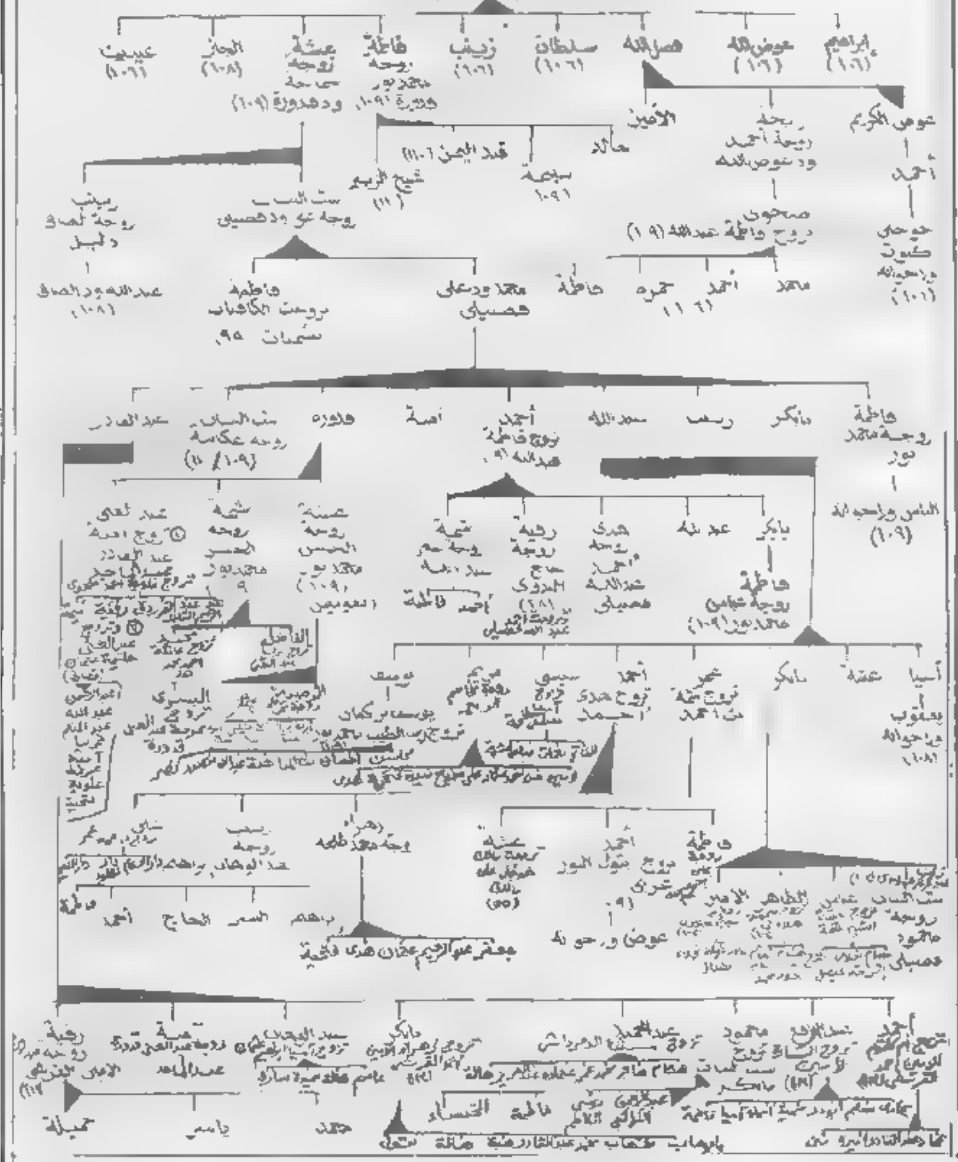


صحبہ

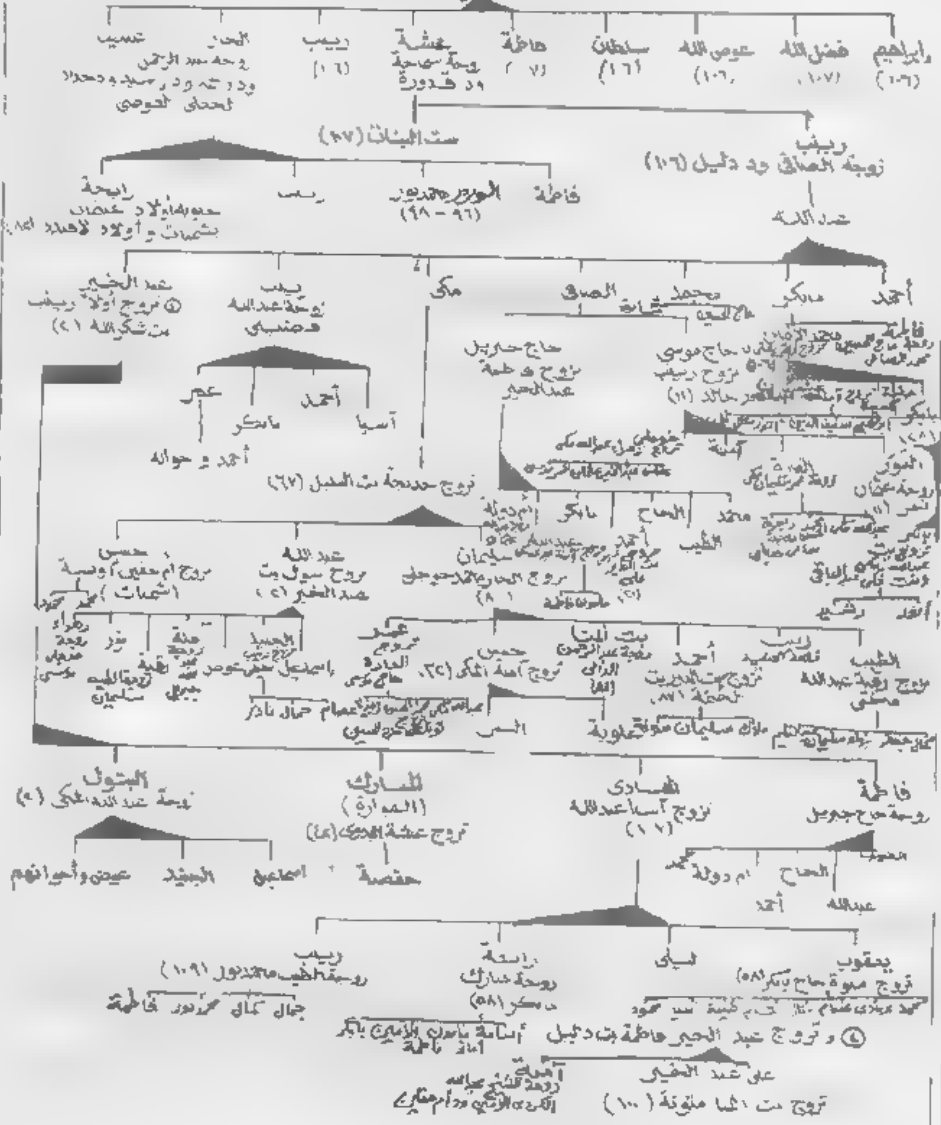


الجدلية

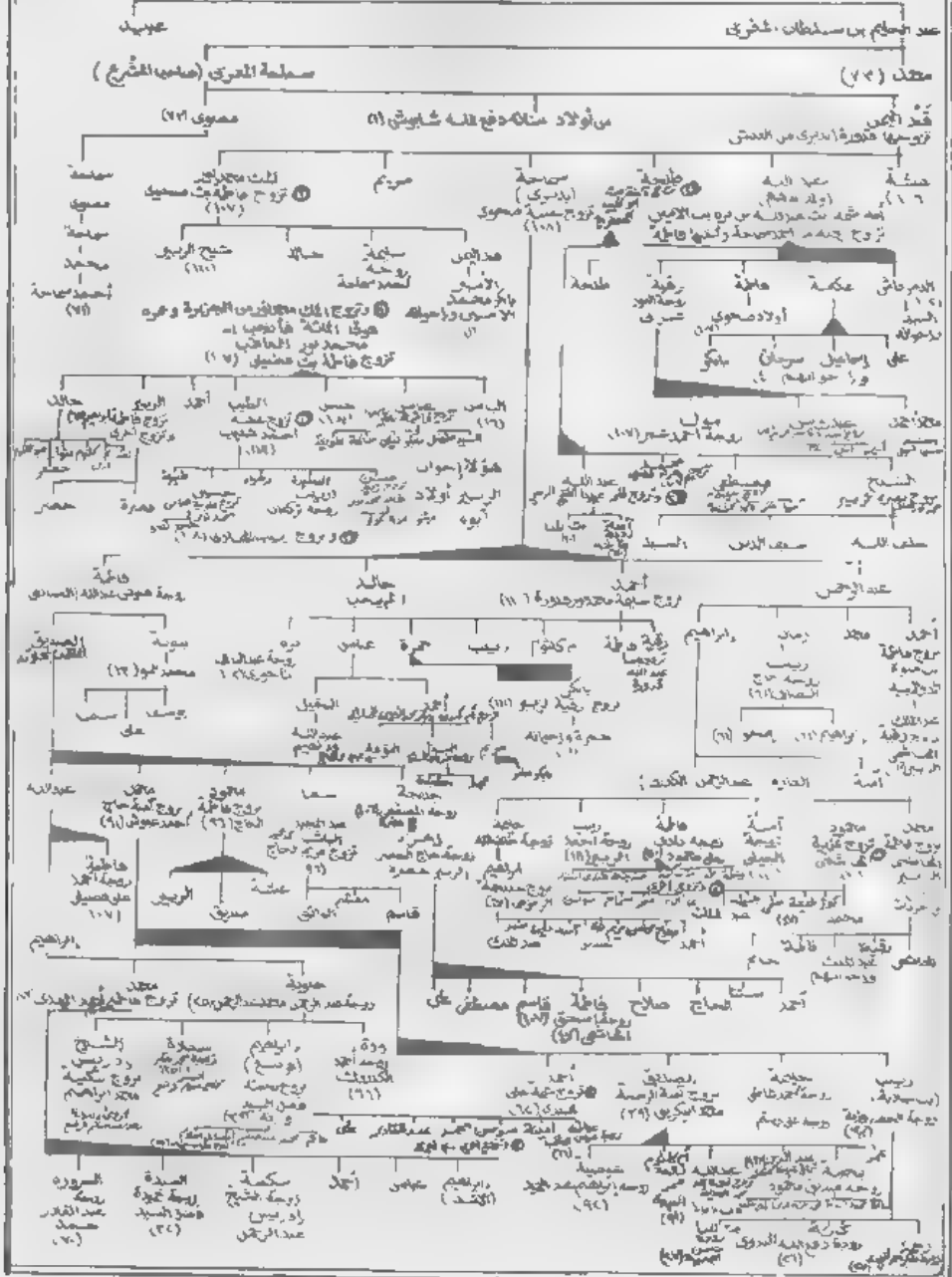
الحاج صبحی



السيديونية
أوتد الحاج ضحوى ومكور
ولاد عبدالله والصابي
ضحوى



الجدريية أولاد خندوة



(11-)



(119)



المحياب

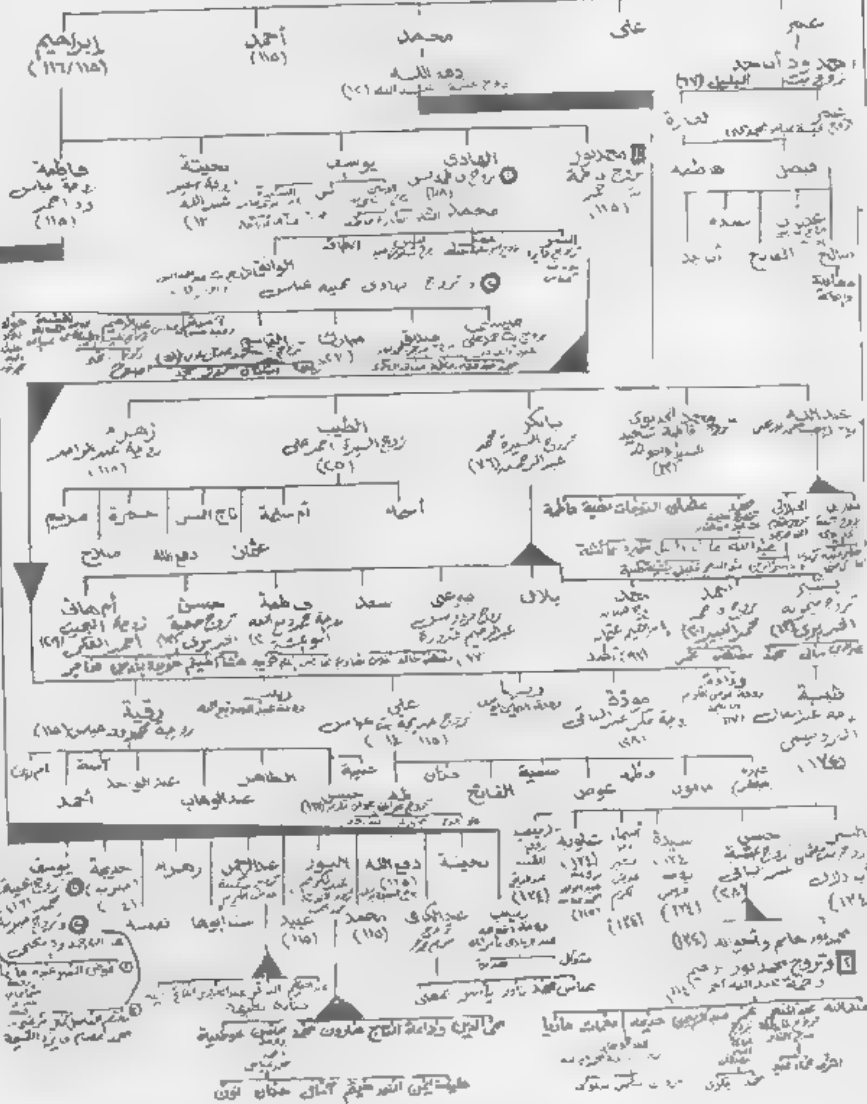
يحيى

(من عرب الاممادة)

سوز صاردية

دفع الله

أمة وداة بنت ريمت صيف الله ٢٤٦



(١١٥)

الحياب

يحيى (من الأعمامة)

تزويج صابرية

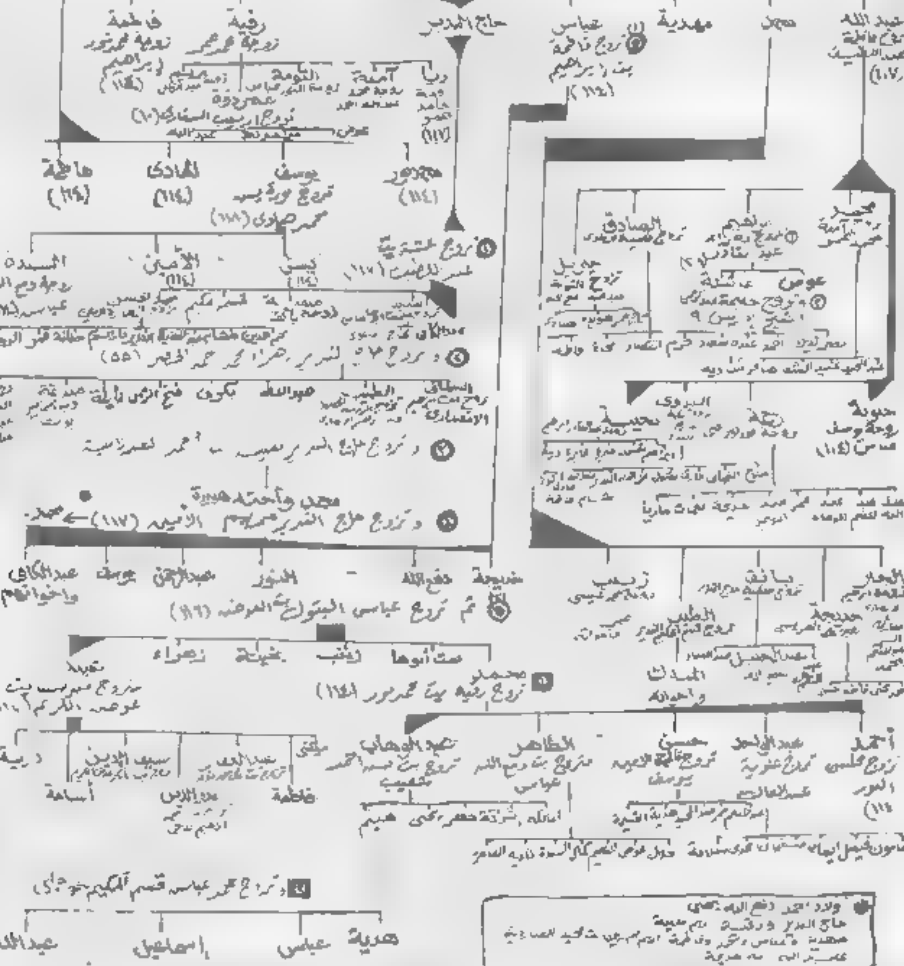
دفع الله

أهله وولده بت زينب بنت ضيف الله (٢٤)

عمر (١١٢)

أحمد *

خافي

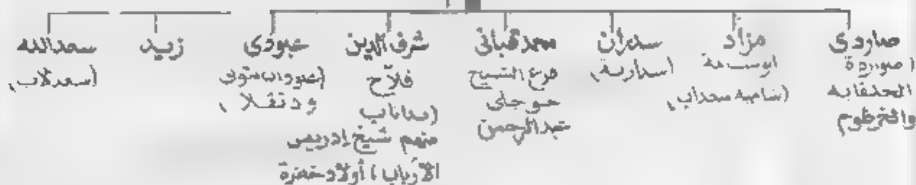


السَّـوَارِدَةُ
كعب الخزرجي الأنصاري

محمد فخرین امجدی

جذر الحشيش

زید



(11A)



150

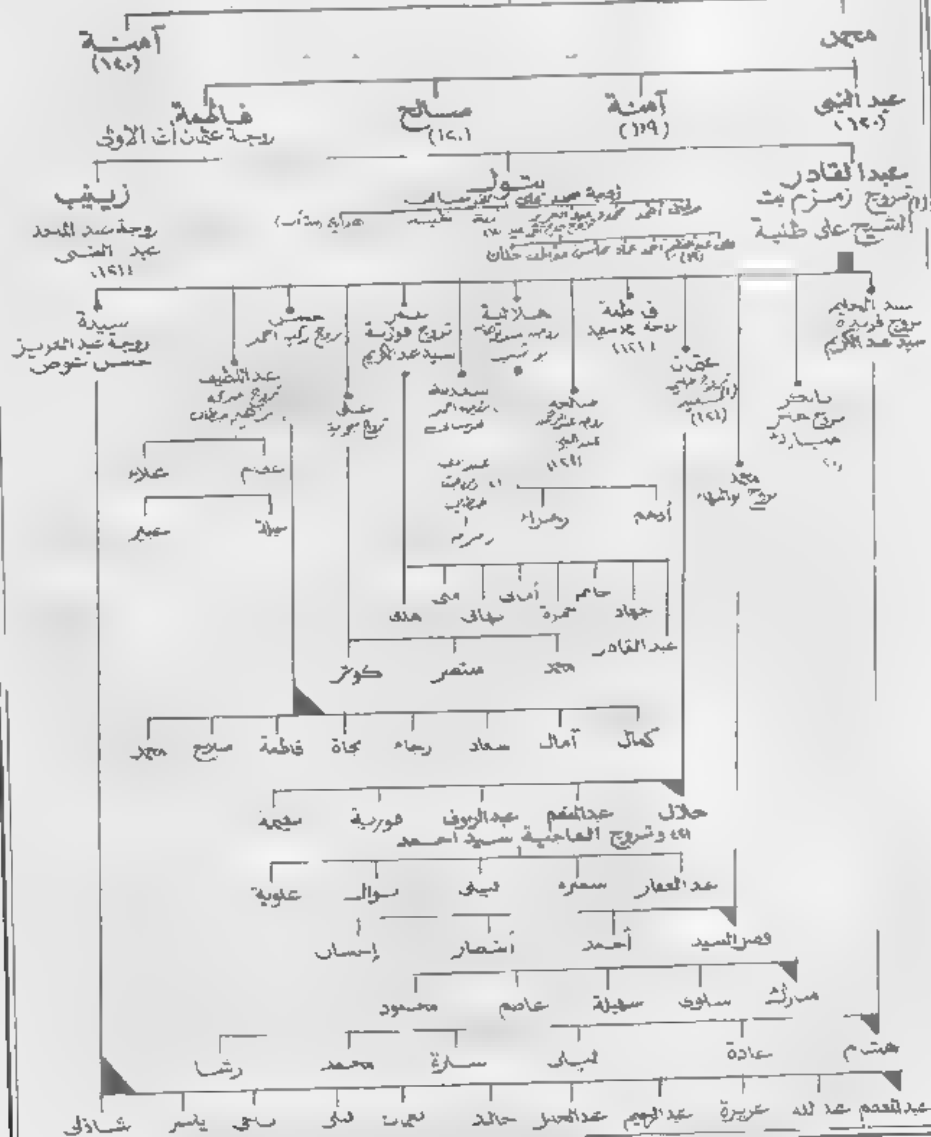


(150)



السَّوَارِيت أحمد الوفاة أحمد الأصغر السدروني

(١٢٥)



(١٢٣)

الشايقية

العدلاناب
شايق بن حديدان

الحاج محمد (كنفق)

الملك صالح (ابو الحنكباب والعدلاناب والعامراب)

الملك محمد العادل (جد العدلاناب)

الملك علي (مجموعة عسوم)

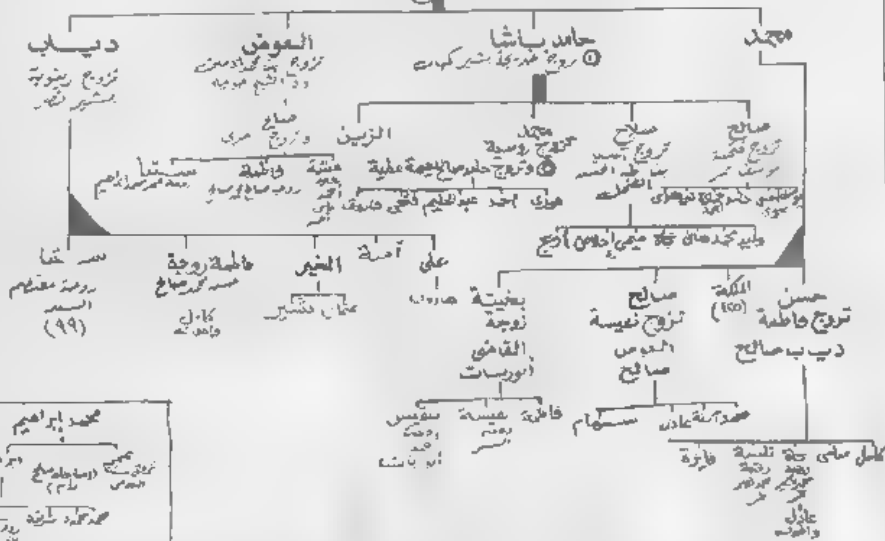
الملك محمد سميج (مجموعة عسوم)

ضياب

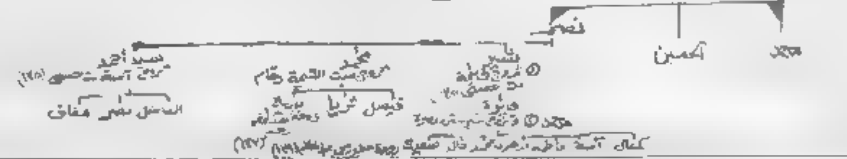
الأرباب علي

الملك

أولاد صالح الملك



الملك جاویش الكبير (۱۱)



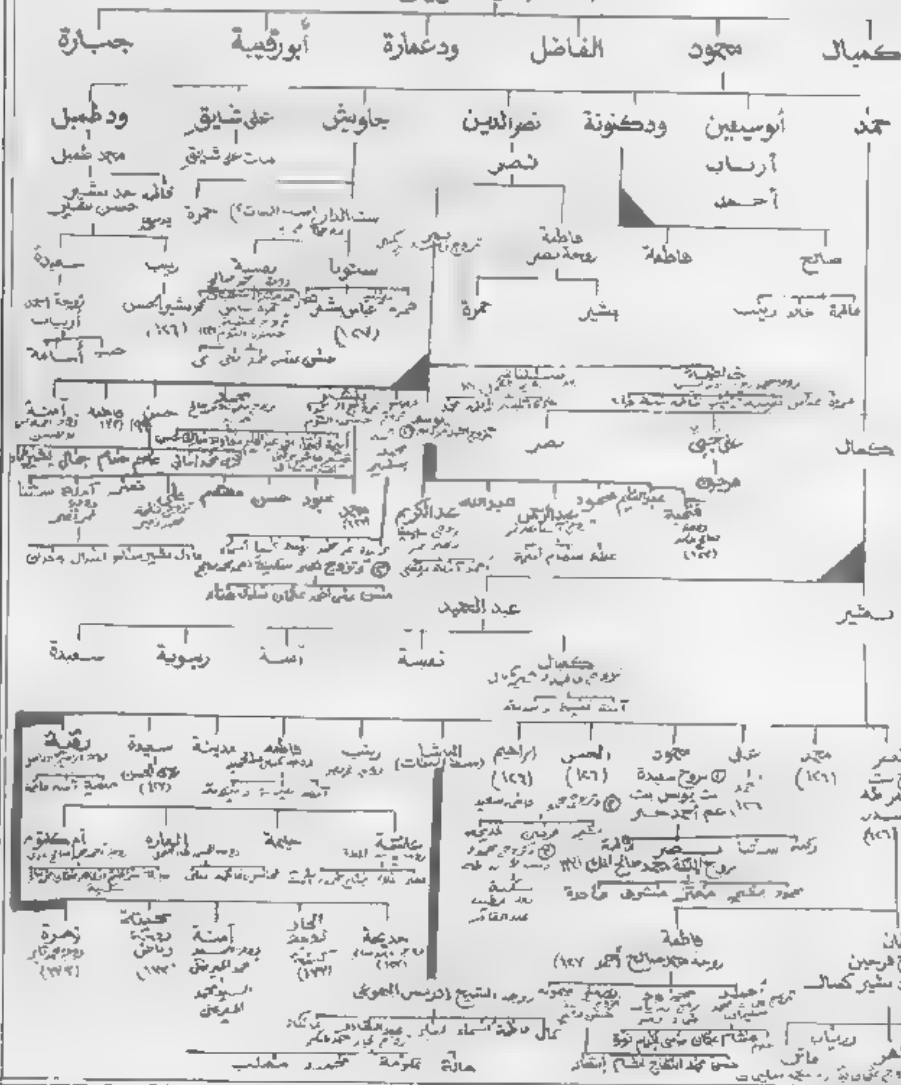
(15)

الشائقة العذلاب

أولاد الملك جاويش^(٤)

(المموداب)

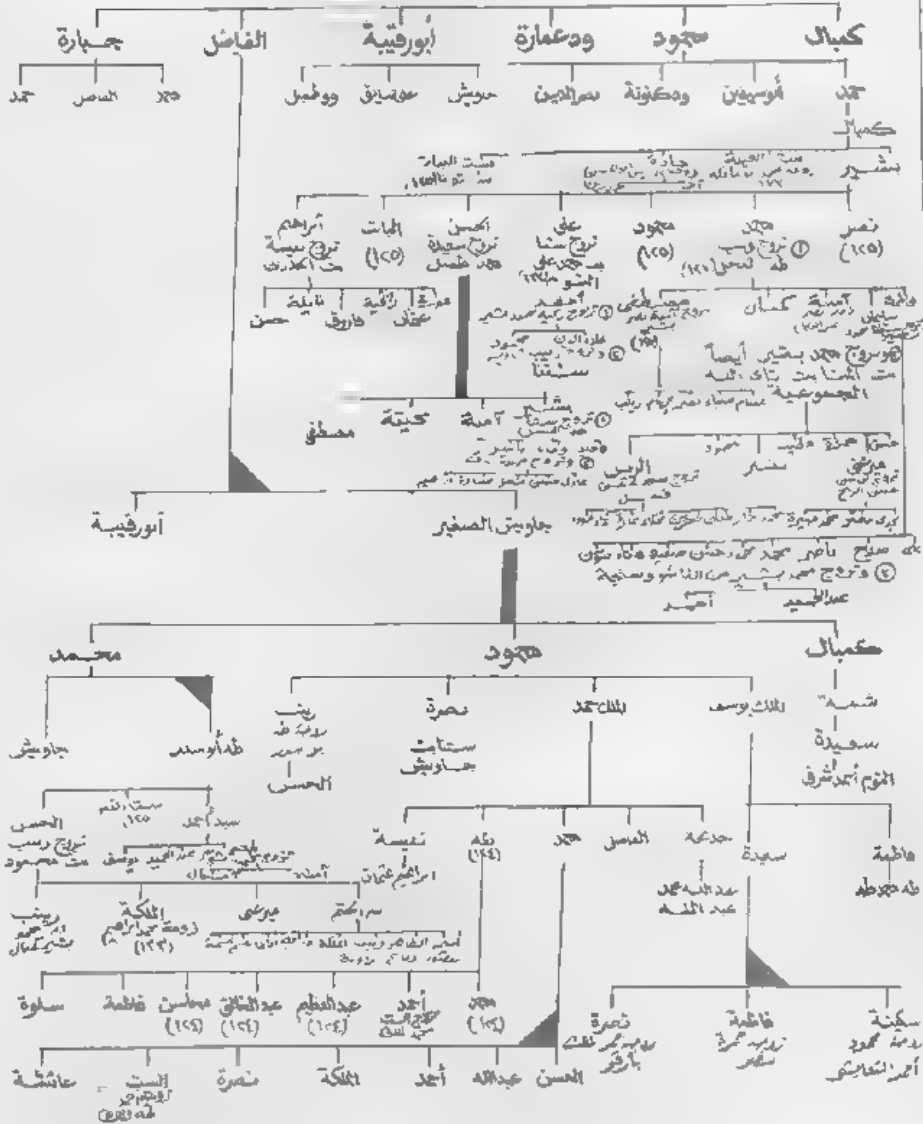
المثلث جباویش



الشَّايِقِيَّة العَدْلَانَاب

(١٢٦)

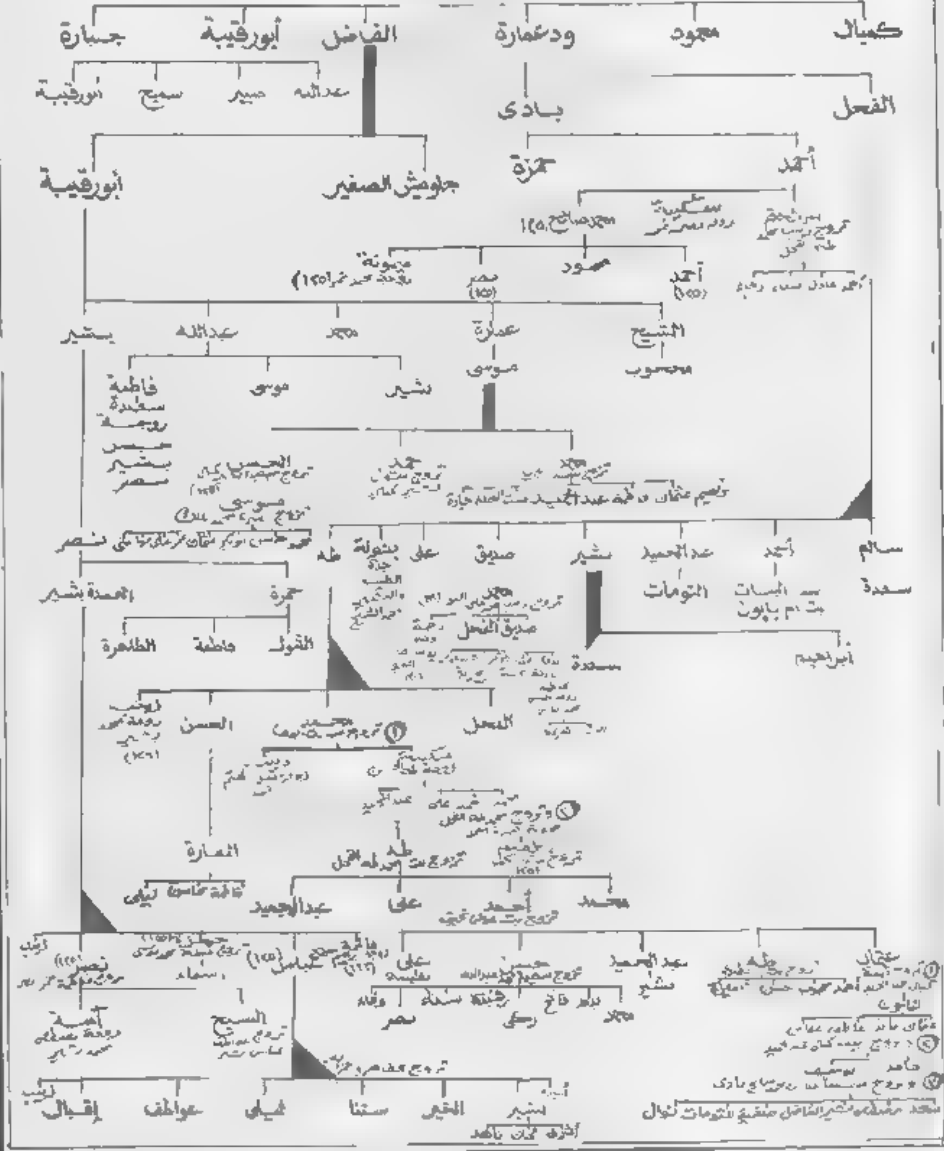
أولاد الملك جاویش (٣)



(١٢٧)

المشايخية العدلاناب

أولاد الملك جلاويش (٤١)



الشايقية

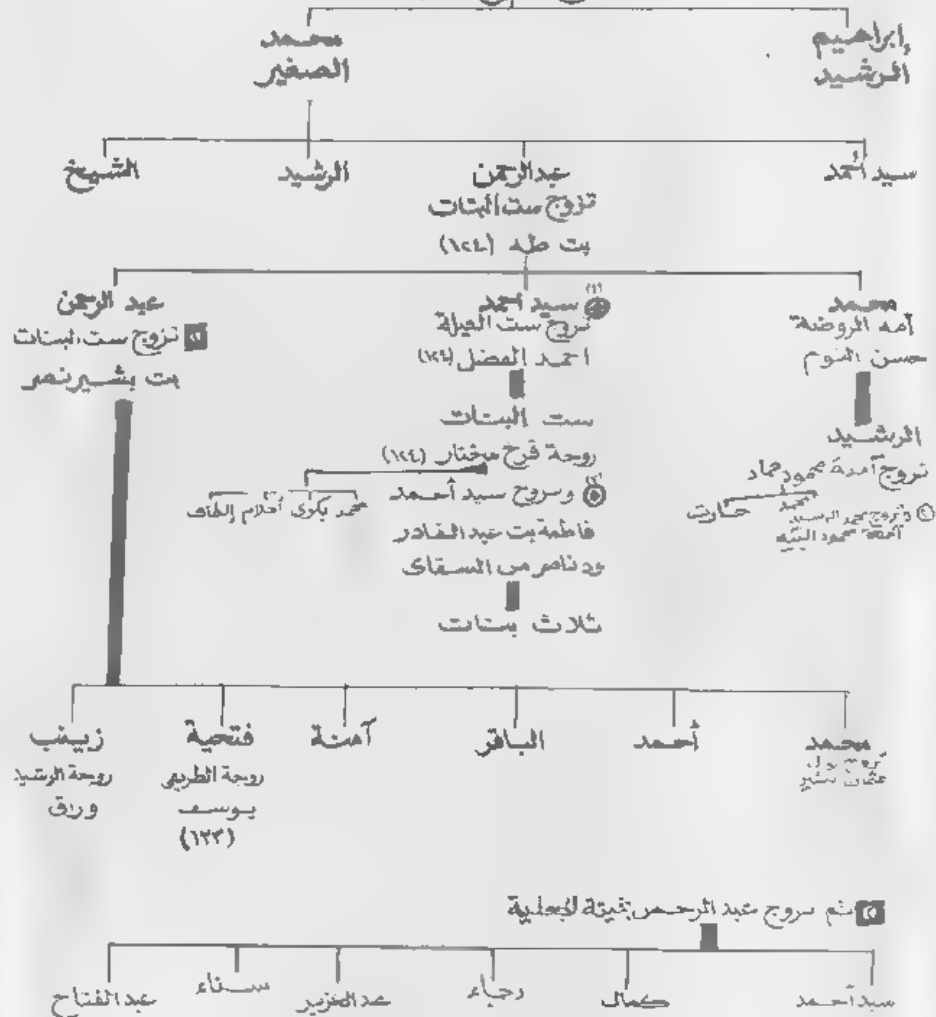
أبناء إبراهيم الرشيد (١)
الدويحية
نسب السيد إبراهيم الرشيد

هو السيد إبراهيم الرشيد بن السيد صالح الرشيد
ابن السيد عبد الرحمن بن السيد محمد بن السيد
عبد الرحمن ودحاج بن السيد محمد حاج
ابن السيد محمد بن السيد إدريس الولى بن
السيد بعشارة بن محكم بن السيد جبير بن
محمد دويح بن السيد الفلام الكبير بن السيد
عايد بن السيد عبودي بن السيد إبراهيم مقبول
بخلاف المقبول المقرف بالالف واللام الذى
بجدة يزار بن السيد الإمام أحمد الزيلقى
باليمن من مدينة الحج بن السيد محمود بن
السيد هاشم بن السيد مختار بن السيد
سراج بن السيد هاشم أيضاً بن السيد إسماعيل
ابن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر بن
السيد محمد التقي بن السيد محمد المنق
بن السيد محمد الباقر بن السيد الإمام
حسن العسكري بن سيدنا الإمام على
زين العابدين الأصغر السيد بن سيدنا
الإمام الحسين شهيد كربلاء بن سيدنا
على كرم الله وجهه ورضى الله عنه زوج السيدة
فاطمة المتول بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم .



(١٢٩)

الشَّائِقَةُ
ابناء ابراهيم الرشيد (١٢٩)
السديحية
الحاج صالح الرشيد



(131)

المناقشة

السليمانية وأولاد بُنَّة (الحكَّاب) (١١)
عدنة بن شائق بن حميدان

ملاح

الحمد لله

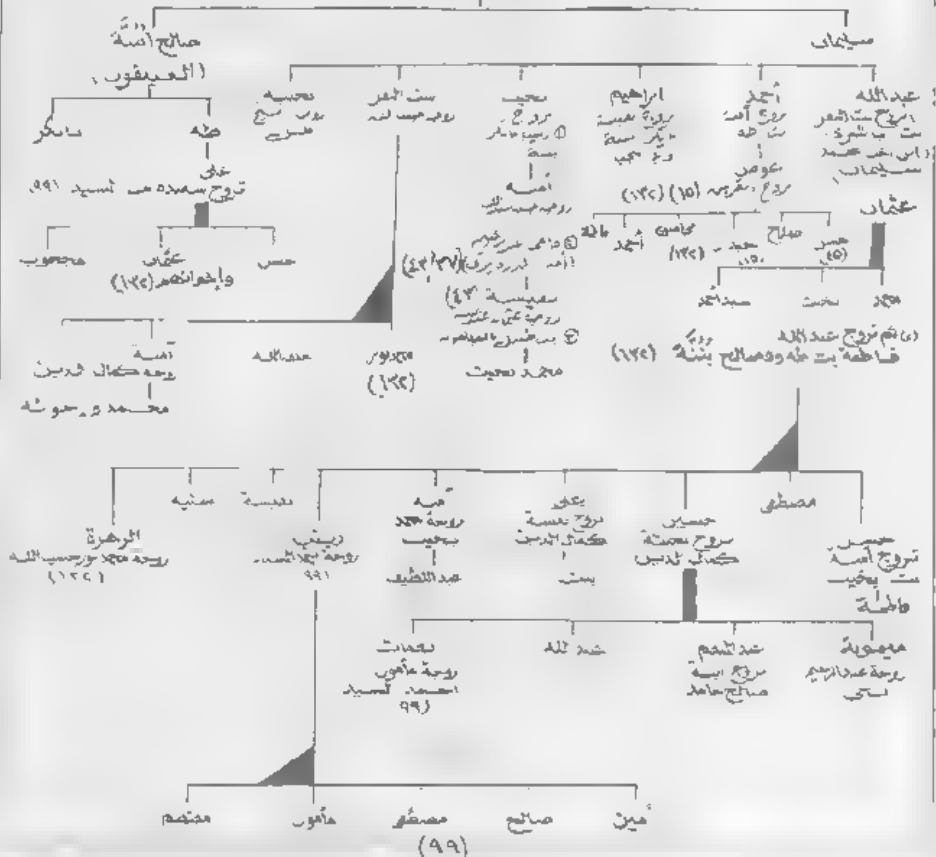
الأزباب يوسف (حد الحركات)

صالح

—A—M—A—

ملفوظات

—



(135)



(١٣٣)

الشياقية

١ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

٢ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

٣ كنة
تزوج محمد بن كنة أم الخليل

٤ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

٥ كنة

٦ كنة

٧ كنة

٨ كنة

٩ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

١٠ كنة

١١ كنة

١٢ كنة

١٣ كنة

١٤ كنة

١٥ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

١٦ كنة

١٧ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

١٨ كنة

١٩ أولاد أبو عاقبة المصري
محمد بن عاقبة بنت محمد أبي قحافة

٢٠ كنة

٢١ كنة

٢٢ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

٢٣ أولاد كنة

٢٤ كنة

٢٥ كنة

٢٦ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

٢٧ كنة

٢٨ كنة

٢٩ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

٣٠ كنة

٣١ كنة

٣٢ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

٣٣ كنة

٣٤ كنة

٣٥ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

٣٦ كنة

٣٧ كنة

٣٨ أولاد كنة
محمد بن كنة أم الخليل
تزوج عجمية بنت محمد صالح الهك حاد بن أم خلفه

٣٩ كنة

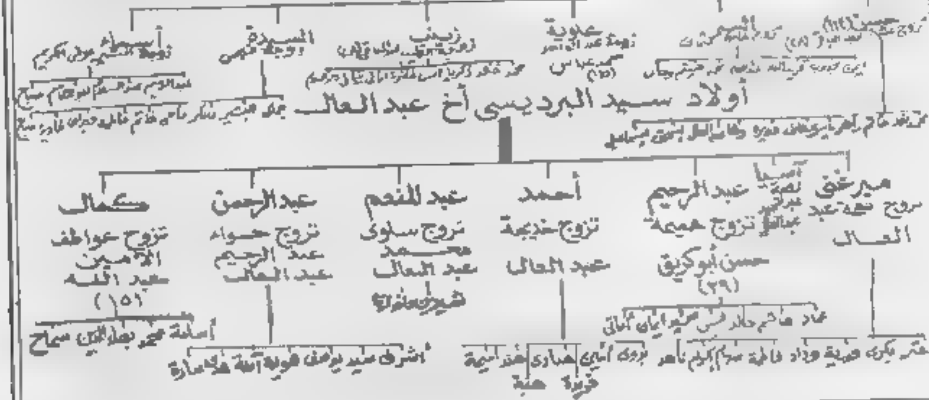
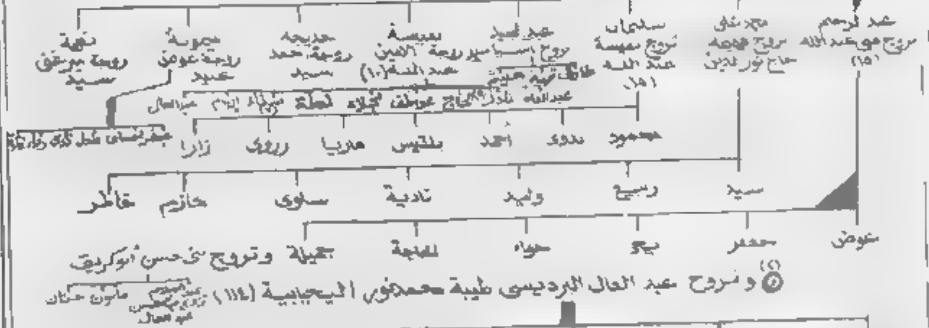
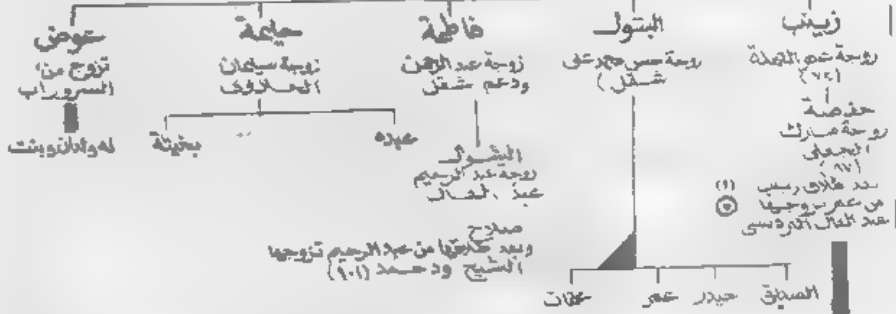
٤٠ كنة

(١٣٤)

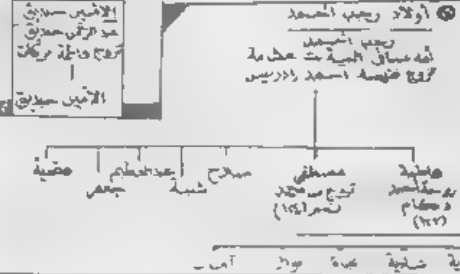
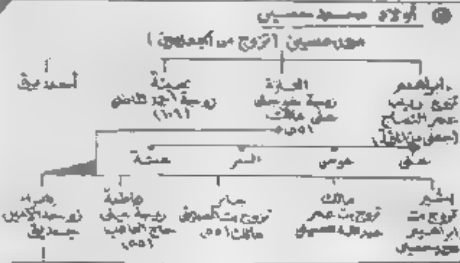
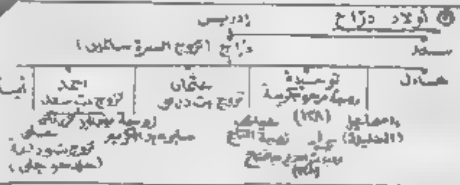
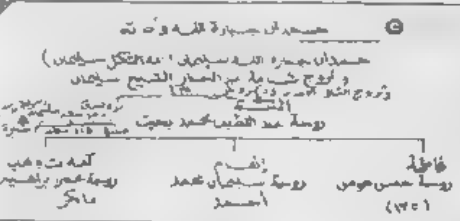
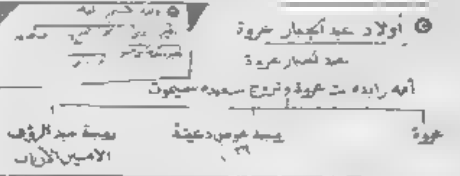
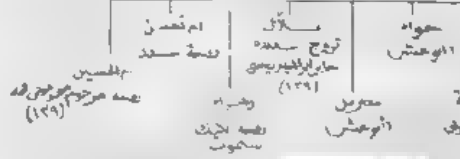
أولاد عثمان ود حمد (نبرقي) وعبد العال وسيد البرديسي

عثمان ود حمد

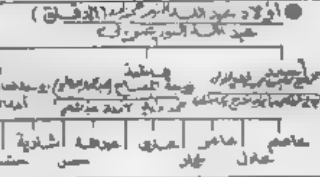
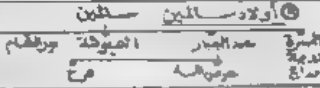
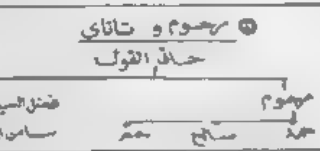
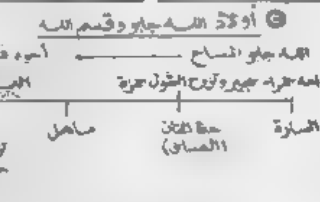
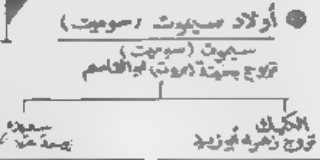
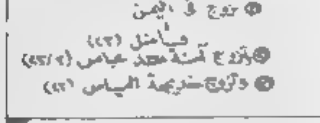
تزوج بـ نعمة بنت خالد (٧٠)



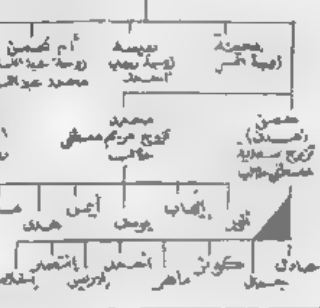
١ أولاد السيد فاطمة ١١١
زوج السيدة دعي الممد



٢ أولاد السيد فاطمة ١١١
السيد فاطمة أحمد السيد ١١١



٣ أولاد السيد فاطمة ١١١
السيد فاطمة أحمد السيد ١١١

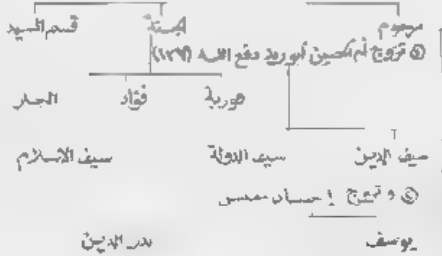


بنات الجراك

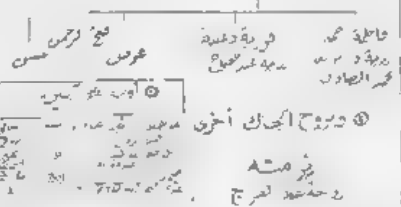
تزوج بنات الجراك محمد حماد

مرحوم محمد عوض الله

تزوج من محمد عوض الله

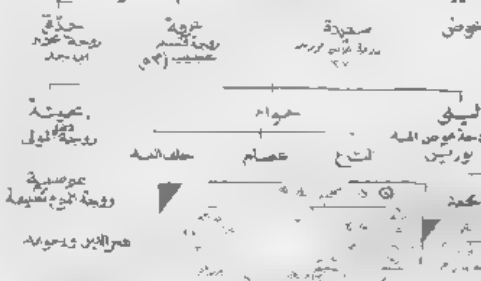


البرقنة
لجنة أحمد الفخيل وعقبة المصنوع (١٩١٩)



أولاد جابر

جابر أم هانئ يحيى

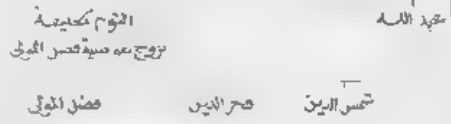


أولاد حنف الله المنصوري

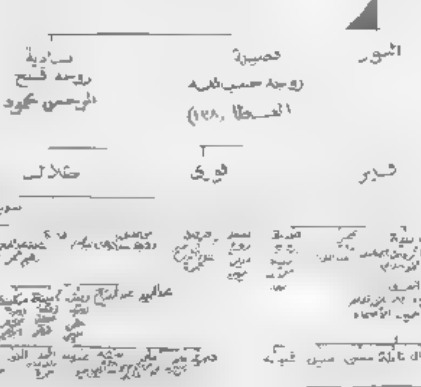
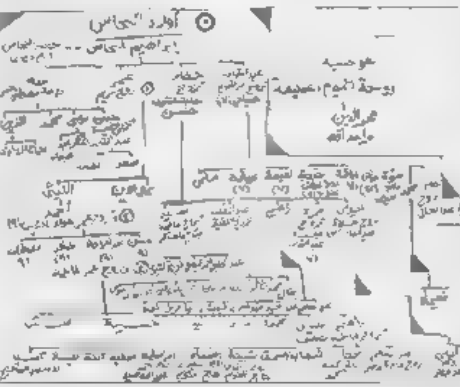
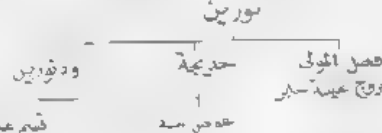
حنف الله المنصوري



العصف



أولاد نورين



ملحقات



خريطة السودان مبين بها الأماكن والمجموعات المتصلة بحلقات الملوك

تَبَيَّنَ أَيُّهَا لَهْبٍ وَتَبَيَّنَ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَلَبَتْ سَيْمِلُ نَارًا
وَأَتَاهِبُ وَأَمْرُؤُهُ مَالَهُ الْخَطِيئَةُ جِدَهَا جَلَّ مِنْ مَقْدَرِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الْقَدِيمُ ذَكَرْتُمْ لَكُمْ تَوَلَّدْتُمْ أَتَبْنُونَ كُفُوفًا
أَحَدًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْمَلَفِقِينَ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقْتُ مِنْ شَرِّ غَاسِقَةٍ إِذَا وَقَفَتْ مِنْ
شَرِّ النَّفَّاثِينَ يُلْقُونَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَيْهَامِ الْخَائِسِ
الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

ثم علي بن أبي الفتح محمد بن الفقيه عبد الله بن الفقيه أديب بن أبي الفتح
أحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله

وكان ماله هذا الكفاي الحاج دفع الله بناديس بن حلوان عن عيسى بن هرون
النسب جديراوي وهو من الذهب ماله وهذا الكفاي دفعه الشيخ محمد بن أبي الفتح
اللهم احسن عاقبة امره في الدنيا والآخرة عاصي ما بين العطين
ولو دفع هذا الكفاي شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصفحة الأخيرة من مصحف الشيخ دفع الله شايوش ميمن ٣٠ سنة (أطرب جدول
الأسباب رقم (١) وقد آل المصحف إلى الشيخ صالح محمد نور الدين

مراجع البحث

المراجع العربية

- ابراهيم عبدالدافع : كتاب الطبقات الذيل والتكملة، تحقيق أبوسليم ويوسف فضل، نشر معهد الدراسات الاسيويه والافريقيه .
- تاريخ ملوك السودان (مع اخرين) تحقيق د. مكى شبيكه، مطبعة
ماكاركوديل .. الخرطوم.
- أحمد بن على كاتب الشويه . مخطوطة كتاب الشويه، تحقيق الشاطر بصيلي، القاهرة
إدريس جماع : لحظات باقية .
- حسن مصطفى حسن : دراسات في البيئة السودانيه، جامعة الخرطوم ١٩٧٨م .
- سلاطين باشا : السيف والنار ، بيروت .
- الشاطر بصيلي : معالم تاريخ وادى النيل، القاهرة .
- شعبة ابحاث السودان : تاريخ لعبدلاب من خلال رواياتهم .
- عبدالعزیز امين عبدالمجيد . تاريخ التريه في السودان، تحقيق عبدالله على ابراهيم،
معهد الدراسات الافريقيه والاسيويه .
- عثمان حمدالله : سهم الارحام في السودان .
- كتاب التعارف والعشيرة .
- سهم العروبة في السودان .
- عوض محمد خليفات : مملكة ريعة في وادى النيل، الاردن .
- عون الشريف قاسم . قاموس اللهجة العامية في السودان، القاهرة، ١٩٨٥ .
- الرسالة الخاتمة، الاسلام والثورة الحضارية، الاسلام والبحث القومى،
طبع دار القلم، بيروت ١٩٨٠ .
- الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، الخرطوم .
- محمد ابراهيم ابوسليم : تاريخ الخرطوم بيروت .
- الفونج والأرض الخرطوم .
- محمد المهدي : المشورات طبع ادارة المحفوظات وراة الداخلية، ١٩٦٣م .
- محمد صالح محى الدين : مشيخة العبدلاب بيروت .
- محمد محمد على : ألحان وأشجان، طلال شاره، تحقيق وتقديم د. عون الشريف
قاسم، جامعة الخرطوم ١٩٧١م، من جيل الى جيل الخرطوم، محاولات
في النقد، الخرطوم، الشعر السوداني في المعارك السياسية . القاهرة .

- محمد النور بن ضيف الله : كتاب الطبقات تحقيق د. يوسف فضل ، الخرطوم ١٩٨٥ م.
- مكى شبيكه : مملكة الفونج الاسلامية ، القاهرة ، السودان عبر القرون ، السودان فى قرن .
- مورهيد : النيل الأبيض ، ترجمة محمد بدرالدين خليل ، مطبعة دار المعارف القاهرة .
- نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان بيروت .
- هل : على تخوم العالم الاسلامى ، ترجمة عبدالعظيم عكاشه ، ١٩٨٧ م .

المراجع الاfrنجية

- Bruce J., Travels to Discover the Sources of the Nile, Edinburgh, 1805.
- Burchardt, J.L., Travels in Nubia, London, 1819.
- Cailliaud, Fred., Voyage a Meroe, au Fleuve Blanc, ou dela Fazoggi dans le midi du Royaume de Sennar, Paris, 1825.
- Crawford, the Fung kingdom of Sennar, London.
- English, J.L., A narrative of the Expedition to Dongola and sennar, Boston, 1823.
- Hasan, y.F., the Arabs and the Sudan, Edinburgh.
- Holt, P.M., A Modern History of the Sudan, London.
- Macmichael, H.A., A History of the Arabs in the Sudan, London, 1967.
- Moorhead, Blue Nile.
- Penn, A.E.D., Traditional stories of Abdullab tribe, SNR, vol. XV11, 1934.
- Poncet, J., the Red Sea and Adjacent countries at the close of the Seventeenth Century, Hakluyt Society, London, 1949.

كشاف أبجدي

الأنساب الرئيسية

تشير الأرقام الى أرقام جداول الأنساب
في القسم الثاني من الكتاب

(أ)

إبراهيم إدريس ٩. إبراهيم عبد الهادي ٥. أبو دهب ٤٢، ٤٣. أبوشويربات ٦٣.
أبوضرس ١٣. ابوعاقلة ١٣٣. أبوكريق ٣٩. أحمد ود عمر ٧١. حاج أحمد إدريس
٩٤، ٩٣. حاج أحمد إمام ٣٥. حاج أحمد غبوش ٩١، ٩٢. إحيمر ٩٣، ٩٤.
الاحيمراب ١٠. إدريس جماع ٥٣. الأرياب عبدالله ٥٤. الأسد ٨٨. الأعسر
١١٧. أم سترين ١٣٨. أم سهمين ١٥، ٧٥. أم كنين ١٥، ٧٥. أم هانيء ٧٦.
أم هانيء ١٧. إمام ٣٥، ٣٦. الامام ٨٠. الامام على ٢٠. الامامة ٢. الأمين
إبراهيم أحمد ١١٧.

(ب)

باسعيد ١٩. بانقا ١٤. البديرية ١٠٦ - ١١٢. بركات ٦. برنكو ١١، ٢٠. بريق
١٣٨. بساطي ١٩، ٢٠. البشير ٧٩. بشير كمبال ١٢٦. بشير نصر ١٢٥، ١٢٧.
بقيع ٣٠. بكاب ١٣٧. بله إبراهيم ٥. بله الصديق ٤. بلولة ٨٥. البليل ٦٧.
البنان ٢٦.

(ت)

تابر ١٣٣. تاتاي ١٣٧. تاجوري ١٠٢. تغوتي عبد الهادي ٤٨. تغوتي العماس ٩.
التماسيح ١٣. التور ١٥.

(ج)

جارعودو ٧٨. الجاز ١٠، ٣٥. الجناك ١٣٩. جاويش ١٢٤ - ١٢٧ - ١٢٧. جبارة
١٣٧. الجباراب ١١٣. جبريل ١٠٨. الجدياب ٦٨، ٧٠. الجعلى ٨٧. الجعليون
٧٥ - ١٠١. الجموعية ٨٨ - ٩٠.

(ح)

الحاج ١٢. الحادو ٤١. الحافظاب ٤٨ - ٥١. الحبيب ٨٢. حجازي ٧٦. حجازي
١١٠. الفكي حسن ٥٩، ٦٠. الحسن نور الدين ٢٨، ٢٩. حلو ١٦. الحلوة ٥٧،
٧٠. حماد البدرى ٧٧. حماد عبدالله ٥٣. حمد السيد ٦٦. الحمراء ٨١، ٩٣.
الحمري ١٥. حمير ٨٥. الحميسى ١٦.

(خ)

خدير ٨٥. الخضر ٥٥. خوجلي احمد ٥١. خوجلي الحبيب ٨٢. خوجلي عبدالكافي ٩٥. خوجلي محمد نور ٩٧، ٩٨. خوجلي عمر ٧١، ٨١. خوجلي حاج يوسف ١٨. الخولي ١٠٢.

(د)

الدابي ٦٤. الدابي خوجلي ٨١. داموس ٥٥. داموس المشيخي ٣٧، ٣٨. دراج ١٣٦. الدرديري أبودهب ٤٢. الدرديري عبدالرحيم ٣٧. الدعيتاب ٨٥، ٨٦. دفع الله ٩٣. دفع الله شابوش ١ - ٢٠. دفع الله ضيف الله ٢٤ - ٢٦. دفع الله يحيى ١١٤، ١١٥. دكام ١٣٣. الدواريت ١١٩ - ١٢٢. الدواليب ٤٤ - ٤٧.

(ر)

الرشيد ١٢٩ - ١٣٠.

(ز)

الزبير ١١٠، ١١١. زروق ٦٤. الزمازمة ٤٧.

(س)

سالمين ١٣٦. الست ٣١، ٦٦. الست ٨٩. سراج النور (الجعل) ٨١ - ٨٣. سراج النور (المشيخي) ٤٢، ٤٣. سعد الله ١٣٧. سعيد الداروتي ١٢١. سعيد عبد الله ١٣. السلطانية ١٣١، ١٣٢. السمحة ٩. سمحة عمر ٤٩. سماحة قدورة ١١٠. سماحة المغربي ٧٣. السنجك ٤٩. السنوسي ٧٨. السيد ١٠٠. السيد ٤٧. سيموت ١٣٦.

(ش)

شاور ٥٢. الشايقية ١٢٣ - ١٣٣. شرفية ١٧. الشريف قاسم ٢٢، ٢٣، ١٣٦. الشفيق ٤٩، ٥٠. الشفيق ٩٠. شكر الله المنصور ٢. شمس الدين ٣٤. شملوك ٩، ١٩. الشيخ إدريس ٩. الشيخ عمر ١٧. الشيخ العوض ٤٩.

(ص)

صالح الداروتي ١٢١. الصافي عبد الله ١٠٨. الصافي دليل ١٣٥. الصافي كريب ٦١. صالح الملك ١٢٣. صباحي عبد الرحمن ٧. صباحي (حاج) ٧. صباحي عبد الرحيم ٣٩، ٤٠. الصديق الضبايني (جلابة) ١١١. الصديق (حاج) ٤. الصديق عبد الصادق ٤٨. الصوادة ١١٦ - ١١٨.

(ض)

ضحوى ١٠٦ - ١٠٨. الضيفلاب ٢٣ - ٣٢. ضيف الله ٢٤، ٢٥.

(ط)

حاج الطيب ٨٣.

(ع)

العاقب الجليل ٦٦، ٦٧، ٨١، ٨٤، ١٣٥. العاقب الزبير ١٠٩. عالم ١٣٥. عامر ٥١. عباس (حاج) ٣، ٤. عباس الحسن ٣٥، ١١١. عبد الجليل ٤٨، ٥١. عبد الحافظ ٣٦، ٤٨. عبد الخير ١٠٨. عبد الدافع ٨٨. عبد الرازق ٦٧. عبد الرحمن الهروال ٩٣. عبد الرحيم ٣٧. عبد الساوي ١٣٧. عبد الصادق ٩٢. عبد الصمد ٩٣، ٩٤. عبد العال حاج أحمد ٩٣، ٩٤. عبد العال البرديسي ٣٤. عبد العال عبد الدافع ٨٠. عبد القادر ٥٧، ٥٨. عبد القادر الداروتى ١٢٢. عبد الكافي ٩٥. عبد الكريم ٣٧. عبد اللطيف ١١٧. عبد الماجد الداروتى ١٢١. عبد الماجد ٧٥. عبد المحمود ٨٤، ٨٥. عبد الملك أحمد ١٠٩. عبد الملك ٢٥. عبد الهادى ٤٦. عبد الواحد ٨٣. عبد النبى ١٢٠. عثمان (الفكى) ٥٩، ٦٠. عجيب عبد الله ٥٣. عجيب أونسة ٥٢. عجيب الرابع ود عبد الله ٥٣. العدلاناب ١٢٣، ١٢٧، ١٣٠ - ١٣٠. عربى ١٣٠، ١٣٣، ١٣٥. العركيون ١٠٥. عروة ٤٢، ٤٣. عز الدين ١٢٠. عسوم ١٣٠. عثيب ١٣٥. العطاه ١٣٨. العقاد ٩٤، ٩٣. عكاشة أحمد ١١٢. عكاشة عبد الله ٤٠، ١٠٩. على (الخليفة) ١٠١. عمارة ٣٤ - ٣٩. العباس ٩. العمدة ٧١، ٧٢. العمدة جماع ٥٣. عمرو عبد الله ١٧، ١٨. عمر العوض ٥٠. العمراب ٧٥. العوض أبويونس ١٠٣، ١٠٤. العوض نابرى ٤٩. عوض الكريم ٩١. عوض الله ١٠٦. عيد ١٩، ٢٠. عيتان خوجلى ٩٥. عيتان العودى ١٠١. عيتان محمد ١١. عيتان ١٠٦، ١١٠.

(غ)

غبوش (حاج أحمد) ٩١، ٩٢. غبوش الضباينى ١٠٩. الغبوشاب ٩١، ٩٢.

(ف)

الفحل ١٢٧. فزارية ١، ٧٠. فضل السيد ٣٢، ٧٨. فضيلى ١٠٧. الفيل ٣٢.

(ق)

القاعورى ٤١. قدم خير ١٣٨. قدورة ١٠٧، ١٠٩. قدورة حمري ٧٧. القزاز ٧٠. القسايا (حاجة) ٩٦. القويضى ١٣٧.

(ك)

الكدروك ٦٦. كرم الله ٤٠. كشة ١٣٣. كمبال ١٢٤.

(م)

الماحى ١٨. مالك ٥٥. المانجل ٥٣. متونة ٧٤. مجاهد ٨٠. المحدثاب ٧٥. محمد عثمان سيدى ٣٦. محمد محمد على ٢٧، ٥٣. محمد نور (الملك) ١١٠. محمد نور (الوزير) ٩٦ - ٩٨. محمد نور الدرويش ٨٨. محمد نور الزبير ١٠٩. محمد نور ضيف الله ٢٧ - ٢٩. معزول ٧٩. الميكتاب ٨١ - ٨٧.

المساعد ١٣٥ . المشايخ ٣٣ - ٤٣ . المصباح ٩٧ . مضوى الدرويش ١٧ ، ٣١ ،
٤١ . المكابر ٧٨ ، ٧٩ . مكى ١٠٨ . المكى ٣٢ . المثلث ٣٤ ، ٤٠ . موسى
(حاج) ١٠٨ . موسى سليمان ٢٤ . موسى هنونا ١ .

(ن)

نابرى ٤٦ . الناظر بابكر ٦ . نبرتى ١٣٤ . النحاس ١٣٩ . النقرابى ٧٩ ، ١٣٥ . نمر
عيتان ١١ . نمر نصر ١٢٥ . النو ١٥ . النو الشايقى ١٣٠ . النورود عبيد ٦٤ .
نورالدين أحمد ٢٩ . نورالدين بابكر ٧٠ . نورالدين ضيف الله ٢٧ - ٢٨ . نورين
١٣٩ .

(هـ)

الهادى يحيى ١١٤ . هاشم ضيف الله ٢٨ . الهاشمى حجازى ١١٠ . الهاشمى الزبير
١١١ . الهاشمى الزمزمى ٤٧ . الهاشمى محمدنورالدين ٧٠ . هلاوى ١٠٢ .
الهندي ٦٢ . هنونا ١ . هنونا الصغير ١٢ . الهنونا ١ - ٢١ .

(و)

وزنة ٣٢ .

(ى)

اليحياب ١١٤ - ١١٨ .

المحتويات

٩	مقدمة
	القسم الأول
١٩	حلماية الملوك : التاريخ
	الفصل الاول
٢١	النشأة
٢٣	الاسم
٢٥	مركز الثقل
٢٦	إختلاط القبائل
٢٧	الراعد الثقافي والبشرى
٢٩	الحلفاية خلال العصور
	الفصل الثانى
٣٣	التكوين البشرى
٣٥	تنوع العناصر
٣٦	الخريطة البشرية
٣٧	(١) الحميدانية الجموعية
٣٩	(٢) العبدلاب
٤٠	(٣) المشايخه
٤٣	(٤) المغاربة
٤٥	(٥) الكواهله
٤٦	(٦) الصواردة والأحامدة
٤٧	(٧) الجعليون
٤٩	(٨) الفاضلاب والضيفلاب
٥١	(٩) الفضلية
٥١	(١٠) الهوارة
٥٥	(١١) الدواليب الركابية والحافظاب
٥٩	(١٢) الدواريت
٦٠	(١٣) الشايقية
٦٤	(١٤) البديرية
٦٦	(١٥) الجعافرة
٦٦	(١٦) المحس

الفصل الثالث

٦٩	الحياة السياسية والاجتماعية
٧١	الموقع الاستراتيجي
٧٢	الحلفاية أيام الفونج
٧٣	الحلفاية والعبدلاب
٧٦	الكوارث والأزمات
٧٧	انتقال العاصمة الى الحلفاية
٧٨	عبد الله الثالث وخلفاؤه
٨١	عبد الله الرابع
٨٣	آخر شيوخ العبدلاب
٨٤	الهمج أصحاب القوة
٨٦	وصول الاتراك
٨٧	الحروب القبلية
٨٩	الحلفاية في العهد التركي
٩١	العبدلاب وزوال السلطان
٩٣	ظلم الانسان وثورة الطبيعة
٩٧	الهيكمل الادارى والحكم المحلى
٩٧	الحلفاية في المهديّة
١٠٢	الحلفاية في عهد الحكم الثنائى
١٠٢	الادارة الداخلية
١٠٤	التعليم المدنى
١٠٦	الحياة السياسية
١٠٧	الزراعة - والتجارة
١٠٩	صورة مجملة لتطوير الحلفاية

الفصل الرابع

١١٣	الحياة العلمية والثقافية
١١٥	منطقة الجذب
١١٦	البدايات البعيدة
١١٧	جامع الحلفاية بين الهنواب والجموعية
١١٩	دفع الله بن محمد الكاهلى
١٢٠	عبد الدافع وأبناؤه
١٢٢	الشيخ ابراهيم عبد الدافع
١٢٥	شيوخ الضيفلاب

١٢٦	ضيف الله بن علي
١٢٧	محمد بن ضيف الله
١٢٧	ضيف الله بن محمد
١٢٩	أبو الحسن دفع الله
١٣٠	محمد نور ضيف الله
١٣٢	شيوخ المغاربة
١٣٢	حمد السيد بن بلة
١٣٣	عبد الحليم بن سلطان
١٣٥	عميد وأبناؤه
١٣٧	علماء المشايخ
١٣٧	يعقوب وعمارة
١٣٩	شيوخ الدوايب
١٤٠	شيوخ البديرية
١٤١	علماء آخرون
١٤٢	الرحلة في طلب العلم
١٤٥	بعض المبدعين المحدثين
١٤٧	إدريس محمد جماع
١٤٩	محمد محمد علي

القسم الثاني

١٥٣	حلفاية الملوك البشر
-----	-------	---------------------

١ - الهواة الهنواب

١٥٥	(١) محمد هنونا
١٥٦	(٢) أولاد المنصور
١٥٧	(٣) أولاد حاج عباس (حلفاية الملوك)
١٥٨	(٤) أولاد حاج عباس (رفاعة)
١٥٩	(٥) أولاد إبراهيم عبد الهادي
١٦٠	(٦) الأمين وبيركات أولاد شكر الله
١٦١	(٧) أولاد عبد الرحمن إدريس
١٦٢	(٨) أولاد صباحي عبد الرحمن
١٦٣	(٩) أولاد العماس وإدريس

- ١٦٤ أولاد الإحيمر (١٠)
- ١٦٥ أولاد عيثمان (١١)
- ١٦٦ أولاد هنونا الصغير (١٢)
- ١٦٧ أولاد سعيد وأبوضرس وتمساح (١٣)
- ١٦٨ أولاد بانقا (١٤)
- ١٦٩ أولاد التور والحمرى (١٥)
- ١٧٠ بنات عبدالله (١٦)
- ١٧١ بنات عبد الله وأخوهن عمر (١٧)
- ١٧٢ أولاد عبد الله ود عمر (١٨)
- ١٧٣ أولاد عياد [أولاد شملول] (١٩)
- ١٧٤ أولاد الفكى بساطى (٢٠)
- ١٧٥ نسب الشريف قاسم أحمد (٢١)
- ١٧٦ أولاد الشريف قاسم أحمد (٢٢)

٢ - الضيفلاب

- ١٧٧ نسب الضيفلاب (٢٣)
- ١٧٨ محمد ود ضيف الله بن على (٢٤)
- ١٧٩ ضيف الله الحاج دفع الله (٢٥)
- ١٨٠ أولاد دفع الله ضيف الله (٢٦)
- ١٨١ محمد نور ضيف الله (الطبقات) (١) (٢٧)
- ١٨٢ محمد نور صيف الله (الطبقات) (٢) (٢٨)
- ١٨٣ أولاد محمد الحسن نور الدين (٢٩)
- ١٨٤ محمد الأزرق (٣٠)
- ١٨٥ زينب بت ضيف الله (٣١)
- ١٨٦ أولاد الفيل والمكى ووزنة (٣٢)

٣ - المشايخ

- ١٨٧ نسب الشيخ حمد ود أم مريم (٣٣)
- ١٨٨ أولاد شمس الدين (٣٤)

- ١٨٩ (٣٥) أولاد إمام الحاج عمارة
 ١٩٠ (٣٦) أولاد سيدى ويخيت آدم
 ١٩١ (٣٧) أولاد عبدالرحيم وشرفية
 ١٩٢ (٣٨) أولاد داموس
 ١٩٣ (٣٩) أولاد صباحى عبدالرحيم
 ١٩٤ (٤٠) أولاد أبوكريق وأولاد مصطفى المثلث
 ١٩٥ (٤١) أولاد الحادو
 ١٩٦ (٤٢) أولاد أبودهب سراج النور
 ١٩٧ (٤٣) أولاد عروة سراج النور

٤ - الدواليب

- ١٩٨ (٤٤) نسب الركابية
 ١٩٩ (٤٥) نسب الشيخ ابراهيم محمد عبدالمهادى
 ٢٠٠ (٤٦) أولاد عبدالمهادى دوليب
 ٢٠١ (٤٧) أولاد السيد عبدالمهادى

٥ - الحافظاب

- ٢٠٢ (٤٨) الحافظاب (خوجلى والعوض والبدوى نابرى)
 ٢٠٣ (٤٩) أولاد العوض نابرى
 ٢٠٤ (٥٠) أولاد العوض نابرى
 ٢٠٥ (٥١) الحافظاب (أولاد عامس)

٦ - العبدلاب

- ٢٠٦ (٥٢) عبدالله جماع
 ٢٠٧ (٥٣) عجيب الثالث
 ٢٠٨ (٥٤) عجيب الرابع
 ٢٠٩ (٥٥) عجيب الرابع

٧ - المغاربة

- ٢١٠ (٥٦) أبناء الشيخ عبيد المغربى
 ٢١١ (٥٧) أولاد الفكى عبدالقادر (١)

٢١٢ أولاد الفكى عبدالقادر (٥٨)
٢١٣ أولاد حسن (٥٩)
٢١٤ أولاد الفكى عثمان ود حسن (٦٠)
٢١٥ أولاد حاج الصافي (٦١)
٢١٦ أولاد الهندى (٦٢)
٢١٧ أولاد على ود عبيد (٦٣)
٢١٨ أولاد النور ود عبيد (٦٤)
٢١٩ أولاد عبدالعال ود عبيد (٦٥)
٢٢٠ أولاد حمد السيد بله (٦٦)
٢٢١ أولاد الفكى عيتمان الشمباتى (٦٧)
٢٢٢ نسب الجدباب (٦٨)
٢٢٣ نسب الجدباب (٦٩)
٢٢٤ أولاد نور الدين (٧٠)
٢٢٥ أولاد العمدة وعمر (٧١)
٢٢٦ أولاد العمدة (٧٢)
٢٢٧ أولاد سباحة (٧٣)
٢٢٨ أولاد تاجورى (٧٤)

الجميلون

٢٢٩ العمراب (٧٥) -
٢٣٠ المحمداب (أولاد خلف الله) (٧٦)
٢٣١ أولاد حماد وحمري (٧٧)
٢٣٢ المكابراب (٧٨)
٢٣٣ أولاد البشير (٧٩)
٢٣٤ أولاد حاج الامام (٨٠)
٢٣٥ العوضية (٨١)
٢٣٦ أولاد خوجلى (٨٢)
٢٣٧ أولاد عبد الواحد (٨٣)

٢٣٨ (٨٤) أولاد سراج النور
٢٣٩ (٨٥) الدعيتاب
٢٤٠ (٨٦) الدعيتاب
٢٤١ (٨٧) أولاد الجعلى
٢٤٢ (٨٨) أولاد عبد الدافع
٢٤٣ (٨٩) الجموعية
٢٤٤ (٩٠) أولاد الشيخ والشفيع
٢٤٥ (٩١) الغبوشاب
٢٤٦ (٩٢) الغبوشاب
٢٤٧ (٩٣) أولاد إحيمر
٢٤٨ (٩٤) أولاد إحيمر
٢٤٩ (٩٥) أولاد عبد الكافي - الكافيات
٢٥٠ (٩٦) أولاد الوزير محمد نور (١)
٢٥١ (٩٧) أولاد الوزير محمد نور (٢)
٢٥٢ (٩٨) أولاد الوزير محمد نور (٣)
٢٥٣ (٩٩) أولاد السيد (نفيعاب من المتمة (١)
٢٥٤ (١٠٠) أولاد السيد (نفيعاب من المتمة (٢)
٢٥٥ (١٠١) أولاد الفكى عيثمان

٩ - الجعافرة

٢٥٦ (١٠٢) أولاد الخولى وهلاوى
٢٥٧ (١٠٣) أولاد أبو يونس
٢٥٨ (١٠٤) أولاد أبو يونس

١٠ - العركيون

٢٥٩ (١٠٥) العركيون
-----	----------------------

١١ - البديرية

٢٦٠ (١٠٦) أولاد الحاج ضحوى
٢٦١ (١٠٧) أولاد ضحوى
٢٦٢ (١٠٨) أولاد عبد الله الصافى
٢٦٣ (١٠٩) أولاد قدورة
٢٦٤ (١١٠) أولاد الزبير

٢٦٥ أولاد الزبير (١١١)
٢٦٦ أولاد عكاشة أحمد وجبارة الله وأبوشلة (١١٢)
٢٦٧ الجباراب (١١٣)
	١٢ - الحياب والصواردة
٢٦٨ الحياب (١١٤)
٢٦٩ الحياب (١١٥)
٢٧٠ الصواردة (١١٦)
٢٧١ الصواردة (١١٧)
٢٧٢ أولاد محمد هادي (١١٨)
	١٣ - الدواريت
٢٧٣ الدواريت (١١٩)
٢٧٤ الدواريت (١٢٠)
٢٧٥ الدواريت (١٢١)
٢٧٦ الدواريت (١٢٢)
	١٤ - الشايقية
٢٧٧ العدلاناب [صالح الملك] (١٢٣)
٢٧٨ أولاد جاويش (١٢٤)
٢٧٩ المحموداب (١٢٥)
٢٨٠ أولاد جاويش (١٢٦)
٢٨١ أولاد جاويش (١٢٧)
٢٨٢ نسب إبراهيم الرشيد (١٢٨)
٢٨٣ أولاد الرشيد (١٢٩)
٢٨٤ أولاد عسوم (١٣٠)
٢٨٥ السليمانية (١٣١)
٢٨٦ السليمانية (١٣٢)
٢٨٧ أسر شايقية (١٣٣)
٢٨٨ ثبرتي والبرديسي (١٣٤)
٢٨٩ بعض الاسر المشهورة بالخلفاية (١٣٥)
٢٩٤ ملحقات
٣٠١ مراجع
٣٠٣ كشاف ابجدى
٣٠٧ محتويات